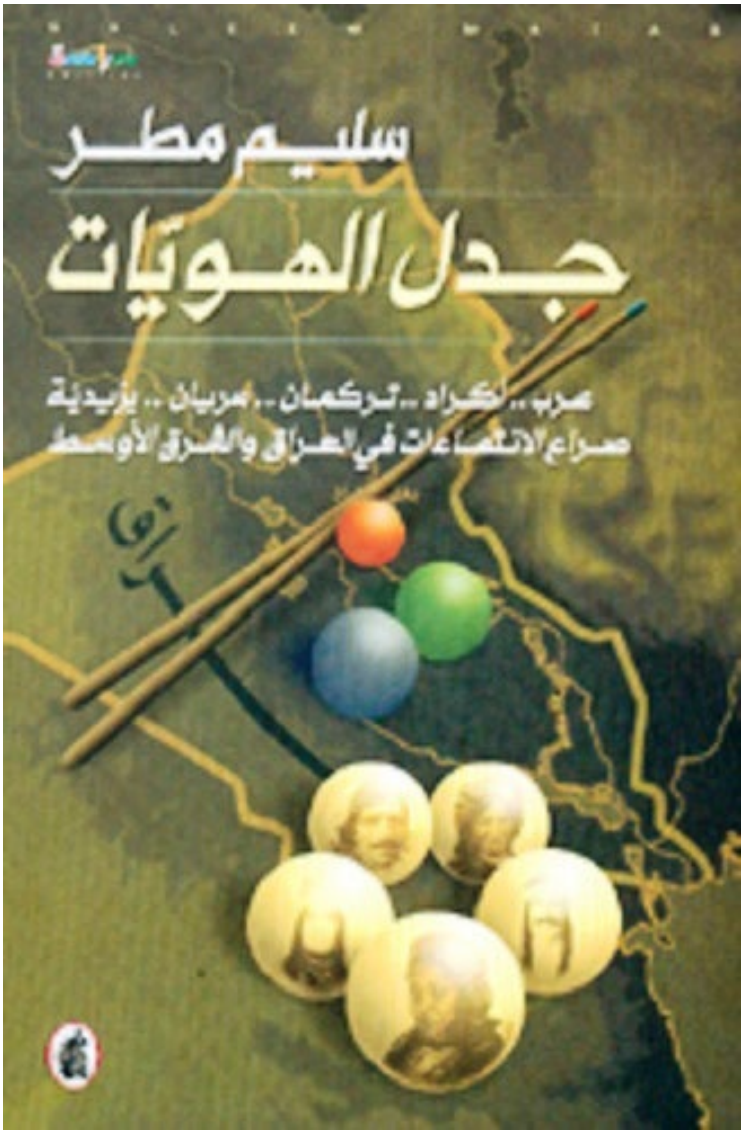

كتاب جدل الهويات الصادر عن المؤسسة العربية - بيروت 2003

سليم مطر

جدل الهويات

عرب .. اكراد .. تركمان .. سريان .. يزيدية

ملاحظة مهمة: نود التوكيد على ان هذا الكتاب قد أصدرناه في بيروت عام 2003.. وهو توثيق صادق لتلك المرحلة من الصراعات الفكرية والسياسية بين الاطراف العراقية. ويقينا ان هذه المواقف والافكار قد اختلفت كثيرا عن وقتنا الحالي، فنرجو عدم التعميم، بل فقط اعتباره وثيقة تاريخية تمثل تلك المرحلة.

المحتويات

الاهداء	7
فاتحة الكتاب	9
المدخل: التعصب القومي وبث الكراهية والقمع الفكري..	
الفصل الأول: مشكلة الفئات المحلية في العالم العربي وغياب دور المثقفين	23
- ليست بالسياسة وحدها نعالج مشكلة الفئات المحلية.. بل بالثقافة أولاً..	25
- مشكلة الفئات المحلية في شمال العراق وغياب الرؤية الثقافية والوطنية	35

الفصل الثاني: الشعوب الكردية, تاريخها وحقوقها 43
– تاريخ الشعوب الكردية 50
– حقوق الاكراد وقضية كردستان الكبرى 65
– مقالات وتعقيبات صحفية:
* دستور البرزاني والتعصب القومي 71
* الحركات القومية الكردوية وتشويه التاريخ العراقي 78
* التأثير الصهيوني في الاعلام الكردوي وصناعة الهولكوست 82
* التشويه الكردوي للمنفيين العراقيين 90
*حسن العلوي والتضامن العروبي – الكردوي 98
* مواقف كردية ايجابية 103

الفصل الثالث : تاريخ وحقوق التركمان
– تاريخ الحضور التركماني في الشام والعراق وعموم الشرق الاوسط 131
– حقوق ومطالب التركمان ومشكلة كركوك 155
– مقالات وتعقيبات صحفية 162

الفصل الرابع: تاريخ وحقوق السريان 173
– تاريخ السريان في العراق والشام 178
– حقوق السريان وكردستان الكبرى 197
– مقالات وتعقيبات صحفية عن السريان 198

الفصل الخامس: تاريخ وحقوق اليزيدية 209
– تاريخ اليزيدية 213
– مطالب وحقوق اليزيدية 225
– مقالات وتعقيبات صحفية 228

الفصل السادس: الخاتمة والمقترحات 245
– من اجل تعامل وطني انساني مع مشكلة الفئات المحلية 247

– عيد الربيع العراقي – الشامي – الشرقي, نموذج للوحدة الوطنية 258

ملاحق معلوماتية وصحفية : 263
– نماذج من الفهم القومي العرقي للتاريخ 265
– اعترافات محمود عثمان عن العلاقات الاسرائيلية – البرزانية 280
– مضاربات حول مساحة وسكان كردستان 288
– التعصب القومي والالاعيب السياسية 291
– حالة الفيلية نموذج للتعصب العروبي والطائفي 296
- مصادر مواضيع الكتاب 304

الاهـــــــــــــداء

الى ابناء "امة العراق" وامم الشرق الاوسط .. الى الباحثين عن السلام والتآلف والعيش المشترك..

ان الاخوة التي تقوم على اساس الطمطمة والنفاق، تكون سلبية قلقة يتخللها الشك والعنف.. اما الاخوة التي تقوم على اساس الصراحة وحب الحقيقة، فتكون ايجابية حميمية عميقة الجذور رغم عواتي الزمن..

سليم مطر

فاتحة الكتاب

كي يكون واضحا للقراء أن كتابنا هذا ليس موجها ضد أية فئة اقوامية أو دينية مهما كانت، بل هو ضد التعصب مهما كان عربيا أم كرديا أم سريانيا أم تركمانيا أو يزيديا، وان الأكراد الوطنيين لم تغرهم او تخيفهم وسائل الهيمنة البرزانية، وانهم قد تفهموا طروحاتنا، نسجل هنا موقفين صحفيين من ضمن الكثير من المواقف التي كتبها اكراد وطنيون ضد التعصب القومي وعمليات التكفير والتشويه التي مارستها الاجهزة القومية، وتستحقان ان نفتتح بهما الكتاب:

أكراد سوريا ضد التعصب القومي

قرأت بأسف كيف يحاول القوميون المتطرفون القيام بمزايدات رخيصة وادعاءات عنصرية تصور أوضاع أكراد سوريا بشكل قاتم ومفتعل وكأننا في خراب دائم ونتعرض إلى قمع وتنكيل وحشيين ليل نهار. إن هذا كذب وافتراء، لأننا لا نختلف في واقع الأمر عن بقية أشقائنا السوريين ونشاركهم في السراء والضراء. وليس هنالك أي (هولوكوست) كردي إلا في عقول هؤلاء المتعصبين الانفصاليين. نعم إن الأكراد موجودون في كل أنحاء سوريا وبين كل الطبقات الغنية والفقيرة وفي كل أجهزة الدولة من الجيش والمخابرات وحتى في قيادات حزب البعث وباقي الأحزاب السورية.. وإننا والحمد لله لم نعان من أية ممارسات عنصرية اجتماعية أو إدراية من قبل أشقائنا في الوطن. حيث يتعايش الكردي والأرمني والسرياني والعربي بصورة إنسانية وطنية خالية من العنصرية والأحقاد، إلا ما يوجد في رؤوس بعض القوميين المتعصبين ..

أود أن يعلم قراء (القدس العربي) الكرام بأن مشكلة أكراد سوريا لا تختلف عن مشاكل باقي فئات الشعب السوري والمتمثلة في الحاجة إلى الديمقراطية وحرية التعبير. ونحمد الله أن أكراد سوريا حتى الآن لم يتعرضوا إلى مذابح أو إلى عمليات قمع جماعية كالتي حدثت لغيرهم.

إنني أتفق مع الكاتب سليم مطر، بأن هذه الطروحات القومية المتطرفة التي تفوح منها رائحة العنصرية والانفصالية لا تخدمنا نحن الأكراد بل تخدم اللعبة الصهيونية بالدرجة الأولى التي تريد أن تبقى بلداننا ساحة للصراعات الداخلية والحروب والدكتاتوريات لتمرير مخططاتها التآمرية في المنطقة. بعد ما أصبح الجميع يراقب عن كثب ما تقوم به جماعة الطالباني والبرزاني من قمع وخيانة ضد مناضلي أكراد تركيا.

أرجو أن لا يتصور قراء (القدس العربي) أن رأي السيد (ط م) هو رأي الأكراد السوريين لأنه لا يمثل إلا نفسه وقادته، ولايمكن لأي كردي سوري شرب من مياه الخابور وبردى، وعاش في أفياء حلب العتيدة وحماة وحمص وبقية المدن السورية أن يوافق على طروحات دعاة التطرف القومي. وأنني على يقين أن مشكلة المحرومين من الجنسية والحقوق الثقافية ستكون محلولة لا محال مع الديمقراطية القادمة.. ماجدة بكداش - حقوقية سورية مقيمة في بازل - جريدة القدس اللندنية، 2001/2/10

***

أكراد العراق ضد التعصب القومي

إننا نرفض المقالة المتعصبة ضد سليم مطر تلك التي كتبها السيد (ج ن) الذي يدعي بأنه (مفكر كردي) والفكر والأكراد براء منه. إني كمثقف كردي عراقي أقولها بكل صراحة وألم: إن الذي ذكره سليم مطر في كتاباته، مهما اختلفنا معه كأكراد عراقيين، فإنه في الجوهر قد أصاب كبد الحقيقة ووضع يده على الجرح. نعم هنالك سيطرة لأقلية من المتعصبين على الأجهزة

الثقافية والإعلامية الكردية. بل إننا نفضل عدم تسميتها بكردية بل كردوية، لأنها لا تمثل إلا أقلية متعصبة من النخبة الكردية المثقفة المدعومة من قبل القوى الأمريكية والصهيونية المتغلغلة بها حتى العظم. إنها تجهد ليل نهار على فصل الشعب الكردي عن انتماءاته الوطنية وبث روح الحقد والانعزالية بين ناسه ضد أشقائهم في الوطن من الفئات غير الكردية، وتوريط شعبنا في مشاريع امبراطورية لم ولن تجلب لنا غير الحروب والدمار.

لا ندري كيف سول هؤلاء المتعصبون لضمائرهم أن يعلنوا مثل هذه الطروحات العنصرية عن "حضارة الكرد" و"بداوة العرب" وإنكار تاريخ العراق الأصيل والعريق.. هل مثل هذه الطروحات هي التي تخلق الأخوة الوطنية وتؤدي بنا إلى الديمقراطية والفدرالية؟ إننا الأكراد بسبب مزاوداتكم القومية هذه سبق وأن فقدنا أشقاءنا المسيحيين السريان وفقدنا أشقاءنا التركمان وفقدنا أشقاءنا اليزيدية وها نحن نفقد اشقاءنا العرب. أنتم حتى غير قادرين على توحيد الكيانين الكرديين المتحاربين وغير قادرين على تجنب الدخول في لعبة الارتزاق والمساهمة مع الجيش التركي بمحاربة أكراد تركيا، وغير قادرين على إقناع شبيبتنا بالبقاء في ديارهم وعدم الهرب إلى الخارج بالألوف المؤلفة تخلصاً من سياستكم العشائرية واغتصابكم لحقوق الناس.. ورغم كل ذلك فأنتم لا تكفون عن الزعيق بالمطالبة بكل شمال العراق وتأسيس كردستانكم الكبرى التي تريد أن تهيج كل شعوب المنطقة ضدنا. لا ثم لا، لأن مثل هذه الطروحات هي التي تمنح كل الأعذار والتبريرات للأنظمة الدكتاتورية لتشن حملات القمع والتهجير ضد شعبنا.

اعلموا أن الخطر الأكبر في مثل هذه الطروحات التعصبية أنها تبعد عنا أشقاءنا من المثقفين والسياسيين العراقيين والعرب والذين لولاهم لما عرف أحد شيئاً عن قضيتنا العادلة. فتعقلوا أيها الإخوان ولا تغشكم وعود أمريكا وإسرائيل لأنها لا تريد سوى الاحتراب والخراب لشعبنا العراقي ولشعوب الشرق الأوسط لكي تبقى إسرائيل هي واحة السلام والديمقراطية.. اعقلوا وإلا فإن التاريخ وضمير الشعب الكردي سوف لن يرحمكم..

الدكتور عبد الخالق بابان - باحث عراقي كردي مقيم في فلندا - صحيفة القدس – لندن 20- 2- 2003

المدخل

التعصب القومي وبث الكراهية والقمع الفكري..

هذا الكتاب حصيلة أعوام عديدة من البحث والدراسة والجدالات الصحفية التي اشتركنا بها ضد ومع العشرات من الإخوة الأكراد والسريان والتركمان واليزيدية. خصوصية هذا الكتاب، كما سيرى القارئ، تكمن في جمعه ما بين الجانب الدراسي الموثق والجانب الصحفي الجدالي. لقد دخلت حمى هذه الجدالات الساخنة العديد من الصحف العربية منها الصادرة في لندن مثل (القدس) و(الحياة) و(الزمان) و(المؤتمر)، بالإضافة إلى مجلة (أخبار الأدب) المصرية. وقد كلفتنا شخصياً هذه الجدالات الكثير من المعاناة والمتاعب النفسية والصحية بسبب شراسة الهجمات وقسوتها التي شنها الموظفون الإعلاميون في الحزب الديمقراطي الكردستاني المهيمن على قسم من المنطقة المحمية من شمال العراق. لقد تمكن هذا الحزب بواسطة سلطته السياسية والمالية والدعم الأكاديمي والسياسي الغربي والصهيوني*، أن يتقن لعبة السيطرة الإعلامية ويشتري ذمم الكثير من المثقفين والصحفيين والحزبيين العراقيين والعرب. بل هذا الحزب تمكن من السيطرة على بعض الأحزاب العراقية من خلال ما يسمى بالرواتب البرلمانية التي يتقاضاها ممثلوا هذه الأحزاب في الإدراة المحمية، ثم تمكن أيضاً أن يفرض نفوذه الكبير على بعض الأطراف السياسية العراقية المعروفة يسارية وليبرالية وعلى مؤسساتها الإعلامية من خلال جعل القسم الغالب من هذه الكوادر مرتبطة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الحزب وأمواله. بل بلغت خطورة الأمر أن قسماً مهماً من المثقفين والسياسيين العراقيين صاروا يخشون من أية فكرة نقد وفضح لهذه الهيمنة الحزبية، فتراهم في جلساتهم الخاصة وفي الهاتف يشكون من هذه الهيمنة وهذا التشويه الإعلامي المنظم، ولكنك عندما تطلب منهم مثلاً أن يكتبوا مقالاً بهذا الخصوص أو يوقعوا على نداء يدين هذه الحالة، تراهم يتلعثمون ويتأتئون بنظريات نقدية عن (التفكيكية وما بعد الحداثة)، ثم يختمون كلامهم بهمس خائف: ((أرجوك اترك هذه المسألة المتعبة.. انتظر حتى يتغير الوضع في العراق وسوف يرى هؤلاء المتعصبون كيف يتلقون العقاب المطلوب..))!!**

نعم هذه هي حقيقة الوضع، وهذا هو الموقف السلبي العاجز المنتظر للفرج من الله والحكومة، لقسم مهم من المثقفين والسياسيين العراقيين بالنسبة لهذه القضية الخطيرة التي شكلت نزيفاً دائماً للعراق. الطامة الكبرى أن هذا الموقف الاتكالي المغلف بالفذلكة الاستعلائية لا يخص فقط هذه المشكلة بل يخص كل القضايا المهمة والإشكاليات الكبرى التي يعاني منها الوطن.. وهذا هو سر ديمومة الخراب وديمومة الطغاة !!

---

* من المعروف ان هذا الحزب له تنسيق مع الموساد الاسرائيلي منذ اعوام الستينات. لمزيد من التفاصيل راجع اعترافات محمود عثمان في الملحق الصحفي في آخر الكتاب.

** ان هذا الحزب يقوم بتمويل اكبر صحيفتين عراقيتن في المنفى: صحيفة المؤتمر التي يديرها الاستاذ حسن العلوي، وهو اعلامي عروبي بعثي عريق، لكنه بعد استقراره في لندن حول جريدته الى منبر اعلامي برزاني بصورة متطرفة، فهو مثلاً قد يسمح بنشر مقالا فيه نقد للطروحات البرزانية ولكن مقابله يدفع تابعيه الى نشر خمسين مقالا وردا ضد هذا المقال وتشن حملة تشويه لا ترحم ضد المختلفين مع طروحات البرزاني. اما الصحيفة الثانية الكبرى فهي صحيفة الزمان اللندنية وصاحبها الاستاذ سعد البزاز الذي له ماضي وحاضر مشابه تماما لرفيقه حسن العلوي، فرغم انه من الموصل فان صحيفته اصبحت منبراً للبرزانيين للمطالبة بضم الموصل الى كردستان الكبرى؟!.. سبحان مقسم الاموال ومغير الأحوال!!

الحمد لله بأن هذا هو الموقف السلبي ليس موقف الجميع، فهناك دائماً من المثقفين الوطنيين من جميع الفئات العراقية من العرب والأكراد والسريان والتركمان واليزيدية الذين رفضوا هذه السلبية وانتقدوا الهيمنة والتشوية المنظم الذي تتعرض له حقائق الوطن. بين هؤلاء المثقفين والسياسيين من الذين شاركوا في كتابة المقالات الجريئة وفي إعداد هذا الكتاب، بالإضافة إلى أسماء عديدة تمكنا من إيراد بعضها في طيات الكتاب وبعضها لم يذكر بسبب ضيق المجال.

يبقى أن نوضح، أن هذا الكتاب مكرس بمعظمه للعراق، لكنه ايضا يعني سوريا، لسببين، أولهما هو التشابه الكبير بين الفئات المحلية في شمالي سوريا والعراق مع تشابه الموقف القومي السائد لدى الأطراف المعنية، بالإضافة إلى مشاركة العديد من السوريين الأكراد والسريان في الجدالات الدائرة في الكتاب، ونخص بالذكر اشتراك الباحث السوري (شمعون دنحو) في إعداد الفصل الخاص بالسريان.

لكي ندخل القارئ مباشرة في معمعان هذا الكتاب ومن دون مقدمات تنظيرية مملة، نورد طياً نص (المقالة، الرد) الذي نشرناها في صحيفة (المؤتمر - 25 - 5 - 2002) الناطقة باسم المؤتمر الوطني العراقي. ردنا المذكور يأتي بعد نشر الجريدة خلال ثلاثة أعداد متتالية (ابتداءا من العدد 302 في 4 - 5 - 2002) أكثر من خمسة عشر مقالة للعديد من الموظفين الإعلاميين البارتيين (أي أعضاء الحزب الديمقراطي البرزاني) أو أحد القراء المصطنعين بمعظمهم من قبل هؤلاء الإعلاميين التابعين، وكل هذه المقالات والردود كانت تدين وتشهر برسالة صغيرة سبق وأن نشرناها في الجريدة المذكورة وتحتوي على بعض النقد للموقف الكردوي (كردوي على وزن عروبي وإسلاموي). أدناه نص مقالتنا - الرسالة، وهي مختصر مكثف لفحوى الكتاب بكامله[*]:

أيها الإخوة القوميون الأكراد..

الحكمة والضمير أفضل من طبول الحرب...

عندما بعثنا بالرسالة المقالة إلى جريدة المؤتمر وطلبنا أن تنشر، كنا نعرف أنها ستثير بعض ردود الفعل من قبل الإخوة القوميين الأكراد وخصوصاً من إعلاميّ الحزب الديمقراطي الكردستاني، ولكن الذي أدهشنا هي شراسة وعنف هذه الحملة وطبيعة الاتهامات الظالمة غير الصحيحة والعبارات القاسية غير الضميرية التي استخدمها الإخوة البارتيون ضدنا. لقد ترددت اتهامات خطيرة وعبارات جارحة بعيدة كل البعد عن فحوى كتاباتنا من مثل: ((إنها أفكار ونزعات ملقاة على فراش الموت .. وإنها صدى لأفكار ساطع الحصري وميشيل عفلق وصدام حسين.. وإنها نهج شوفيني استعلائي لا يختلف عن نهج النظام وتخندقه في قمقم عروبي شيفوني.. وإنه يهيل التراب على جرائم الإبادة.. ويحتوي كلامه الكثير من السفسطة والتشوهات ..)).. الخ..

لماذا هذا الظلم وهذه القسوة أيها الإخوة في الإعلام القومي الكردي.. كما ترون إننا نرفض تماماً الانزلاق إلى مثل هذا الموقف التعصبي وكيل العبارات الجارحة والاتهامات الخطرة التي وجهتموها لنا على صفحات هذه الجريدة. والغريب بأننا علمنا من الإخوة المشرفين على الصحيفة بأنهم قد حذفوا من تلك الكتابات التعصبية الكثير من العبارات القاسية والخارجة عن اللياقة الأدبية، فتصوروا حجم التعصب الذي وقع به هؤلاء الإخوة الاعلاميون. إننا أيضا نستغرب أن تسمح الجريدة بنشر مثل هذه الكتابات الخارجة عن أعراف الصحافة والمنافية للقوانين والحقوق المتعارف عليها في الدول الديمقراطية وفي إنكلترا بالذات التي تصدر فيها.

[*] في آخر الفصل هنالك مقالة حسن العلوي رئيس تحرير المؤتمر مع الرد عليها.

إن كل جريمتنا هي رغبتنا بنقل الحوار السياسي العراقي من روح المجاملة والتكرار والطمطمة إلى روح الصراحة الأخوية والجدل الديمقراطي والروح الوطنية. لقد سبق لنا وأن كتبنا في كل المجالات العراقية والعربية ولم نجد مثل رد الفعل هذا القاسي والهجوم التحريضي الجماعي والمنظم!!!!

لينظر الإخوة القوميون الأكراد حولهم ليكتشفوا أن قضايا الشعوب لا يمكن أن تحل بسيادة الفكرة الواحدة والشعارات الغوغائية. إننا أبداً لم ولن نكن ضد حقوق أشقائنا الأكراد، ولكننا ضد تقديس هذه الحقوق وجعلها نصوصاً إلهية غير قابلة للجدل والنقد والتعديل. فالقضية الفلسطينية مثلاً، هنالك جدال مستمر حول من هو مع الكفاح المسلح والعمليات الاستشهادية، ومن هو ضد العمل العنفي ومع عودة ثورة أطفال الحجارة من أمثال الشاعر محمود درويش. بل هنالك مثقفون فلسطينيون من امثال (أدوار سعيد) من يرفضون علناً شعار قيام الدولة الفلسطينية المستقلة ويطالبون بتبني مشروع يساري قديم عن دولة واحدة لشعبين يهودي وفلسطيني..

لهذا فمن الظلم ومن التعسف ومعاداة الديمقراطية أن يسارع الإعلاميون القوميون الأكراد إلى لجم أي عراقي يتقرب من قدسية الموضوع الكردي، وكيل التهم الظالمة ضده ورجمه بألف حجر وحجر.

الوطنية لا تعني الدفاع عن صدام

إننا لم نبرر أبداً ولم ندافع عن جرائم (حلبجة والأنفال) كما اتهمتنا الكتابات القومية التحريضية. كل الذي قلناه بهذا الخصوص هو وبالحرف الواحد: ((إننا أبداً لا نعترض على اشتراك إخوتنا الأكراد في تحرير الصحف العراقية والتعبير عن ثقافتهم وخصوصيتهم الكردية العراقية، فمثل هذه الوضعية ليست جديدة أبداً فهي قديمة قدم الصحافة العراقية وهذه ميزة إيجابية عراقية مع ميزات كثيرة غيرها كثيراً ما يتناساها القوميون الأكراد ولا يتذكرون غير حلبجة والأنفال !!))*. نعم إن هذا هو نص كلامنا المنشور، فأين هذا من ادعاء الدفاع عن جرائم صدام وتبرير جرائم حلبجة والأنفال؟!

- هل تعتبرون جريمة أن نطالب بذكر الإيجابيات التي عاشها أشقاؤنا الأكراد مع باقي إخوتهم العراقيين وبأن تاريخهم ليس فقط حلبجة والأنفال بل هنالك ما لا تحصى من الشواهد والعلامات والذكريات والإنجازات في تاريخنا العراقي .. لماذا لا تذكر الكتابات القومية الكردية إلا الأمور السلبية والجرائم والكوارث ومطالبتنا دائماً بالاعتذار عن جرائم صدام وكأن باقي العراقيين من دون الأكراد يعيشون بنعيم ويمضون وقتهم بتقتيل الأكراد وسبي نسائهم وبيعهن في أسواق الجزيرة العربية كما تذكر إحدى المقالات الكردية! هل يمكن نكران حقيقة أن العراق رغم كل مساوئه هو البلد الوحيد في الشرق الأوسط الذي منح الأكراد منذ العشرينات حقوقاً تفوق حتى ما تمنحه أية دولة غربية لفئاتها المختلفة، فهنالك الإذاعات الكردية والصحف والمدارس والجامعات والنقابات، بل الشخصيات الكردية وصلت في الفترة الملكية إلى منصب رئيس وزراء مثل عائلة بابان ووزير دفاع مثل بكر صدقي، وأخذت الشخصيات الكردية مواقع قيادية معروفة في الحركة اليسارية العراقية.. ثم هل ننسى قضية التعايش الأخوي المشترك والتزاوج بين جميع الفئات العراقية ووجود ما يقرب المليون كردي في بغداد نفسها.. نقول هل المطالبة بتذكر هذه

---

* من الواضح ان اصرار الاعلام الكردوي على التشدق بجريمة حلبجة ليس حبا بالاكراد بل من أجل اخفاء الجرائم التي قام ويقوم بها الطرفان المتنافسان، البرزاني والطلباني. فهنالك مثلاً تعتيم تام على ذكر ضحايا الحرب التي دارت بين الطرفين اواسط اعوام التسعينات والتي كلفت اكثر من اربعة الاف قتيل ومئات الالاف من الجرحى والمشردين والمخطوفين الذين لا زالوا يقبعون في سجون امارتي الطلباني والبرزاني. يضاف الى ذلك ضحايا اكراد تركيا الذين ذبحوا على ايدي ميليشيات البرزاني بالتنسيق مع القوات التركية!!

الأمور الإيجابية التي تؤكد على أخوتنا الحميمة مع الأكراد يعني الدفاع عن النظام وتبرير جرائمه، حسب عرف الإخوة الإعلاميين القوميين الأكراد؟!!

- هل الدفاع عن عراقية (ولاية الموصل) ورفض تسميتها بـ (كردستان الجنوبية) حسب الإعلام القومي الكردي، يعتبر هجوماً ضد الشعب الكردي ودفاعاً عن نظام صدام؟!

- هل الدفاع عن أصالة العراق وتاريخه العريق وأنه ليس وطناً مزيفاً اصطنعه الإنكليز كما يردد الإعلام القومي الكردي، يعتبر هجوماً ضد الشعب الكردي ودفاعاً عن نظام صدام؟!

- هل رفض مقولة (كركوك قدس الأكراد) واحترام عراقيتها وخصوصيتها الثقافية التركمانية، يعني هجوماً ضد الشعب الكردي ودفاعاً عن نظام صدام؟!

- هل أن نقد كلام وزيرة التربية الكردية التي تفتخر بنهاية اللغة العربية من المدارس الكردية وإحلال الإنكليزية محلها وإلغاء حتى اليافطات العربية من شوارع المنطقة، يعتبر هجوماً ضد الشعب الكردي ودفاعاً عن نظام صدام؟!

- هل إن التنويه بخطورة التصريحات العلنية والرسمية لبعض القادة القوميين الأكراد عن: ((اضطرار الأكراد للبقاء ضمن العراق وأن الظروف الإقليمية والدولية لا تسمح باستقلال كردستان..))!! نقول هل التنويه بخطورة مثل هذا الكلام وعدم انسجامه مع شعارات (وحدة العراق.. ورفض الانفصال)، يعتبر هجوماً على الشعب الكردي ودفاعاً عن نظام صدام؟!

- هل المطالبة بالتعامل الحيادي مع الرموز القومية الكردية مثلما يتم التعامل مع باقي الرموز العراقية، يعتبر خطيئة. فمن الطبيعي جداً أن تقرأ مقالاً ضد عبد الكريم قاسم وآخر معه، ونفس الشيء بالنسبة لفهد وسلام عادل والجادرجي، والكثير من الرموز العراقية التي يتعاطف معها البعض وينتقدها البعض. لماذا لا يحق للعراقي أن يتعامل بنفس الحيادية والانطباعية إزاء أي رمز كردي عراقي، مثل الزعيم الملا مصطفى البرزاني.. فهنالك الكثير من المثقفين الأكراد وخصوصاً اليساريين وكذلك أنصار الاتحاد الوطني الكردستاني من يحمل وجهة نظر نقدية للزعيم البرزاني.. طيب لماذا لا يحق للعراقي غير الكردي أن يمتلك نفس الموقف، وأنه لابد حينها سوف يتهم بمعاداة الشعب الكردي والدفاع عن نظام صدام؟!

لا أحد من هؤلاء السادة الإعلاميين القوميين تمكن من تجنب الشتائم والتهديدات والتحريض ضدنا بصورة تكاد أن تبلغ حدد التكفير والدعوى للجم وتسبيب الأذى. إننا نعرف أنهم من دون أن يقرؤوا المقالات بل يكفيهم ملاحظة أية كلمة نقدية إزاء الطرح القومي البارتي، حتى يسارعوا إلى قواميسهم التحريضية الجاهزة. كان من المفروض منهم قبل هذا، الاحتكام إلى العقل والضمير والقيام برد عقلاني وهادئ على كلامنا وشكوانا من المبالغة بالطرح القومي الكردي ضد العراق وتاريخ العراق وهضم الحقوق التاريخية للفئات العراقية الأخرى مثل السريان والتركمان، باسم التهجم على نظام صدام. لقد ضيع الإخوة الاعلاميون القوميون فرصة لفتح حوار أخوي عميق في الوسط الثقافي العراقي من أجل تطوير الفكر العراقي والتخلص من هذا الإرث السياسي العتيق الذي يستمد منه طغاة بلادنا جميع أفكارهم ومشاريعهم..

الحقيقة البسيطة التي تزعج الجميع

للحق نقول، إن طروحاتنا حول الهوية العراقية لم تزعج القوميين الأكراد وحدهم بل أزعجت جميع التيارات السياسية العراقية: قومية وأممية وليبرالية ودينية، وإن كان الإخوة القوميون الكردويون هم الأعنف والأكثر حدة وقسوة وتشويهاً وتحريضاً وغياباً للجدل الديمقراطي. إن جميع من تابعوا كتبنا وكتاباتنا منذ سنوات عديدة يتفقون على أننا أثرنا حفيظة الجميع ليس بنقد القومية الكردية بل أساساً بنقد القومية العروبية. إن أكثر الأمور التي حاولنا كشف سلبيتها وتأثيرها التشويهي للمجتمع العراقي، هي فكرة (العروبة)، ثم التعصب بكل أشكاله الدينية والعلمانية على حد سواء. ويمكن للراغب أن يعود إلى

كتابنا (الذات الجريحة) ليكتشف أن الجزء الأكبر منه قد كرس أساساً لدحض الفكرة العرقية للعروبة. وأننا أساساً طالبنا بالعودة إلى الوطنية العراقية وإحياء الهوية الوطنية المنسية ونبذ الأحلام القومية الأمبراطورية بكل أنماطها العروبية والكردوية والطورانية* (التركمانية) والآشورية، بالإضافة إلى فضح السياسة الطائفية المعروفة. لهذا فإنه من الظلم والإجحاف والكذب أن يقال بأننا (عروبيون معادون للأكراد) .. والحقيقة إننا سمعنا شبيهاً بهذا الكلام من قبل جميع التيارات السياسية العراقية. فبعض المتدينين التشيعيين* اتهمونا بـ التنكر للتاريخ الإسلامي والعودة للتاريخ المسيحي السرياني)! ولم يشفع لنا دفاعنا عن الإسلام في جميع كتاباتنا وإدانتنا للتعصب الحداثي والعلماني، وبأني شخصياً من عائلة مسلمة شيعية جنوبية. والطريف أن أتباع التيار القومي الآشوري قد كالوا لنا عكس الاتهامات الإسلامية، وقالوا في صحفهم بأننا نرفض فكرة تمايز (الشعب الآشوري) وأنه الوريث الوحيد لتاريخ العراق القديم، ولأننا برهنا بأن باقي العراقيين من المسلمين وغيرهم هم عراقيون لايقلون قدماً وأصالة عن الناطقين بالسريانية، وانهم ايضا من احفاد العراقيين الاوائل لكنهم قد استعربوا وأسلموا بعد الفتح. وفي نفس الوقت فإن الكثير من الماركسيين والعلمانيين قد وجدوا في كلامنا عن (الظلم الطائفي والتعصب الحداثي والتبجح الأممي والاغتراب المتطرف) نوعاً من الميل الديني و"الرجعية اليمينية" ورفض الحداثة والتقدمية. بل إن بعض العروبيين وبينهم مؤرخ عراقي نكن له كل الاحترام، قد اتهمنا في بيان صحفي يتذكره الكثير من العراقيين بأن موقفنا الرافض للتعصب العروبي مدفوع نقداً بالدولارات من قبل الماسونية والصهيونية والامبريالية العالمية وسفارة صدام حسين في سويسرا!!**

على هذا المنوال فإنه في الوقت الذي ازعجت القوميين العرب فكرتنا عن أصالة جميع العراقيين بما فيهم الناطقون بالعربية وأننا ليس بالضرورة من أحفاد قحطان وعدنان، فإن القوميين الأكراد بدورهم أخذوا حصتهم ولم يشاهدوا في كلامنا غير (رفض الطرح القومي الأمبراطوري الكردي) والذي يعني تلقائياً بأننا (متعصبون عروبيون) لا نختلف عن ميشل عفلق وصدام !!

خلاصة الكلام، إن طروحاتنا أزعجت جميع التيارات السياسية العراقية، لأنها تمثل فكرة بسيطة وعادية طرحتها جميع أمم الأرض عندما تحررت من الاستعمار وأرادت أن تبني دولتها الوطنية. إنها ببساطة عبارة عن دعوة إلى بناء دولتنا العراقية بكل تواضع وواقعية من دون أحلام أمبراطورية قومية رافضة لوحدة تراب الوطن ولوحدة شعبه. أن ننظر بعين ناقدة وواقعية إلى الكوارث التي قادتنا إليها هذه الطروحات العروبية والكردوية والطورانية والآشورية والأممية والإسلاموية، التي بثت الفرقة بيننا وأضعفت وحدتنا وهيأت الظروف الكاملة لديمومة حكم الطغاة.. نعم نحن عراقيون أولاً واخيرا .. وأن الكردي لا يقل عراقية عن العربي وأن المسيحي لا يقل عراقية عن المسلم، وأن الشيعي لا يقل عراقية عن السني.. نعم إنها فكرة بسيطة أسميناها (الهوية العراقية) وهي فكرة معروفة تتبناها أية أمة تريد أن تبني دولتها الوطنية.. إلا نحن لأسباب عديدة عجيبة غريبة، قد اعتبرنا هذه الفكرة الوطنية رجساً من عمل الشيطان، وأن الذي يطالب بها، هو لا بد أن يكون معادياً للعرب وللأكراد وللتركمان وللسريان وللسنة وللشيعة وللشيوعية ولليبرالية ولكل من هب ودب على أرض العراق !!

---

* الحركة الطورانية، نسبة الى بحيرة طوران في آسيا الوسطى التي تنتسب اليها الشعوب الناطقة بالتركستانية، وحملت هذا الاسم الحركة القومية التركية التي تشكلت في اواخر القرن التاسع عشر بتأثير الحركة القومية الجرمانية. وساهمت هذه الحركة بتقويض اركان الدولة العثمانية من خلال رفض مفهوم الوحدة الدينية والدعوة الى الوحدة العرقية لجميع الشعوب الناطقة بالتركستانية من حدود الصين حتى البلقان. وعلى نمط هذه الحركة العرقية تكونت الحركة القومية العربية وباقي الحركات القومية في الشرق الأوسط.

* التشيعي، نعني به الجانب الحزبي السياسي، المختلف عن "الشيعي" العادي على نمط "اسلامي" تميزاً عن "مسلم" و "عروبي" تميزاً عن "عربي" .. الخ.

** من المحزن ان هذا المؤرخ اليساري الراحل كان يفتخر امام الجميع بأنه قدم عريضة الى السلطات الاعلامية في البلد العربي الذي هو لاجئ فيه، يطالبهم بمنع توزيع كتابنا، وفعلا تم له ما اراد!

نعم إن فكرتنا الواقعية الوطنية هذه تزعج جميع أرباب التيارات المهيمنة على السياسة وعلى العقلية العراقية، وهم يدركون بأن خطورة هذه الفكرة الوطنية تكمن في الحقيقة الساطعة التالية: أن المستقبل معها.. وأن التاريخ القريب سوف ينصفها.. وأن الأجيال الجديدة العراقية، والكردية منها بالذات بدأت تدرك بأن الطروحات القومية بكل أشكالها ومسمياتها هي السبب الأول لكوراث العراقيين والأكراد بالذات. وأن الواقعية الوطنية سوف تكون هي خيار الأجيال العراقية الجديدة والكردية معها، وخير مثال هي تلك التطورات المعروفة التي جرت في حزب العمال الكردستاني التركي الذي غير اسمه وتحول إلى حزب وطني ديمقراطي كردي تركي . إننا على يقين بأن الأجيال الكردية القادمة سوف تتخلص من عقلية الانطواء الأقلوي الخائف من الأخ العربي الأكبر.. سوف تطالب بكل ثقة وقوة بعراقيتها المغتصبة وأنها مؤهلة أن تقود الحركة الوطنية العراقية كما قاد الشماليون الأفغان باقي الحركة الوطنية الأفغانية حتى التحرير الكامل. نعم نعم في سيادة الواقعية وإحياء الهوية الوطنية الشاملة يكمن خلاص الأكراد وجميع العراقيين .

نقول ونكرر القول إن كفاحنا الحقيقي يجب أن لا يكون ضد نظام صدام وحده، بل أساساً ضد النظام العقلي الثقافي الذي صنعناه بأيدينا منذ أجيال وأجيال وفيه ترعرع طغاة العراق الحديث. نعم سوف لن نتقدم خطوة واحدة نحو الأحسن حتى لو أسقطنا صدام وألف صدام.. ما دام مثقفونا يترفعون حتى الآن عن الدخول في حومة مشاكلنا الوطنية الحقيقية. ومادام سياسيونا يصرون على استنساخ الشعارات العتيقة، ومادامت ((الأمة العراقية)) غير معترف بها حتى من قبل أبنائها. سنبقى هكذا متناحرين متنافسين متحاسدين لايجمعنا إلا الهواة ولا يقودنا إلا الطغاة ..

الفصل الأول

مشكلة الفئات المحلية في العالم العربي

وغياب دور المثقفين

ليس بالسياسة وحدها تعالج مشكلة الفئات المحلية..

بل بالثقافة اولا..

في عام (2000) أثيرت ضجة في مصر حول المسلسل التلفزيوني (أوان الورد)، لأنه تجرأ لأول مرة في تاريخ الشاشة المصرية أن يظهر وبهذا الوضوح والمباشرة شخصيات قبطية تعيش في بيوت عادية مسيحية على حيطانها صلبان وأيقونات !!

وقد انطلق الكثير من الجدل حول بعض معاني هذا المسلسل وتفاصيله، ولكن بين كل ذلك الضجيج لم يطرح السؤال البديهي التالي:

- كيف حدث أنه بعد قرن من النشاط "النهضوي" الثقافي المصري، لم تتجرأ الطبقة المثقفة على التعبير بكل طبيعية وتلقائية عن الفئة الثانية للأمة المصرية(الأقباط)! نعم احتاجت هذه الطبقة إلى قرن كامل لكي تتجرأ على أن تظهر على الشاشة الوطنية بيت مواطن قبطي !

طبعاً لا أحد يستطيع أن يقنعنا بأن المسلمين والأزهر والحكومة كانوا يرفضون ذلك.. لا أبداً، بدليل أن كل الجدالات التي حدثت لم تعترض على هذه المسألة بل حول أمور تفصيلية مختلفة. فهذه الجهات لم تعترض منذ أجيال لأن يشاهد المصري بيوت

ومعابد طوائف الكرة الأرضية من خلال الأفلام الغربية والهندية واليابانية والصينية وغيرها، كيف يمكن أن تعترض على مشاهدة بيت ومعبد شقيقهم المواطن القبطي الذي يعيش مع أخيه المسلم منذ قرون وقرون ويشترك معه بالوطن واللغة والثقافة والحياة اليومية وغالبية التقاليد والمعتقدات. هذا التجاهل والتجهيل بحق أهم مكونات الأمة المصرية لم تمارسه وسائل الإعلام وحدها بل جميع وسائل التربية والتثقيف، لأن التاريخ والثقافة والديانة القبطية لم يتعرف عليها الطالب المصري رغم أنه يدرس ويتعلم في مختلف المراحل الدراسية الكثير من المعلومات عن مختلف شعوب وطوائف الأرض، إلا ما يخص أخاه القبطي أو النوبي!

العقلية الثقافية السائدة

لكي لا يساء الفهم، يمكن القول إن مثالنا أعلاه، لايبتغي أبداً التركيز على موضوع الأقباط ولا التركيز على نقد الطبقة المثقفة المصرية، فهناك الكثير من المحاسن والإنجازات التي تستحق كل الاحترام لدى مصر والمثقفين المصريين. وإن هناك الكثير من المبادرات الفردية لبعض المثقفين المصرين للانفتاح على ثقافة أشقائهم الأقباط والنوبيين، لكن للأسف تبقى هذه مبادرات فردية لم تأخذ حجمها المطلوب كتيار ثقافي شعبي عميق ومؤثر في العقلية السائدة.

نعم إن الغاية اظهار نموذج معروف على الخلل الكبير في موقف الطبقات المثقفة في جميع البلدان العربية إزاء أخطر القضايا التي واجهتها وتواجهها منذ أكثر من قرن مع بدايات العصر الحديث وحتى الآن:

((إحياء وترميم الهوية الوطنية القادرة على التعبير عن جميع فئات الشعب الواحد)).

ثم إن مشكلة تجاهل فئات الوطن المتنوعة وخصوصيتها الميراثية والثقافية ليست مشكلة مصر وحدها بل مشكلة جميع الشعوب العربية. ومهما تحملت مسؤوليتها القيادات الحكومية والدينية، إلا أنها تظل في العمق متأتية من العقلية التغريبية والقومية المهيمنة على النخب المثقفة في العالم العربي.

في كل مكان الآن من العالم العربي بدأت تبرز أكثر وأكثر مشكلة الفئات المحلية، الاقوامية* اللغوية والطائفية الدينية: أمازيغ أقباط نوبيون زنوج أكراد تركمان سريان مسيح مسلمون شيعة سنة مارونيون دروز علوية.. الخ..

هناك أحداث الجزائر الأخيرة التي اشتعلت في مدن القبايل، وهنالك مطالب الأمازيغ في المغرب، وهناك حرب جنوب السودان، وهناك تململ الأقباط والنوبيين في مصر، وهنالك التهميش للشيعة في السعودية والخليج، وهنالك الحساسية المارونية في لبنان، وهنالك في سوريا والعراق حساسيات ومشاكل الطوائف الدينية وكذلك الأكراد والتركمان والسريان وغيرهم..

نعم قضية الفئات المحلية تزداد بروزاً وحدة وعنفاً ويزداد خطرها على الاستقرار والوحدة الوطنية في غالبية الدول العربية. وإزاء هذه المشكلة هنالك تياران:

- التيار الذي يصر على إغماض العيون وطمطمة المشكلة ونفي حقيقة وجودها واعتبار كل مطالب وكل تململ وتحرك "فنوي" لا بد أن يكون مدفوعاً من قبل "مؤامرة" القوى الخارجية الاستعمارية والصهيونية وغيرها..

- التيار الذي يعترف بهذه المشكلة ولكنه يغالي جداً بخصوصية الفئات المحلية إلى حد منحها الحق بتسمية نفسها (قومية وأمة) بهوية خاصة متميزة عن عموم الهوية الوطنية، ورفع درجة مطاليبها إلى حد تبرير وتشجيع الميول الانفصالية تحت شعارات قومجية رنانة آخرها شعار (حق تقرير المصير) !!

---

* اقوامية وليست قومية، أي بمعنى الفئة المتميزة لغوياً .. وهي ترجمة لكلمة اثنية او عرق. ان رفضنا لكلمة "قومية" لأنها اتخذت معناً سياسياً مرادفاً لكلمة "امة" بينما فئة اقوامية أو لغوية تعني فئة متميزة داخل الوطن الواحد.

بالنسبة للتيار الأول يمكن القول نعم صحيح هنالك دائماً "مؤامرة" تحيكها قوى أجنبية استعمارية وصهيونية غايتها إضعاف شعوب المنطقة وتقسيمها لكي تبقى إسرائيل هي الأقوى ولكي يبقى السيد الأمريكي هو الحاكم. ولكن هذا لا ينفي حقيقة وجود المشكلة، وأن التقصير بالاهتمام بها ودراستها ومعرفتها والاعتراف بخصوصيتها هو الذي يمنح كل التسهيلات لنجاح المؤامرة.

أما بالنسبة للتيار الثاني فيقال هنالك خصوصيات قومية لغوية ودينية طائفية يجب الاعتراف بها ومنح الحقوق الثقافية والدينية والإدارية لأبناء هذه الفئات، ولكن لا نتفق معكم في تكبير الخصوصيات إلى حد اعتبار هذه الفئات "قومية وأمة"، ثم نفي دور "المؤامرة" الخارجية الهادفة إلى تقسيم الوطن من خلال رفع شعارات قومجية تهريجية وطنانة من نوعية: (حق تقرير المصير) !

نعم إن الحل الوسط هو المطلوب لمثل هذه المشكلة: رفض التهميش والنفي ورفض المغالاة والتضخيم..

التربية اللا وطنية

لو عدنا إلى المشكلة الثقافية التي هي غاية موضوعنا، فان من أكبر المواقف الخاطئة التي مازالت سائدة حتى الآن في التعامل مع قضية الفئات المحلية والهوية الوطنية، هو التأكيد فقط على المطالب السياسية ودور الدولة والعملية الديمقراطية، مع التغييب التام لدور الفعل الثقافي في خلق هذه الهوية الوطنية !

لقد تعود الجميع، حكومات وأحزاباً ونخباً مثقفة، على التعامل مع مشكلة الفئات المحلية من خلال أداتين فقط: وزارة الداخلية والقيادات الحزبية والحكومية.. أي بكل بساطة اعتبار مسألة الفئات مشكلة سياسية فقط وبالتالي إن حلها سياسي فقط !

طبعاً لا أحد يمكنه أن ينفي دور الدولة والمعالجة السياسية في كل أمور الوطن، لكن هذا لا يبرر تناسي العامل الآخر المهم لا بل والأهم: الفعل الثقافي التربوي !! نعم الفعل الثقافي التربوي الذي تتحمل مسؤوليته الأطراف المدنية والدينية وعلى رأسها النخب الثقافية. إن الفعل الثقافي التربوي هو الأهم لأنه يسبق الفعل السياسي ويدفع به من خلال خلق الوعي لدى الناس ولدى نخبة الدولة نفسها وقيادات الفئات المعنية.

لتوضيح هذه المسألة الاستشهاد بمثال آخر من مصر أيضاً. تواردت الأخبار خلال عام 2000 تقول بأن إسرائيل تحاول منذ أعوام خلق تيار استقلالي عن مصر بين بدو سيناء، من خلال نشر البحوث الثقافية واللغوية والأنثربولوجية التي بدأت تؤثر في نخب أبناء سيناء وتقنع السكان بأنهم هويتهم مستقلة تماماً عن الهوية المصرية! والأكثر طرافة في هذه المسألة أن نواب سيناء اقترحوا أن تبادر الحكومة بتعيين وزير أصله من سيناء من أجل ربط السينائيين بالدولة المصرية. طبعاً إننا لسنا ضد مثل هذا المقترح لأن تمثيل أبناء الفئات في الدولة له دور مهم في تعميق الانتماء بالدولة والوطن. لكن التأكيد على الحل السياسي الحكومي وحده، يدل على مدى الغياب والتناسي التام للفهم الثقافي للمشكلة. انظروا إلى الفرق الكبير بين العقلية الإسرائيلية والعقلية العربية: إسرائيل منذ أعوام تشكل لجان البحوث وتنشر الدراسات وتتصل بسكان سيناء بل هي فتحت لهم الدورات الخاصة لتعليمهم لهجتهم الخاصة، بينما النخب المبجلة تريد أن تختصر كل المشكلة بقرار حكومي شكلي بتعيين وزير !!!

إن المشكلة ليست في الحكومة، بدليل أن النخب المثقفة والسياسة المصرية لم تعلق على سذاجة هذا الحل ولم تنتقد نفسها على غياب الفعل الثقافي بمعالجة هذه المشكلة وتقصيرها في الاهتمام بثقافة وميراثات سكان سيناء.

ان توضيح مفهوم الفعل الثقافي من خلال السؤال التالي:

- هنالك في البلدان العربية ما لا يحصى من المجلات والدوريات المعنية بمختلف شؤون وتفاصيل الثقافة السياسية والفنية والأدبية.. لكن هل يمكننا أن نجد مجلة أو دورية واحدة متخصصة بدراسة الفئات المحلية في الأوطان العربية والتعريف بخصوصياتها الثقافية والميراثية والدينية وتشجيع الحوار بينها ومعها؟!

- هنالك الكثير من مراكز الدراسات الجامعية والأهلية العربية الإقليمية (القومية) والوطنية المعنية بمختلف الأمور والتيارات، فهل فكرنا بتأسيس مراكز جامعية وفروع متخصصة بدراسة الفئات المحلية، سواء على صعيد كل بلد أو على صعيد العالم العربي بأكمله ؟!

- إن المناهج الدراسية في البلدان العربية تعرف الطلبة بمختلف الشعوب والثقافات والأديان لكنها عموماً تتحاشى التعريف بالفئات المحلية الدينية والقومية التي يتعايش معها الطالب في حياته اليومية بل أبناء هذه الفئات هم معه على المقاعد الدراسية! فمثلاً إن مناهج التاريخ العراقية تقدم للطالب العراقي التاريخ العربي (القح) مع إلغاء تام لدور الأكراد والتركمان والسريان في صنع هذا التاريخ، لا بل كثيراً ما يتم ذكر هذه الفئات بصورة سلبية باعتبارها عناصر أعجمية دورها تخريبي في التاريخ العربي!! فكيف ننتظر الإخلاص والانتماء الوطني من أناس تنبذهم ثقافتنا وتربيتنا الوطنية؟

ان هذه المشكلة الأزلية التي من اجلها يتّم صرف الملايين الملايين على الجيوش والمخابرات وأجهزة الحكومات للسيطرة عليها وقمعها وحيك المؤامرات ضدها، لم يفكر احد أن يخصص جزءاً بسيطاً من هذه الأموال والجهود لكي ينشأ المتخصصون بها وتتم دراستها والتعرف على ماهيتها وتفاصيلها. نعم بالنسبة لأكبر المشاكل يكفي لحلها تقارير المخابرات وبيانات الأحزاب. أما وسائل الثقافة والتربية والتحليل والحوار والتعريف فهذه أمور نتركها للمبادرات الفردية النادرة ولمراكز الدراسات العالمية والأكاديميات الغربية (الموثوقة!) ومعها وكالات الأنباء العالمية، التي يكفي نخبنا واحزابنا ترجمة دراساتها وكتبها ونشر تقاريرها لنتعلم منها بالضبط من هم الأكراد ومن هم الأقباط ومن هم جنوبيو السودان ومن هم الأمازيغ !!

النخبة أم الدولة والدين

إن هذا التشويه الثقافي بكل يقين لا يعود أبداً للقيادات الحكومية ولا الدينية، لأن هذه الأطراف مهما تعصبت وانغلقت فإنها بالنتيجة ومع الزمن تكتسب وعيها من النخب الثقافية والسياسية الفعالة. نعم إذا كان هنالك خلل وتشويه في عقلية القيادات الحكومية والدينية المهيمنة، فإن هذا بكل يقين متأت من الخلل والتشويه السائد في وعي النخب الثقافية والسياسية السائدة في الوطن.

ثم إن هنالك حقيقة طالما تم التعتيم عليها من أجل وضع كل مشكلة تشويه الوعي الوطني على عاتق الدولة ورجال الدين.. هذه الحقيقة تقول بأن النشاطات الثقافية في معظمها لا تحتاج إلى موافقة الدولة، بدليل أن نخبنا المثقفة خلال قرن من النشاط والكفاح قدمت لنا ما لا يحصى من التيارات والأفكار والميول والاتجاهات العالمية المخالفة تماماً لرغبات رجال الدين والدولة، من علمانية ووجودية وماركسية وسريالية وبنيوية وإلحادية وعراتية، وغيرها الكثير. وتمكنت هذه النخب بأن تقدم لنا المعلومات الكاملة المفصلة عن مختلف الشعوب والطوائف وعرفتنا بتواريخها وثقافتها وتفاصيل حروبها ومعتقداتها وحتى الخلافات الشخصية بين مثقفيها ومشاكلهم النفسية والفكرية ونزواتهم وأذواقهم وأزيائهم وأسرارهم المخملية والجنسية. وأدخلت إلينا أيضاً الكثير من العادات والأزياء والسلوكيات الغربية كل هذه المعلومات وأطنان الثقافات تم تقديمها بمختلف الطرق السرية (الحزبية) والعلنية من دون موافقة الدولة والمؤسسات الدينية. إذن أما كان من الممكن بنفس الوقت تقديم الدراسات والمعلومات المعقولة عن هذه الفئات المحلية التي نتعايش معها يومياً في سوح الوطن ولسنا بحاجة إلى ترحال وبعثات وترجمات لكي نكتب عن تواريخها وندرس ميراثاتها ونصور طقوسها ونرسم شخوصها ونتبنى أغانيها وننشر حكاياتها !!

المثال العراقي

ان الحالة العراقية تمثل نموذجا كاملا لهذا التشويه والتقصير الذي مارسته النخب الثقافية والسياسية. مثلاً، إن الحزب الشيوعي العراقي الذي ظل يرفع الشعارات الكبرى عن حقوق الأكراد ويقنعهم ليل نهار بأنهم أمة وقومية وشعب ولهم كل الحقوق التي تخطر على البال من الحكم الذاتي حتى الفدرالية حتى حق تقرير المصير، وظل يقنع برفاقه طيلة أجيال بتقديس القيادة القومية الكردية وتقديس الكفاح المسلح في الجبال، بل إن العناصر الكردية أصبحت هي القائدة للحزب، رغم كل هذا فإن هذا الحزب عجز أن يجعل شيوعياً واحداً من غير الأكراد يعرف حكاية كردية واحدة أو يترنم بأغنية كردية واحدة. نعم رغم كل التقديس الشيوعي للمسألة الكردية إلا أن ثقافتهم (عدى بعض الترجمات لنتف من الشعراء الأكراد الشيوعيين) وتاريخهم ظل مجهولاً وظلت اللغة الكردية في أسماع العراقيين من غير الأكراد مثاراً للاستغراب والمزاح الأخوي.

علماً بأن العراقي (مثل باقي أبناء البلدان العربية) قد تعود منذ أجيال أن يسمع مختلف الأغاني الأجنبية من إنكليزية وفرنسية وهندية ويونانية وإسبانية وبرازيلية، ويترنم بها ويرقص عليها بل ويحفظ حتى كلماتها. طيب فما هي المشكلة لو أنه يتعود أيضاً على سماع أغاني أشقائه في الوطن والحياة اليومية، من كردية وتركمانية وسريانية وغيرها، فإذا كان قد تعود الرقص الهندي والغربي في المراقص، فهل من الجريمة أن يتعود رقص الدبكات الكردية والتركمانية والسريانية ويمارسها في احتفالاته الشعبية كرقصات وطنية يفتخر بأنها جزء من فنونه وميراثه العراقي..

لقد تعود العراقي أن يشاهد مختلف الأفلام والمسلسلات العربية والأجنبية بمختلف اللغات المدبلجة والمترجمة، فما هي المشكلة لو أن العراقي يتعود أيضاً على مشاهدة التمثيليات والمسرحيات والأفلام التي تدور في مجتمعات الفئات المحلية العراقية المختلفة وتنطق بلغتهم وتعبر عن تقاليدهم وخصوصياتهم، ولتكن أيضاً مدبلجة أو مترجمة إلى العربية.

لقد كافحت نخبنا الكريمة لسنوات طويلة حتى نجحت بتكوين فرقة سمفونية عراقية كلفت عشرات الاختصاصيين العراقيين والأجانب وتم صرف الملايين لرعايتها، من أجل أن يستمع سادتنا الأفاضل ذوو الحس المرهف إلى موسيقى "أسلافهم" الفرنج والجرمان، ولكنهم لم يبذلوا عشر عشر الجهود من أجل تكوين فرق تعزف لنا موسيقى أشقائنا الأكراد والتركمان والسريان واليزيدية!

اما بالنسبة للحل المعروف والسائد القاضي بتكوين مؤسسات إعلامية (تلفزيون وراديو وصحف) خاصة وناطقة بلغات هذه الفئات، فهو يبقى حلاً ناقصاً وحتى سلبياً، لأنه على العكس تماماً من المرجو منه، فإنه يقوم بعزل ثقافة كل فئة عن ثقافات الفئات الأخرى ويعزز العزلة والتجاهل المتبادل. فالسرياني يسمع أغانيه ويشاهد تمثيلياته وحده، والكردي والتركماني والعربي كذلك، كل منهم له شاشته ومذياعه الخاص به. هذا بالضبط هو التشتيت للهوية الوطنية وتعزيز للعزلة والتجاهل.

إن العكس هو المطلوب: يتوجب خلق مؤسسات إعلامية وتربوية، قدرما تكون مركزية قدرما تتضمن التنوع وتعبر عن كل الثقافات والميراثات المحلية التي يشترك كل أبناء الوطن بها. فماهي المشكلة مثلاً لو كانت مناسبات التركمان والأكراد والسريان والصابئة واليزيدية مثلما الشيعة والسنة، كلها مناسبات وطنية مشتركة تحتفل بها الدولة والمجتمع والمؤسسات الإعلامية، بدلاً من أن تظل محصورة في داخل الفئة وتعاني التعتيم والتجاهل لحد أن يشعر ابن تلك الفئة بنوع من العار والعزلة والاغتراب عن باقي فئات الوطن !!

ماهي المشكلة مثلاً لو أن العراقي تعود أن يسمع ويشاهد بين حين وآخر قداساً مسيحياً لأشقائه السريان والأرمن، أو طقساً دينياً صابئياً أو يزيدياً، وأن تكون احتفالات عاشوراء الشيعية مناسبة وطنية للتقارب بين الطوائف وقيام النشاطات الثقافية

والفنية والمسرحية التي تحول أيام عاشوراء إلى أيام للثقافة الدينية العراقية بكل تنوعاتها وميراثاتها! وهذه طبعا ليست مهمة الدولة وحدها، بل هي اولا من مهمات الاحزاب والمؤسسات الثقافية.

غياب الدراسات والبحوث

أما من ناحية الدراسات والبحوث فهناك أيضاً يسيطر التجاهل لتنوعات الأمة العراقية: أكراد تركمان سريان شيعة سنة صابئة يزيدية وغيرهم.. ولا حزب ولا مؤسسة ثقافية قررت الاهتمام بدراستهم والتعريف بهم. بل المثير للانتباه أن جميع الباحثين العراقيين الذي اهتموا بخصوصيات المجتمع العراقي ودرسوا خصوصيات فئاته المحلية، يكادون أن يكونوا جميعهم من خارج النخب الثقافية الحزبية والرسمية السائدة، من أمثال الوردي والعزاوي والحسني والدملوجي وغيرهم !

وأكبر مثال يعبر عن مدى شراسة التجاهل الذي مارسته هذه النخب إزاء خصوصيات المجتمع العراقي، أن أفضل وأحسن وأغنى وأعمق وأكبر موسوعة دراسية عن مكونات الأمة العراقية اجتماعياً وسياسياً، لم تنجزها الدولة العراقية ولا أي من الأحزاب الثورية الجبارة، لا بل أنجزها باحث فلسطيني أمريكي اسمه (حنا بطاطو) الذي يستحق فعلاً أن يشيد له تمثال في بغداد، لأنه قدم خدمة ثقافية للأمة العراقية لا تنسى. هذا الباحث العاشق المتصوف قام وحده، نعم وحده بتكريس عشرات السنين من البحث والتقصي وبإمكانيات مالية وأكاديمية متواضعة جداً، لكي ينجز عملاً عملاقاً عن المجتمع العراقي يفوق كل إنجازات النخب الثقافية والحزبية والحكومية العراقية !!

لو أخذنا مرة أخرى مثال الحزب الشيوعي العراقي الذي يفخر (عن حق) بأنه قاد وكسب وقرب الأغلبية الساحقة من المثقفين العراقيين خلال عشرات السنين، إلا أنه مع ذلك لم يكرس للدراسة والتعريف بتاريخ ثقافة وميراثات فئات الأمة العراقية، حتى جزءاً ضئيلاً من نتاجاته الثقافية التي ظلت متركزة خصوصاً على الطروحات السياسية والتنظيرية المترجمة حرفياً من الرفاق السوفييت والتعريف بثقافات وإنجازات الشعوب الرفيقة والصديقة !! بل إن هذا الحزب تمكن أن يزرع في العقلية العراقية موقفاً سلبياً متحجراً وقاسياً ضد كل تطرق للخصوصيات الثقافية المحلية والدينية والوطنية، باعتبارها أموراً رجعية متخلفة تثير الحزازيات والنعرات العشائرية والطائفية والقومية! أكبر مثال على هذا الموقف السلبي التجهيلي، أن هذا الحزب ظل حتى الآن في جميع برامجه السياسية وإصداراته الثقافية يرفض رفضاً قاطعاً التطرق العلني والصريح لأخطر مشكلة سياسية وتاريخية تعاني منها الأمة العراقية، ألا وهي طائفية الدولة العراقية ضد الشيعة! الطريف أنه لأول مرة يتم التطرق لهذه المشكلة الطائفية في أدبيات الحزب وبصورة علنية وتفصيلية، في عدد شباط 2001 من دورية الحزب الشيوعي (الثقافة الجديدة)! والطريف أن التطرق لهذا الموضوع الطائفي الخطير في تاريخ العراق الحديث والقديم لم يتم من خلال الدراسة العراقية بل من خلال ترجمة موضوع لباحثنا الفلسطيني القدير حنا بطاطو عن شيعة العراق! إننا بهذه المناسبة وعلى سبيل المزاح البريء نقترح على رفاقنا الشيوعيين أن يقروا الاحتفال بهذا العدد سنوياً حيث انطلقت فيه لأول مرة "شرارة" العودة الثقافية إلى الهوية العراقية وبداية التخلص من رطانة الأممية التجريدية !

للتوضيح نقول إن تركيزنا على الحزب الشيوعي العراقي، لا يعني أبداً مسؤوليته وحده عن حالة التجهيل وانمساخ الهوية الوطنية التي نعيشها، بل إن جميع الحركات والنخب الليبرالية واليسارية والقومية وحتى الإسلامية قد شاركت بعملية التجاهل والضياع في العموميات الحداثية والماضوية البعيدة عن واقع وحقيقة الثقافة العراقية وميراثات فئات الأمة العراقية.

ليست بالسياسة والتحزبات وحدها نعالج (مشكلة الفئات المحلية) أو ما يطلق عليها بصورة خاطئة وسلبية (مشكلة القوميات أو الأقليات)! إن الحلول الثقافية التربوية يجب أن تكون الأسبق والأهم لهذه المسألة. ليس بالشعارات الطنانة عن حق تقرير المصير، وليس باستخدام النظريات والمسميات المفتعلة التي تقسم الشعب الواحد إلى أمم وقوميات وشعوب وأقليات،

وليس بالمشاريع الانفصالية والامبراطوية الرافضة لحدود الوطن.. لا ثم لا ثم لا، لأن كل هذه الأمور هي التي تجعل المشكلة باقية حتى الأبد وهي التي تبرر الأحقاد والعنف والحروب، وهي التي تضعف الوطن وتقسم الشعب وتمنح كل التسهيلات لحفنة من الطغاة لأن يستولوا على الدولة لكي يدوم الاستبداد.

بالثقافة والدراسة والتربية والإعلام والتعريف، نقضي على الجهل والتجاهل ونخلق المعرفة والتعارف، ومنها تسود الثقة بين فئات الوطن ويشعر الجميع بأنهم حقاً أبناء الوطن، يشتركون بنفس الأرض والتاريخ والثقافة والميراث والروح الوطنية الأصيلة، مهما اختلفت لغاتهم ومذاهبهم. عندها فقط ينتفي الخوف لدى الفئات المختلفة وتلتغي عقلية الاستحواذ لدى أي فئة طائفية أو قومية عنصرية لكي تتحصن وحدها بالدولة.

هذا هو بالضبط ما نعنيه بإحياء الهوية الوطنية وإعادة بنائها، فمن دونها سوف نظل إلى الأبد متفرقين مشردين منكسرين جائعين يقودنا الطغاة وتتلاعب بنا القوى الشيطانية العالمية..

مشكلة الفئات المحلية في شمال العراق
وغياب الرؤية الثقافية والوطنية

من الملاحظ أن سكان العراق بمختلف مكوناتهم الاقوامية والمناطقية يتشابهون من ناحية الأصول العرقية القديمة التي تعود عموماً إلى مصدرين ظلا يرفدان وادي دجلة والفرات بالهجرات منذ فجر التاريخ وحتى أواسط القرن العشرين:

- المصدر الآسيوي (الإيراني والكردي والتركستاني والقفقاسي) من الشرق والشمال.
- المصدر السامي العربي من الغرب (الشام) والجنوب (الخليج والجزيرة العربية).

ولهذا فإن الثقافة والنفسية والعقلية العراقية ظلت دائماً مزيجاً متفاعلاً بين هذين المصدرين. ونجد آثار هذين المصدرين واضحة في أنماط أشكال الناس والطعام وطريقة الكلام وفي الغناء وفي جميع ميراثات الفئات المحلية مهما كانت لغتها أو مذهبها.

لكن رغم هذا التشابه والتمازج التاريخي والثقافي بين السكان في مختلف مناطقهم، إلا أن العراق مثل جميع الأوطان الممتدة المساحة والمحاطة بأوطان مختلفة الحضارات والأقوام بالإضافة إلى تنوع جغرافي بيئي داخلي، فإن هذا أدى إلى وجود قسمين متمايزين جغرافياً وسكانياً:

- القسم السهلي وهو الأكبر والمتمثل بمنطقتي الوسط والجنوب، ابتداءً من بغداد حتى البصرة. يتميز هذا القسم بوجود سهل الرافدين الذي يمتد منساباً حول نهري دجلة والفرات وتحيطه من الشرق جبال زاغاروس الكردية والحدود الإيرانية ومن الغرب هضبة السماوة والشام. هذه الأرض "السهلية" الخصبة جعلت الاندماج بين الفئات السكانية المختلفة "سهلاً"، فليس هنالك تضاريس وحواجز صعبة تسمح بوجود جماعات لغوية أو دينية متمايزة ومنطوية على ذاتها. لهذا فإن سكان هذا القسم ظلوا على مدى التاريخ متشابهين لغوياً ودينياً وسياسياً مع فروق مذهبية ثانوية لولا التأثيرات السياسية الخارجية. يلاحظ أن السكان عموماً ناطقون بالعربية ومسلمون بأغلبية شيعية مع نسبة أقل من السنة الحنفية في الأنبار وبغداد وسامراء الواقعة

تقريباً ضمن سهل بغداد. علماً بأن أبناء هذين المذهبين الشيعي والحنفي متقاربون جداً من الناحية التاريخية والثقافية والسكانية رغم التأثير السلبي لسياسة الدولة الطائفية (عثمانية ثم عراقية). هنالك أيضاً وجود مسيحي مهاجر بمعظمه من الشمال كذلك طائفة الصابئة القادمة من أهوار الجنوب ثم الأرمن القادمين من أرمينيا بالإضافة إلى الطائفة اليهودية التي غادرت في الخمسينات، وأيضاً الفيلية الناطقين بلغة خاصة (مسلمين شيعة) والقادمون منذ قرون من المناطق الشرقية العراقية وكذلك التي في داخل الحدود الإيرانية. يلاحظ أن هذه الفئات غير الناطقة بالعربية أو غير المسلمة، متداخلة اجتماعياً وثقافياً ومكانياً مع المحيط الإسلامي العربي وكلها أصبحت العربية لغتها الأم، لأن السهول لا تسمح بالتقوقع وتفرض روح الامتزاج والتماثل.

- القسم التضاريسي وهو الأصغر والمتمثل بمنطقة الشمال، أي المحافظات الواقعة شمال بغداد حول القسم الشمالي من دجلة وروافده وهي تكريت والموصل (بغالبية عربية) وكركوك (بغالبية تركمانية) وأربيل والسليمانية ودهوك (بغالبية كردية)، مع تواجد مهم للسريان واليزيدية في جميع النواحي. وكان يطلق على هذا القسم الشمالي سابقاً (ولاية الموصل) والتي ظلت تشكل العراق مع ولايتي السهل أي بغداد(الوسط) والبصرة (الجنوب).

يتميز هذا القسم الشمالي بوجود تنوع كبير بالتضاريس حيث تتضاءل المساحات السهلية وتكثر المرتفعات والجبال التي تزداد وعورة وارتفاعاً كلما صعدنا شمالاً واقتربنا من الحدودين التركية والإيرانية، إذ تتكاثر هناك نسبة الأكراد مع تعقد التضاريس ووعورة الجبال. هذه التضاريس على مر التاريخ شكلت حواجز ومحميات طبيعية للجماعات المتمايزة لغوياً ودينياً. فمن حيث اللغات هنالك العربية ولغتان كرديتان (سورانية وبهدنانية) والتركمانية والسريانية. ومن حيث الأديان هنالك الإسلام والمسيحية واليزيدية. ومن حيث المذاهب هنالك السنة بمختلف مذاهبهم مع سيادة طريقتين صوفيتين متنافستين لدى الأكراد هي القادرية والنقشبندية مع وجود مهم للشيعة خصوصاً بين التركمان، بالإضافة إلى طوائف الكاكائية والشبكية والعلي اللهية. صحيح أن هنالك تداخلات كثيرة بين السكان وخصوصاً في المدن الكبرى مثل الموصل وكركوك وأربيل، إلا أنه هنالك أيضاً حواجز ثقافية دينية لغوية كبيرة وخلافات سياسية كثيراً ما أدت ولا زالت تؤدي إلى مصادمات عنيفة ومشاريع متنافسة. بل إن الانقسامات موجودة حتى في داخل الفئة اللغوية والدينية الواحدة. المسيحيون الناطقون بالسريانية منقسمون إلى كلدان كاثوليك وآثوريين نساطرة وسريان يعاقبة مع جماعات بروتستانية صغيرة. التركمان منقسمون بالتساوي إلى شيعة وسنة. أما الأكراد فإن انقسامهم أكبر وأشد من الناحيتين المذهبية واللغوية:

- لغة سورانية وطريقة قادرية في منطقة سوران ومركزها السليمانية وحدود إيران.
- لغة بهدنانية وطريقة نقشبندية في منطقة بهدنان ومقرها دهوك وحدود تركيا.

أما مدينة أربيل التي أصبحت حالياً عاصمة سلطة البرزاني فهي تاريخياً وجغرافياً خارج المنطقة الكردية وجزء طبيعي وسكاني من وادي الرافدين بتنوعه الديني والاقوامي (تركمان وسريان) مع أغلبية كردية ناطقة بالسورانية نزحت من الجبال المحاذية في القرون الأخيرة.

علماً بأن السوارنية والبهدنانية (الكرمنجية) لا يمكن تسميتها بلهجات بل هي لغات مختلفة بحيث يصعب التفاهم بينها، ثم إنها لغات مكتوبة لديها صحفها وكتبها المختلفة وحتى أبجديتها المختلفة، حيث تتبنى السورانية الأبجدية العربية، أما البهدنانية فقد تبنت في تركيا الأبجدية اللاتينية. والفروق بين هاتين اللغتين أشبه بالفروق بين السريانية والعربية والعبرية التي رغم أساسها السامي المشترك فإنها ليست لهجات متقاربة بل لغات مختلفة يصعب التفاهم بين الناطقين بها.

لقد لعب دائماً هذا الانقسام اللغوي والمذهبي الكردي دوراً أساسياً في الانقسام السياسي الدائم بين تياري الطلباني والبرزاني. رغم كل الدعم الدولي والحماية الأمريكية فإن هذا لم يمنع من انقسام منطقة الحماية إلى إدارتين كرديتين متنافستين

إلى حد القتال. والطرفان ضد أكراد تركيا وحزب أوجلان حيث ينتشر المذهب العلوي ولغتان أو لهجتان كرديتان مختلفتان هما الكرمنجية والزازائية*.

إن تضاريس القسم الشمالي لم تلعب دوراً فقط في تقسيم السكان، بل أيضاً منحت القوى السياسية مجالاً جغرافياً من أجل ممارسة العنف المسلح ضد الدولة حيث شكلت الجبال الحدودية معقلاً آمناً للميليشيات الكردية. أفضل تعبير عن خصوصية القسم الشمالي وصعوبة السيطرة عليه بسبب التوترات الدائمة النابعة من الفروق والمستثمرة بصورة دائمة من قبل الجارين الإيراني والتركي، حيث التمردات الكردية مستعرة منذ تكوين الدولة العراقية وحتى الآن. بل إن هذه المنطقة الجبلية ظلت متمردة ضد بعضها البعض منذ سحيق التاريخ وهي دائمة الحروب والصراعات القبلية المرتبطة كل منها بإحدى القوى الحضارية الثلاثة المتنافسة المحيطة: إيران والعراق وتركيا. ويبدو أن هذا الوضع الصعب لم يهدأ مع الزمن بل ازداد تعقيداً ومخاطر في القرن العشرين مع الدخول على الخط للقوى العالمية الكبرى المتنفذة: أوربا وأمريكا والسوفييت وإسرائيل.

التشرذم والمشاريع الامبراطورية

لتصوير مدى حالة التشرذم والتلخبط وجنون العظمة التي تسيطر على الشمال العراقي، يكفينا القول إنه الآن يوجد في هذه المنطقة أربعة مشاريع انفصالية امبراطورية متنافسة:

- مشروع كردستان الكبرى: الذي يطالب بكل شمال العراق (ولاية الموصل) التي يطلق عليها تسمية قومية عنصرية (كردستان الجنوبية) بالإضافة إلى أجزاء هامة من شمال سوريا وجنوب تركيا وغرب إيران، مع أجزاء من أرمينيا وآذربيجان!! تمتد طموحات هذا المشروع من شواطئ الخليج (الأحواز) حتى البحر المتوسط (الاسكندرونة) !!

- المشروع الطوراني (التركي): الذي تنادي به الأطراف القومية التركمانية والذي يطالب أيضاً بضم ولاية الموصل كلها إلى تركيا وخلق أمبراطورية تركية تمتد من حدود الصين إلى يوغسلافيا !!

- مشروع آشورستان الكبرى: والذي تنادي الأطراف القومية الآشورية (السريانية) التي هي الأخرى تطالب بكل ولاية الموصل وشمال سوريا وجنوب تركيا من أجل إعادة أمجاد "الأمبراطورية الآشورية"!!

والطريف أن لكل واحد من هذه التيارات هنالك ما لا يحصى من الأحزاب والمنظمات المتنافسة والمنقسمة بين يمين ويسار ووسط ومتدين، وكل منها تتعامل مع إحدى الدول المحيطة بالإضافة إلى القوى العالمية !!

- المشروع العروبي: أما بالنسبة للناطقين بالعربية في الموصل وتكريت، فإنهم أيضاً لم يخرجوا من لعبة المشاريع القومية الامبراطورية، لهذا فإنهم أخذوا الريادة في قيادة التيار القومي العروبي في العراق منذ بدايات تكوينه في أوائل القرن العشرين وتزويده بالعناصر العسكرية والحكومية منذ تكوين الدولة الملكية وصولاً إلى الفئة البعثية التكريتية الحاكمة منذ عام 1968. لا يمكن أبداً فصل مسألة التعصب العروبي لدى نخب الموصل وتكريت عن مسألة وجودهم في محيط منافس لغوياً وسياسياً ومتحالفاً مع قوى خارجية طامحة للسيطرة على المنطقة. ليست صدفة أبداً إصرار نخب هذه المنطقة على احتكار الجيش وبلوغ السلطة والتمسك بها والتعصب المغالي للفكرة العروبية الرافضة للآخر المختلف مهما كان اختلافه: لغوياً قومياً

---

* ان الناظر بعمق الى الفروق اللغوية والثقافية وحتى الشكلية بين الجماعات الكردية يكتشف انهم يستحقون تعبير (شعوب كردية): الشعب السوراني في العراق وايران، والشعب البهديناني الكرمانجي في العراق وتركيا، الشعب الزازائي في تركيا، والشعب الفيلي في العراق وايران .. نعم انها (شعوب كردية) مثلما يقال (شعوب عربية) رغم انها تتكلم بلغة عربية واحدة، لكنها مختلفة اللهجات والتواريخ والانتماءات الثقافية والسياسية. كذلك هنالك الشعوب التركستانية. في الفصل الثاني من هذا الكتاب قمنا بتفصيل هذا الموضوع.

ضد الأكراد والتركمان، المتهمين بالانفصالية والعمالة للأجنبي. ثم مذهبياً ضد العرب الشيعة في الوسط والجنوب، المتهمين بالشعوبية والقطرية والتبعية لإيران !!

إنه لخطأ كبير ذلك التصور التبسيطي السائد لدى العراقيين بأن طغيان الميول المتقوقعة والمحافظة لدى نخب الموصل وتكريت نابع من عقدة طائفية أو تأثير بدوي عشائري! إن مثل هذ التصور ينسى أن أهل الموصل وتكريت بعيدون تماماً عن البادية ومناطقهم زراعية تقع حول نهر دجلة وفيها أعرق المدن الحضارية العراقية وساهم أهلها بشكل فعال بكل مراحل التاريخ الحضاري العراقي منذ السلالة الآشورية ثم العصرين المسيحي والإسلامي وحتى الآن. لا العقيدة المذهبية ولا البداوة هي التي خلقت هذه الميول المتشددة بل هي البيئة التضاريسية والظروف التاريخية القاسية والمخاوف الدائمة من ضغوط الفئات العراقية غير العربية المنافسة والمدعومة من الجارين الطامعين تركيا وإيران. ثم إن نخب الموصل وتكريت ليست أسوأ من باقي النخب العراقية في كل أنحاء العراق من ناحية ضعف الرؤية الوطنية الشمولية وانعدام الإيمان الحقيقي بهوية موحدة لكل فئات الأمة العراقية. إن هشاشة الموقف الوطني لجميع النخب العراقية سمح لنخب تكريت والموصل أن تعمم مخاوفها الخاصة وروح التقوقع التضاريسي على كل الوضع العراقي وتفرضه بالقوة على الدولة العراقية الوريثة لانعزالية الولاة العثمانيين.

إن هذا العامل التضاريسي والسكاني غاب عن جميع التحليلات المتعلقة بموضوع التعصب الطائفي والقومي والمكاني للنخب العسكرية والحزبية الحاكمة. من الخطأ اعتبار سنة العراق جميعهم متشابهين ومشتركين في هذا الموقف المتعصب عشائرياً وقومياً وطائفياً. إن المشكلة لا تنبع من التكوين المذهبي بل من التكوين المكاني. إن البحث الموضوعي ومراجعة العامل البيئي الجغرافي يكشف لنا عن فرق واضح بين سنة التضاريس (الموصل وتكريت) وسنة السهل (سامراء وبغداد والأنبار). إن سنة السهل الذين لا يعانون في مناطقهم لا من الضغط اللغوي القومي ولا من الضغط الطائفي، بالإضافة إلى مجاورة أهل الأنبار لجار عربي يتمثل بسوريا المشتركة معهم لغوياً ومذهبياً والمتداخلة سكانياً. ثم إنه ليست هنالك تضاريس تخلق التقوقع بل انفتاح سهلي فرض تداخلاً سكانياً وثقافياً عميقاً بين السنة والشيعة، خصوصاً في مدينتي سامراء وبغداد حيث يسود الانفتاح والتزاوج ويقل التعصب من جميع النواحي. إن اضطرار الفئة الحاكمة لشن حملات قمع وإبادة ضد العناصر السامرائية والعانية والجميلية وغيرهم من سنة السهل بالإضافة إلى الرفض العميق لمشاركة سنة بغداد في الحكم، لهو دليل واضح على وجود هذا التمايز في العقلية والميول بين القسم التضاريسي والقسم السهلي من أبناء المذهب الواحد.

تآمر الدولة والنخب ضد الوطن

إن مشكلة هذا القسم الشمالي جزء من مشكلة العراق كله حيث فشلت النخب المؤثرة بإيجاد أي حل لجميع مشاكل الوطن خلال ما يقارب القرن. بل زادت المشاكل وتفاقمت صعوبة وكوارث. ومثل جميع الأوطان فإن هنالك طرفين متداخلين في المسؤولية عن وضع العراق ومصيره:

أولاً - الدولة العراقية: لقد ظلت الدولة منذ الاستقلال وحتى الآن وارثة للعقلية العثمانية المغتربة والانعزالية ومحكومة عموماً من قبل الفئات القادمة من مناطق التضاريس، والتي فرضت مخاوفها وتقوقعها، وجعلت الدولة العراقية دولة متوترة خائفة تعوض عن عزلتها السكانية المناطقية بالقوة العسكرية المخابراتية وتسعير الحروب الداخلية والخارجية. ثم إن هذه الفئة جهدت أن تخفي شعورها بالأقلية الاقوامية والطائفية الرافضة للأغلبية الوطنية عبر محاولة الانتماء لشعارات طنانة عن الأمة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة !! نعم إن شعارات الأمة العربية لم تكن حقيقية ونابعة من الحاجة الفعلية لها، وأكبر دليل على انعدام الصدق لدى أصحاب هذه الشعارات أنهم منذ أن استلمو السلطة، لم يفشلوا بخلق الوحدة مع سوريا والدول العربية المحيطة وحسب بل إنهم قاموا بكل ما من شأنه بتوتير الأجواء وقطع العلاقات وتبرير المؤامرات وحتى شن الحروب الظالمة مثل

حرب الكويت. الحقيقة المطلقة التي أثبتها الزمن: إن الشعارات الطنانة عن رسالة الأمة العربية استخدمت للتعويض عن التغييب المقصود للأمة العراقية والهوية الوطنية الشاملة.

ثانياً - النخب الفاعلة: لكي يتم تجنب الأحكام التبسيطية السهلة التي تلقي كل مسؤولية ديمومة الكارثة العراقية على كاهل نخب الحكومة أو الفئة الفلانية، فإنه من الصحيح القول إن المسؤولية الكبرى والتقصير العظيم يقعان على عاتق جميع النخب الثقافية والسياسية العراقية (ليبرالية وقومية وأممية ودينية). إن التقصير الكبير الذي مارسته هذه النخب أنها لم تنتبه إلى ضرورة إنجاز أول وأكبر المهام الملقات على عاتق أي نخبة وطنية في أية أمة تبتغي التحرر وبناء الوطن: ((إعادة إحياء الهوية الوطنية من خلال التنظير الفكري والسياسي وإعادة كتابة التاريخ بصورة ترد الاعتبار لجميع الفئات الاقوامية والدينية والمذهبية..)). صحيح إن المثقفين العراقيين بمختلف أصولهم الفئوية والفكرية قد عبروا عن هويتهم العراقية الأصيلة في جميع النتاجات الفنية والأدبية، وقد قدمت الثقافة العراقية رموزاً إبداعية وهاجة في جميع المجالات. لكن المشكلة الكبرى تكمن في غياب (الآيدلوجية) الوطنية الشاملة والعميقة. علماً بان الآيدلوجية ليست هي التي تخلق الهوية الوطنية، بل هي التي تكشف عن وجودها الموضوعي الموروث. أي إن الآيدلوجية الوطنية تخلق (الوعي بالهوية) وليس (الهوية)، مثل الذي يمتلك كنزاً لكنه يجهل وجوده.

إن ظروف التاريخ والجغرافية والتشتت اللغوي والديني والمذهبي جعلت النخب العراقية من أكثر النخب العربية تبعية لآيدلوجيات خارجية جاهلة تماماً للخصوصية الوطنية بنواحيها الجغرافية والتاريخية والعقلية. رغم تمايز هذه التيارات ومعارضتها عموماً لطغيان الدولة الانعزالية، إلا أنها بسبب انمساخها الفكري وتبعيتها الفكرية للخارج: ((الغربي والعربي والأممي والديني))، فإنها فشلت تماماً بخلق آيدلوجية وطنية عراقية أصيلة تساهم بالكشف وإحياء الهوية العراقية الجامعة لمختلف الفئات اللغوية والدينية.. هوية وطنية قادرة على خلق أساس روحي فكري لدولة عراقية ممثلة وشاملة لجميع تنوعات الأمة العراقية. بصورة مختصرة يمكن القول إن جميع النخب العراقية وقعت مع الزمن في براثن عقلية الدولة الانعزالية من خلال تبني الثقافة العرقية والقومية الانفصالية الرافضة تماماً للثقافة الوطنية الشاملة والأصيلة. من المثير للعجب أن جميع التيارات العراقية ظلت تختلف وتتصارع حتى الموت حول أبسط الامور والمفردات والشعارت الطنانة، إلا أنها كلها اتفقت على ناحية واحدة وحيدة: ((رفض الانتماء السياسي والتاريخي العراقي من خلال تبني وتبرير مشاريع كبرى رافضة تماماً لحدود الوطن ودولته: قومية عروبية وكردوية وطورانية وأشورية، وأممية ودينية)) !!

الفصل الثاني

الاقوام الكردية .. تاريخها وحقوقها*

* قامت المحامية البغدادية الكردية (عشتار البرزنجي) بالتنسيق معنا بالاشراف على اختيار وتنسيق مواضيع هذا الفصل الخاص بالاكراد.

مدينة أربيل عاصمة الاقليم الكردي، وتبدو القلعة التاريخية التي كانت بالاصل معبداً آشوريا عراقياً لعشتار. وحتى اوائل القرن العشرين لم تكن اربيل بغالبية كردية، ولكن الهجرة من الجبال المحيطة حولتها الى غالبية كردية وأصبح التركمان والسريان اقلية.

تاريخ الاقوام الكردية

قبل الدخول في موضوع تاريخ الاكراد يتوجب توضيح سبب استخدامنا لتعبير "الشعوب الكردية" وليس "الشعب الكردي" كما هو سائد. صحيح اننا اشرنا في ملاحظة سابقة لهذه الدوافع، لكن هنا مجال تفصيلها.

من المعلوم ان الوطن الاصلي والحقيقي للشعوب الكردية هي سلسة جبال زاغاروس الفاصلة بين العراق وايران والمتصلة بجبال طوروس والقفقاس. ان الشعوب الكردية هي بحق شعوب جبلية وهذا سر توحدها حول هذا الاسم (كوردو) والذي يعتقد انه يعني باللغة السومرية (سكان الجبال). لكن هذه الجبال التي خلقت نوعا من التشابه الثقافي والتقاليدي والمشاعري بين هذه الجماعات المختلفة، الا انها ايضا شكلت مانعا كبيرا امام امكانية توحدها بشعب واحد ولغة واحدة ودولة واحدة. لو اخذنا شعب سويسرا مثلا فانه شعب جبلي بكل معنى الكلمة وموقع سويسرا يشبه كثيرا موقع كردستان من حيث هي منطقة جبلية محصنة ومحاطة من كل ناحية باكبر القوى الحضارية في الشرق الاوسط: (العراق وايران والاناضول)، بينما سويسرا محاطة باكبر القوى الحضارية في اوربا الغربية: (فرنسا وايطاليا والمانيا). لكن سويسرا توفر لها عامل جغرافي حاسم مكنها من التوحد سياسيا بدولة واحدة، رغم الاختلافات اللغوية والمذهبية، حيث توجد اللغات الالمانية والفرنسية والايطالية مع المذهبين الكاثوليكي والبروتستاني. ان الناظر الى جغرافيا سويسرا يكتشف ان العامل المهم والحاسم في هذه الوحدة السياسية هو التالي: ان سويسرا تتكون من اكبر سلسلتين جبليتين في اوربا، سلسة جبال الالب وسلسة جبال جورا، وتتشكل بين هاتين السلسلتين هضبة واسعة كبيرة تمتد من شمال سويسرا حتى جنوبها، بالاضافة الى وجود وادٍ شاسع طويل يشق جبال الالب هو وادي نهر الرون. حول هذه الهضبة وهذا الوادي تشكلت الوحدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السويسرية. بالاضافة الى ان هذه الهضبة وهذا الوادي شكلا معبرا استراتيجيا لكل الرحالة والتجار والغزاة الاوربيين للانتقال من جنوب اوربا الى شمالها، من اشهر هؤلاء الغزاة الذي عبروا سويسرا هانيبعل ونابليون، بل حتى عرب الاندلس تسرب بعضهم واستقروا في منطقة الفاليه حيث لا زال احفادهم يحملون اسماء عربية. ان جبال سويسرا لعبت دورا مزدوجا تكامليا ، من ناحية انها شكلت مانعا اساسيا امام تهديد القوى الكبرى المحيطة، الالمانية والفرنسية والايطالية، ومنحت السويسريين صفات اهل الجبال المعروفة بالصرامة والقدرة الكبيرة على العمل والتحمل، ومن ناحية ثانية ان وجود الهضبة والمعابر الستراتيجية جمعت شملهم سياسيا واقتصاديا ثم خلصتهم من انغلاق اهل الجبال وعزلتهم الحضارية واكسبتهم القدرة الثقافية من خلال الاحتكاك بالعابرين الاجانب والاطلاع

الدائم على مستجدات المدنية. لكن رغم هذا الاحتكاك الحضاري فأن سويسرا ظلت طيلة تاريخها عاجزة عن تكوين مركز مديني مهم، فهي حتى اواخر القرون الوسطى عبارة عن مجمعات فلاحية تابعة للقوى الخارجية المحيطة.

التاريخ الثقافي للاقوام الكردية

ان الجبال الكردية لسوء الحظ، لم تمتلك لا هضبة جامعة ولا واد نهري اساسي يمكن حولهما ان تنصهر الجماعات الكردية المختلفة وتتوحد وتشكل دولتها المتميزة. لهذا فان هذه الجماعات رغم كل تشابهاتها الثقافية الجبلية إلا أنها طيلة التاريخ لم تنجح ولا مرة واحدة ان تتوحد وان تكون دولة مركزية جامعة، بل هي في اقصى الاحوال شكلت امارات محلية متنافسة وتابعة للقوى الكبرى المحيطة، ولنا مثال حالي يتمثل بامارتي "الطلباني والبرزاني" المتنافستين.

اما العامل الجغرافي الثاني الذي يميز الاكراد عن السويسريين فأنه يتمثل بكون الجبال الكردية مغلقة وممراتها ضيقة ومحدودة لم تسمح بمرور التجار والغزاة المغامرين واختلاطهم واستقرارهم مع السكان، وهذا ما منع من تشكل أي مركز حضاري تاريخي معروف في المناطق الكردية، رغم وجود الحضارات الكبرى المحيطة، العراقية والايرانية والاناضولية. طبعا هذا لم يمنع من الهجرة الدائمة للاكراد افراداً وجماعات الى هذه المراكز الحضارية المحيطة ولعبهم دورا حضاريا كبيرا. يكفي القول بأنه في التاريخ العراقي منذ القدم وحتى الان هنالك ما لا يحصى من العناصر الكردية التي لعبت ادوارا متميزة في الابداع الحضاري في كل جوانبه. ان هذا الانغلاق الجبلي منح الاكراد هذه القدرة المتميزة على الصبر على مصاعب الحياة والاصرار على رفض الخنوع للغزاة والنزاهة والصدق في السلوك الانساني بالاضافة الى القدرات الحربية والجهادية التي جعلت طيلة التاريخ القوى الكبرى المحيطة تستعين بالمحاربين والاغوات الاكراد لدعم جيوشها. لكن ايضا هذه العزلة الجبلية وافتقاد المراكز الحضارية المركزية أخر كثيرا تكوين رصيد ثقافي مكتوب، فان التاريخ الثقافي الكردي هو اساسا تاريخ شفاهي مثل غالبية شعوب الارض. فمن المعروف ان الشعوب التي تمتلك تاريخا ثقافيا مكتوبا قديما تعتبر اقلية في العالم. ان مصر والعراق هما اقدم حضارتين مكتوبتين وبعدهما تأتي الحضارا ت الشامية والصينية واليونانية والهندية. اما حضارات شعوب اوربا فمعظمها لم تبدأ بتدوين ثقافتها الا منذ بضعة قرون او حتى قرن وبالذات شعوب شمال اوربا. ولنا ايضا مثال منطقة نجد والحجاز، فأن العزلة الصحراوية جعلت من الصعوبة الاتصال مع الخارج الحضاري وبالتالي عدم امكانية تشكل مركز حضاري مهم. قبل الاسلام كانت هنالك حضارة شفاهية شعرية، ثم بعد الاسلام اتجه الاستقرار الحضاري العربي الاسلامي نحو مراكز الحضارة التاريخية في العراق والشام ومصر.

بالنسبة للشعوب الكردية فأن هنالك ميراثاً شعرياً شعبياً مكتوباً بخط عربي وباللغة الكرمنجية يعود اقدمه الى القرن الحادي عشر ميلادي للشاعر علي الحريري والجزيري وغيره فيما بعد. اما التدوين الفعلي النثري باللغات الكردية فانه قد بدأ في مطلع القرن العشرين، حيث قام توفيق وهبي في العراق بتطويع الابجدية العربية لتناسب اللغات السورانية والبهدنانية، ثم قام الاخوان بدر خان في سوريا بتطويع الابجدية اللاتينية لتناسب باللغة الكرمانجية تشبها بالخطوة التركية*.

---

* هنالك عقدة لدى أصحاب الاتجاه القومي الكردوي بخصوص تاريخ الاكراد، اذ تراهم يصرون على "انتحال" تواريخ الشعوب المجاورة: الحضارة الميدية الايرانية والحضارة العيلامية الاحوازية بل حتى الحضارة الآشورية العراقية يحاول اتباع حزب العمال الكردي التركي اعتبارها حضارة كردية!! كل هذا لأنهم لا يمتلكون تواضع الحقيقة العلمية التي تقول بان هنالك اقلية من الشعوب التي تمتلك ميراثاً حضارياً مكتوباً (مثل مصر والعراق والشام والصين والهند واليونان والرومان)، وان معظم شعوب الارض تمتلك تاريخا حضاريا شفاهياً، بما فيها غالبية شعوب اوروبا، فلم لا الاكراد؟! في اخر الكتاب وضعنا ملحقاً بنماذج تزييف التاريخ الرائجة بين الكردويين.

ان الناظر بعمق الى الفروق اللغوية والثقافية وحتى الشكلية بين الجماعات الكردية يكتشف انهم يستحقون تعبير (شعوب كردية)، فهناك عدة فوارق اساسية تحتم هذه التسمية:

1 - فروق لغوية، تتمثل بوجود اربعة لغات مختلفة رغم تقاربها بدرجات متنوعة. ان التشابه بين هذه اللغات يكاد ان يكون بالدرجة التي تتشابه بها اللغة العربية مع السريانية والعبرية. هنالك لغة سورانية في القسم الشرقي من المنطقة الكردية العراقية، أي السليمانية وما حولها مع اربيل. وتسود هذه اللغة[**] ايضا في المناطق الكردية الايرانية المحاذية، في محافظة كردستان. وهنالك ايضا اللغة البهدنانية وهي في القسم الشمالي من المنطقة الكردية العراقية المحاذي لتركيا أي في دهوك وماحولها، وتسود هذه اللغة ايضا بين اكراد تركيا وتسمى بتسمية اخرى هي "الكرمانجية" وهي تكتب في تركيا بالابجدية اللاتينية تقليدا للاتراك. وهنالك لغة ثالثة هي "الزازائية" التي يتكلم بها قسم من اكراد تركيا. وهنالك ايضا لغة رابعة هي "الكرمنشاهية" التي تسود بين اكراد خانقين ومندلي وباقي المناطق الايرانية المحاذية مثل مدينة كرمنشاه. اما اللغة الخامسة فهي "الفيلية" المتأثرة كثيرا بالعربية واللورية وتسود في المناطق الجنوبية الحدودية بين افيلية الكوت وبغداد والمناطق اللورية في ايران.

يبدو ان هنالك اصراراً من قبل الاطراف الكردية السياسية والثقافية على غض الطرف عن هذه الحقيقة اللغوية المزعجة بسبب تناقضها مع المفهوم القومي التوحيدي السائد. وكما يعبر عن هذه الحالة المعقدة الباحث الفرنسي والمختص بالشؤون الكردية فيليب بولانجر:

(p.BOLANGER - la destin des kurds - L Harmattan - Paris 1998)، يقول: ((بالحقيقة ان التنوع اللغوي الكردي لا يعتبر مشكلة لانه موجود، بل لانه غير معترف به من قبل الاكراد انفسهم)) .. ص 241 ..

2 - الفروق المذهبية، صحيح ان جميع الشعوب الكردية تعتنق الدين الاسلامي، مع وجود اقلية مهمة بين اليزيدية من يتكلم الكردية، لكن الاكراد عموما مسلمون ويتوزعون على عدة مذاهب مختلفة ومتنافسة في كثير من الاحيان. في العراق تسود الطريقة القادرية بين السورانيين حيث تتزعمها عائلة الطلباني، وتسود بين البهدانيين الطريقة النقشبندية حيث تتزعمها عائلة البرزاني. اما المذهب الشيعي الاثنى عشري فيسود بين الفيلية في العراق وايران. اما بين اكراد تركيا فمع المذهب السني هنالك المذهب الشيعي العلوي، والزعيم الكردي التركي المعروف عبد الله اوجلان من اصل علوي.

3 - الفروق السياسية الوطنية: كما ذكرنا فأن عدم وجود عامل جغرافي مركزي جامع منع من توحد الشعوب الكردية بدولة واحدة. لهذا طيلة التاريخ ظلت المناطق الكردية متوزعة على انتماءات سياسية مختلفة ومتنافسة. هنالك التبعية المباشرة للعاصمة السياسية القريبة مثلما هو حال المنطقة الكردية العراقية حيث ظلت مرتبطة سياسيا وحضاريا بالعاصمة العراقية مثل باقي المناطق العراقية، منذ بابل وآشور حتى بغداد العباسية وصولا الى الدولة العثمانية وحتى العصر الحديث. ونفس الشيء يقال عن باقي المناطق الكردية في ايران والاناضول. وفي بعض الفترات التاريخية تتشكل في بعض المناطق امارات تابعة لاحدى القوى الكبرى لتقوم بدور الحماية الحدودية ضد القوى المنافسة، كما كان حال المنافسة بين الامارتين البابانية التابعة للعثمانيين والامارة الراوندوزية التابعة للايرانيين.

في العصر الحالي وبعد تشكل الدول المركزية الحديثة في تركيا والعراق وايران تعمقت هذه الفروق السياسية الحضارية بين الجماعات الكردية من جميع النواحي الثقافية والاقتصادية والسياسية. فاكراد ايران لا تتشابه ثقافتهم ولا ظروفهم الاقتصادية

[**] ان وجود لغات كردية مختلفة ليس كلاما اعتباطيا، بل هو حقيقة واقعية. فمثلاً ان السوراني لا يفهم البهديناني، بل يحتاجون مترجما بينهما بالعربي او التركي او الفارسي!!

ولا مصالحهم السياسية مع اكراد العراق واكراد تركيا. لنا على هذا مثال حي قريب، عندما تشكلت الامارتان الكرديتان في شمال العراق بعد حرب الخليج بزعامة كل من الطلباني والبرزاني، رغم كل دعاويهم القومية التوحيدية، فانهما اولا فشلا بالتوحد بينهما بسبب الفروق العديدة بين المنطقتين السورانية القادررية المحاذية لايران والبهدنانية النقشبندية المحاذية لتركيا. بل الاهم من ذلك انهما اضطرا ان يشاركا الجيش التركي في حربه الشعواء ضد القوة الكردية في تركيا.

من كل هذا يصح القول ان هنالك "شعوباً" وليس "شعباً" كردياً: الشعب السوراني في العراق وايران، والشعبين البهدناني والكرمانجي في العراق وتركيا، الشعب الزازائي في تركيا، والشعب الفيلي في العراق وايران .. نعم انها (شعوب كردية) مثلما يقال (شعوب عربية) رغم انها تتكلم بلغة عربية واحدة، لكنها مختلفة اللهجات والتواريخ والانتماءات الثقافية والسياسية. نفس الشيء يقال عن الشعوب التركستانية.

اصل الاكراد

لقد اختلف المؤرخون حول أصل الأكراد وطرحت عدة نظريات وافتراضات متنوعة: قبائل آرية نزحت إلى الجبال من إيران منذ القدم واختلطت بالقبائل الجبلية الأصلية. او قبائل سامية وسومرية رافدية نزحت إلى الجبال واختلطت بالقبائل الأصلية ثم خضعت للقبائل الآرية. أو قبائل جبلية أصيلة تبنت اللغة الآرية الإيرانية.

الحقيقة المعقولة التي يمكن استخلاصها من جميع هذه الفرضيات، أن الأكراد هم أولاً من القبائل الجبلية الأصيلة وهم ينتمون إلى العرق (الأرموندي أو القفقاسي) مثل سكان العراق القدماء ويعتقد ان السومريين، قد انحدروا من اعالي النهرين (القفقاس) نحو الجنوب الخصب الدافئ. لقد تعرضت الجماعات الكردية الاصلية خلال حقب التاريخ لهجرة القبائل الآرية القادمة من الشرق حيث الهضبة الإيرانية، وكذلك القبائل السامية النازحة من الغرب حيث وادي الرافدين.

يبدو أن العنصر الآري بسبب طبيعته الجبلية وامتلاكه قوة عسكرية وحضارية هو الذي تمكن أكثر من فرض لغته بحيث اعتبرت اللغات الكردية لغات آرية إيرانية. هناك الأسطورة التي ذكرها المؤرخ العراقي العباسي "المسعودي" والتي تقول من أن أصل الأكراد يعود إلى القبائل الإيرانية التي التجأت إلى الجبال هرباً من اضطهاد الملك الإيراني "الضحاك!".

ولكن هذه الشعوب الكردية تحمل ايضا في طياتها الكثير من التأثيرات السكانية والثقافية العراقية، سومرية وسامية وعربية وما اختلاف اللغات الا نتيجة اختلاف الاصول. إن البحوث التي أجراها علماء الأجناس على الأكراد أثبت هذه الحقيقة، ولوحظ خصوصاً أن الأكراد في غرب زاغاروس أي في المناطق المحاذية للرافدين قريبون عرقياً وثقافياً إلى سكان شمال الرافدين. (راجع الموسوعة الإسلامية – العراق، كردستان). إن الأساطير المتداولة لدى الأكراد تعبر عن هذه الحقيقة. هناك الأساطير الشعبية الكردية التي يتداولها خصوصاً أكراد العراق والجزيرة والتي تذكر أن جدهم أصله من (بني ربيعة أو بني مضر) وقد هرب بحبيبته إلى الجبال ثم (كردها) أي تزوجها فأصبح أبناؤهم أكراداً، علماً أن فعل (كرد) وهمي ولا يوجد بالعربية، لكن هناك من يعتقد أن تسمية (كرد) متأتية من السومرية بمعنى (جبلي)!. إن هذه الأسطورة تعبر عن ذكريات قديمة تعود إلى القبائل السامية ثم العربية التي قطنت وذابت في الأكراد، ومنهم قبائل ربيعة ومضر التي كانت تسيطر على الجزيرة بجوار الأكراد. لازالت حتى الآن حالة التمازج هذه واضحة في العراق، لدى بعض القبائل العربية المجاورة للقبائل الكردية مثل بعض أقسام من بني ربيعة والقيسيين والجبور وتميم والبيات، حيث تسود بينهم اللغتان العربية والكردية وأحياناً التركمانية كذلك، بالإضافة إلى الانتماء والتزاوج العرقي المشترك. وبالعكس هناك قبائل كردية معروفة تعتقد بأصولها العربية القديمة مثل قبائل الجاف وبابان والحفيد والطلباني وغيرهم. ويذكر الرحالة الأوربي (هاي) الذي زار المنطقة في أوائل هذا القرن: "يفخر كل زعيم كردي تقريباً بأنه ينحدر من أصل عربي، ويحاول إرجاع نسبه إلى النبي أو أحد صحابته" (عن عزيز الحاج - القضية الكردية - ص84)

وتبدو هذه الحالة بدرجة أكبر بين الأكراد (الأفيلية) في (خانقين وديالى والكوت) الممتزجين باللور والعرب. وهناك مثل آخر على التمازج السرياني العربي - الكردي يتمثل بطائفة اليزيدية كما سنرى لاحقاً. من النماذج التاريخية المعروفة التي تعبر عن هذا التمازج هو (صلاح الدين الأيوبي) الذي تمكن بأصله العراقي الكردي أن يكون سلالة عربية كردية حكمت الشام ومصر. هل هي صدفة أن أول صحيفة كردية باسم (كردستان) قد صدرت في القاهرة عام 1898.

اما بالنسبة للتأثير الثقافي فيكفي ملاحظة اللغات الكردية وماتحمله من خزين من المفردات السومرية والسامية الاكدية والسريانية والعربية، وما انتشار الابجدية العربية بين الاكراد الا دليل على ذلك.

مشكلة مساحة كردستان

بالنسبة للتاريخ السياسي للأكراد وتكوين (كردستان)، فإن المرة الأولى التي تم فيها استخدام مصطلح (كردستان) كان في زمن السلاجقة التركمان في العصر العباسي (1157م). لقد كون السلاجقة مقاطعة بهذا الاسم مركزها (بهار) في شمال غربي همادان ومحاذية لآذربيجان. هذه المقاطعة كانت تمثل الجزء الشمالي من جبال زاغاروس، أي عموم (منطقة شهرزور) التي كانت تشمل (مقاطعة كردستان) الإيرانية الحالية واحيانا ايضا محافظة (السليمانية) الحالية في العراق.

الذي يستحق الانتباه في تاريخ (كردستان) أن مساحتها الجغرافية كانت تتوسع مع مر القرون، وهذا يدل على توسع الهجرة الكردية إلى مناطق جديدة كانت مقطونة بشعوب أخرى، نحو الجنوب حيث مناطق بختيار واللور، ثم نحو الشمال حيث بلاد الأرمن وآذربيجان، ثم نحو الغرب حيث منطقة الجزيرة (شمال الرافدين)، مثلاً في (عام 1349 م) أي بعد قرنين من تكوين مقاطعة كردستان، نرى مصطلح (كردستان) قد توسع حسب المؤرخ حمد الله مصطفى ليشمل كذلك مناطق جديدة في الشمال والجنوب وفي عام (1596 م) نرى المؤرخ شرف الدين في كتابه (شرف نامة) يتوسع في تعريف بلاد الأكراد نحو الجنوب لتشمل كذلك كل (مقاطعة لورستان) أي إقليم الجبال بأجمعه بعد أن كان نصفه منذ أربعة قرون! بعد ذلك يأتي المؤرخ التركي (الشلبي) (عام 1682) يتوسع بدوره بمساحة (كردستان) نحو الشمال لتشمل الجزء الأكبر من أرمينيا السابقة (ولايات أرضروم ووان وحكاري)، وكذلك يتوسع بـ (كردستان) إلى الغرب نحو (منطقة الجزيرة) الرافدية لتشمل دياربكر والعمادية والموصل وأربيل وكركوك، ثم إلى الشمال الغربي آذربيجان الغربية! (راجع الموسوعة الإسلامية بالفرنسية والإنكليزية - قسم الأكراد). حتى اوائل القرن العشرين ان مدينة اربيل لم تكن بغالبية كردية، بل هنالك التركمان والسريان والعرب، ولكنها في السنوات الاخيرة اصبحت بغالبية كردية!

عوامل التوسع الكردي

كيف يمكن أن يفسر هذا التوسع في مساحة (كردستان)؟ خلال بضعة قرون تضاعفت عدة مرات مجالات سكنى الأكراد لمناطق لم تكن كردية خلال حقب التاريخ السابقة ومقطونة بشعوب أخرى مثل اللور وبختيار والأرمن والسريان والعرب!

إن الإجابة على هذا التساؤل يستوجب العودة إلى التاريخ، بالذات إلى الفترة التي أعقبت الفتح العربي الإسلامي وتكوين الامبراطوريات والدول الإسلامية. أية قراءة لتاريخ هذه الدول العربية والإيرانية والتركية التي نشأت بعد الإسلام تكشف بشكل جلي عن وجود العنصر الكردي في جميع الحروب والمنافسات والتغيرات السياسية والعرقية التي جرت منذ القرن السابع وحتى الآن. يمكن تعداد العوامل الرئيسية التي ساعدت على التوسع الجغرافي - السكاني الكردي خلال قرون الإسلام:

1 - العامل الجيو - سياسي: حيث يقطن الأكراد تاريخياً في مناطق جبلية تشكل الجزء الشمالي من جبال زاغاروس، وتشرف هذه المناطق خصوصاً على سهول وادي الرافدين، والمناطق المنخفضة من آذربيجان وأرمينيا. ثم إن منطقة كردستان الجبلية محاطة ببلدان شكلت أكبر المراكز الحضارية العالمية المتنافسة منذ القدم، وادي الرافدين من الغرب، وهضبة إيران من

الشرق، وهضبة الأناضول وأرمينيا من الشمال. وموقع الأكراد هذا منحهم ميزة لعب دور وسطي بين هذه المناطق الحضارية الكبرى، بما يحتويه هذا الدور من منافع ومضار. ولا زالت هذه الحالة تفرض نفسها على الأكراد حتى الآن، وفيها يكمن سر ضعف وتشتت القوى الكردية، ولكن أيضاً فيها يكمن سر أهمية الأكراد وتكوينهم القومي!

2 - عامل البداوة: إن الكثير من الأكراد وحتى القرن الحالي كانوا قبائل رعاة ورحل يتنقلون بين الجبال والوديان، حيث يصعدون إلى الجبال صيفاً ويهبطون شتاءً في الوديان والسهول الدافئة بحثاً عن الكلأ. إن عملية (تكريد) المناطق غير الكردية بواسطة هذه القبائل ظلت شائعة حتى القرن الحالي. مثلاً، من القبائل التي تم توطينها في أوائل هذا القرن هم "الجاف والهركية والبولي والخيلاني". يورد المؤرخ الكردي قاسملو مذكرة أرسلتها الحكومات الأوربية إلى تركيا عام1880. ((لما كان الأكراد الرحل الذين يعيشون في الجبال والذين يهبطون إلى الوديان التي يقطنها المسيحيون لا لغرض إلا لإشاعة الفوضى، ينبغي أن لا يحلوا في الإحصاءات التي تحدد من هم غالبية سكان المنطقة)) (الحاج - ص10)

3 - العامل الديني والمذهبي: إن العاملين السابقين لم يكتملا إلا بوجود العامل الديني والمذهبي الذي لعب دوراً حاسماً في منح الأكراد القوة السياسية والمعتقدية لكي يفرضوا وجودهم القومي المتميز في المنطقة. يبدو أن الأكراد قد اعتنقوا الإسلام بسهولة منذ القرن الأول الهجري وصاروا جزءاً فعالاً ومحارباً من الامبراطوريات والدول والإمارات الإسلامية التي توالت على المنطقة.

من ((حسن حظ)) الأكراد أن بعض الشعوب المجاورة لهم ظلت على مسيحيتها ولم تعتنق الإسلام، مثل الأرمن في بلاد أرمينيا والسريان في شمال الرافدين، وهذا الأمر منح الأكراد التبرير السياسي والديني لكي يتوسعوا سكانياً وجغرافياً في هذه المناطق.

ثم إن الاجتياح الآسيوي (التركي المغولي) قد لعب دوراً حاسماً في عملية التوسع الكردي. يبدو أن الإسلام كان عاملاً أساسياً لإيقاظ شعوب آسيا الوسطى ودفعها للتحرك والانسياح التاريخي نحو المنطقة الإسلامية والعربية حيث اجتاحت إيران والرافدين والشام حتى مصر: قبائل السلاجقة والتركمان والمغول، وأخيراً العثمانيون الذين اجتاحوا الأناضول وشرق أوربا وكل المنطقة العربية.

إن تحالفاً دينياً ومذهبياً قام بين هذه القبائل التركستانية والقبائل الكردية. خلال بضعة قرون تحولت كل آذربيجان الفارسية ومعظم أرمينيا والأناضول الإغريقية وشمال الرافدين العربي السرياني إلى مناطق تركية وكردية وأصبح سكانها الأصليون أقليات ضعيفة حتى ذابت وانقرضت تماماً في القرن العشرين.

بالنسبة لمنطقة "الجزيرة*"، بالإضافة إلى الدافع الديني لدى الأكراد (ضد السريان المسيحيين)، هناك أيضاً العامل الطائفي الذي لعب دوراً حاسماً لصالح التوسع الكردي، إن جميع القبائل التركية السلجوقية ثم المغولية التي اجتاحت المنطقة تبنت المذاهب السنية، وبما أن القبائل الكردية كانت كذلك على المذهب السني، هذا الأمر خلق تحالفاً بين الطرفين لمكافحة المذاهب الشيعية والخارجية التي كانت شائعة بين سكان شمال الرافدين. ثم تعمق التحالف مع قيام الدولة العثمانية التي تبنت المذهب السني "الحنفي" مقابل منافستها الدولة الإيرانية الصفوية التي تبنت المذهب الشيعي الجعفري، حيث لعب الأكراد دوراً مهماً في السيطرة على المد الشيعي والخارجي في منطقة الجزيرة وباقي بلاد الرافدين. وهذا الأمر دفع العثمانيين أيضاً إلى تشجيع التوسع الكردي "السني"، ثم السماح ابتداءً من عام 1515 مع السلطان سليم الأول بإقامة إمارات كردية شبه مستقلة على الحدود مع إيران (شهرزور والسليمانية) وفي منطقة الجزيرة (ديار بكر)، لنشر الإسلام "السني" ومكافحة الطوائف الأخرى

* منطقة الجزيرة هي القسم الاعلى من وادي النهرين أي من تكريت والموصل ثم القسم الاعلى الموجود حاليا في سوريا وتركيا.

من: شيعية وخارجية ويزيدية ومسيحية. ومن أشهر هذه الإمارات هي الإمارة البابانية التي ساعد العثمانيون على إقامتها عند الحدود مع إيران أي في منطقة السليمانية.

ويمكن ملاحظة دور العامل الطائفي في المسألة الكردية حتى في القرون المتأخرة، لقد عقدت معاهدة (أرضروم عام 1847) بين الدولتين العثمانية والإيرانية، إذ تنازل بمقتضاها العثمانيون عن مطالبتهم بمنطقة "المحمرة وعبادان" العربية العراقية "الشيعية" إلى إيران، لقاء تنازل إيران عن مطالبتها بمنطقة "شهرزور" الكردية "السنية". وتكرر الأمر في عهد الملك فيصل عندما تغاضى عن ضم إيران لإمارة المحمرة "الأحواز" عام 1925 لقاء قيام الإنكليز بقمع ثورة الحفيد وضم منطقة "السليمانية" إلى العراق. ثم تكررت الحالة في اتفاقية الجزائر عام 1975 إذ وافق صدام حسين على التنازل عن مطالبته بعربستان "الأحواز" بالإضافة إلى نصف شط العرب لقاء سحب إيران دعمها للثورة الكردية.

إن العناصر الكردية لعبت دوراً متميزاً في إدارة الولايات العراقية زمن العثمانيين. يمكن لأي مطلع على أسماء رجالات الإدارة في هذه الفترة أن يكتشف ما لا يحصى من العناصرالمعروفة بأصلها الكردي، ومن هؤلاء الكثيرون الذين انتموا للهوية العراقية الرافدية ولعبوا دوراً متميزاً في تشجيع الميول الاستقلالية عن الدولة العثمانية. على سبيل المثال يذكر دور العائلة الحيدرية وعائلة بابان وعائلة الزند التي أنجبت مفتي بغداد في القرن التاسع عشر ثم عائلة الزهاوي المعروفة التي أنجبت أيضاً مفتي بغداد وولده الشاعر جميل صدقي الزهاوي الذي كان من دعاة الاستقلالية العراقية. واستمر الدور الكردي المتميز كذلك بعد قيام الدولة العراقية عام 1921 حيث شاركت العناصر الكردية في جميع الوزارات والإدارات والقيادات العسكرية العراقية طيلة هذه الفترة وحتى الآن: صدقي والقزاز وبابان والطلباني وأمين والجاف ووهبي، ومئات غيرهم. ويمكن ملاحظة نفس الحالة تقريباً في تاريخ سوريا العثماني والفرنسي وملاحظة الأسماء الكردية التي لعبت أدواراً قيادية في الدولة والمجتمع.

يمكن القول إن العناصر الكردية (السنية) كانت ولا زالت مفضلة في أجهزة الدولة العراقية مقارنة بالعناصر العربية الشيعية. إن الإحصائيات ومراجعة أسماء رجالات الإدارة في العراق منذ العهد الملكي وحتى الآن تثبت هذه الحقيقة. (راجع مثلاً: تاريخ الوزارات العراقية. وأعلام الكرد - مير بصري).

مذابح السريان

إن بقاء سريان منطقة الجزيرة على مسيحيتهم جعلهم عرضة سهلة لاكتساح القبائل التركية والكردية المنحدرة من آسيا ومن الجبال المجاورة. ثم إن العامل المهم الذي شجع على التوسع التركي والكردي في منطقة الجزيرة هو ضعف العنصر السامي- العربي في القرون الأخيرة، بعد الاجتياح المغولي - التركي للمنطقة وسقوط بغداد والخلافة العباسية وفقدان العرب للقيادة السياسية. فإن القبائل العربية البدوية والعناصر العربية المستقرة قد فقدت عنفوانها التاريخي التوسعي السابق. ثم إن نشوء المدن والحواضر والمراكز العسكرية العثمانية في العراق والشام قد لعب دوراً في عزل منطقة الجزيرة عن بادية الشام وجزيرة العرب وإيقاف الموجات القبائلية العربية. هذا الأمر أدى إلى ضعف المجاميع السريانية والعربية المستقرة في الجزيرة، ثم إلى غلبة المجاميع الكردية والتركستانية الرعوية النازحة، وبالتالي "تكريد" و "تتريك" الكثير من المجاميع العربية والسريانية المستقرة سابقاً.

قبل الحديث عن المذابح وعمليات الاضطهاد التي قام بها الآغوات - الشيوخ الأكراد ضد السريان، يجب التأكيد قبل كل شيء أن هذه المذابح لم يقم بها الشعب الكردي الذي يشهد له التاريخ بدور كبير في حماية المسيحيين والتجاور معهم وحتى استقبالهم وحمايتهم في مناطق كردية مثل جبال حكاري وشهرزور وغيرها. إن هذه المذابح قام بها الشيوخ الأكراد المدفوعون

من قبل السلطات العسكرية العثمانية ولأسباب سياسية وتعصبية بحجة تعامل المسيحيين الأرمن والسريان مع الدولة الروسية والعملاء الإنكليز، بل إنه حتى البعثات التبشيرية المسيحية الغربية كانت تلعب دوراً بدفع الآغوات الأكراد لاضطهاد النساطرة واليزيديين لإجبارهم على اعتناق الكاثوليكية. ويمكن كذلك ذكر دور الحركة الصهيونية والقوى الغربية التي جهدت على تشجيع عملية التفتت القومي والطائفي للمنطقة من أجل التمهيد للمشاريع الاستعمارية والصهيونية المعروفة.

لقد اعتمدت الدولة العثمانية كثيراً على المحاربين والآغوات الأكراد من أجل حماية شرق الأناضول ومنطقة الجزيرة من الخطرين الإيراني والروسي. لقد كون السلطان عبد الحميد في أواخر القرن التاسع عشر فرقاً حربية شبيهة بفرق القوزاق الروسية، وتتكون هذه الفرق العثمانية أساساً من الأكراد وسميت بفرق "الحميدية". لقد قامت هذه الفرق ومعها الآغوات بدور كبير في طرد السريان من مناطقهم في الجزيرة (كذلك الأرمن في أرمينيا) وارتكاب مذابح كثيرة معروفة ضدهم وإجبارهم على الرحيل أو التحول إلى مسلمين أكراد. لقد عانى سريان شمال الرافدين من سبع مذابح كبرى خلال العصر العثماني وحتى الحرب العالمية الأولى. مثلاً بين عامي 1843-1847 قام الأمير الكردي بدرخان بإبادة ما يقرب 10 آلاف من سريان منطقة حكاري، والباقون اضطروا للهرب أو اعتناق الإسلام*. زمن السلطان عبد الحميد عام 1895 جرت مذابح ضد الأرمن وكذلك السريان كلفتهم ما يقرب 5 آلاف قتيل في ماردين والرها وتشريد آلاف العوائل. في عام 1908 بدفع من حركة تركيا الفتاة جرت مذابح ضد السريان في أدنا (شمال سوريا) كلفت أكثر من 800 قتيل وآلاف المشردين. أما أعنف المذابح وأقساها فهي مذبحة (1914-1919) التي ذهب ضحيتها أكثر من (300) ألف سرياني وتشريد أكثر من 100 ألف من مناطقهم، حسب الوثيقة التي وجهتها اللجنة الوطنية الآشورية لعصبة الأمم المتحدة عام 1919. وشملت هذه المذابح أيضاً ما يقرب المليون أرمني. بين عامي 1924-1926 تم طرد جميع سريان طور عبدين وماردين إلى سوريا والعراق.

يمكن إيراد مثال واحد على مدى قوة عملية "التكريد" التي حصلت في المنطقة: مدينة "ديار بكر - شمال الجزيرة" التي تعتبر ضمن كردستان تركيا وهي مدينة كردية خالصة حالياً. كانت حتى أواخر القرن التاسع عشر تتكون من (35) ألف نسمة منهم (4130) كردياً فقط بينما فيهم أكثر من (13) ألف سرياني. (حسب دائرة المعارف الإسلامية). علماً أن هذه المذابح وعمليات "التكريد" ظلت مستمرة حتى من قبل الحكومات العراقية التي شجعت على تهجير الكثير من سكان القرى والمناطق السريانية إلى الموصل وبغداد والخارج. ولا زالت حتى الآن تمارس عملية "التكريد" هذه في شمال العراق مع السلطة الكردية الحالية، وكذلك اعتداءات حزب العمال الكردستاني على بقايا السريان في "الجزيرة" جنوب تركيا.

مناطق أكراد الرافدين

إن هذه الوقائع وتاريخ منطقة شمال الرافدين تؤكد أن أكراد العراق وعموم منطقة الجزيرة، رغم تمايزهم اللغوي، فإنهم بكل يقين ممتزجون عرقياً وحضارياً بأحفاد حضارات الرافدين. إن مراجعة تاريخ المناطق العراقية التي تقطنها غالبية كردية تكشف أن هؤلاء الأكراد ما هم إلا من نسل تلك القبائل والمجاميع السامية السريانية العربية التي امتزجت وتزاوجت وذابت بالعنصر الكردي الغالب خلال حقب التاريخ البعيد والقريب. إن تاريخ مدينة "أربيل" التي أصبحت حالياً عاصمة للإدارة الكردية، يعتبر نموذجاً للمدن العراقية العريقة التي تم تكرديها في القرون الأخيرة:

* وخير مثال على تحول السريان المسيحيين الى الاسلام وتكريدهم نذكر قرى المنطقة المحلمية الواقعة في القسم الجنوبي من طورعبدين (جنوب شرق تركيا). فنتيجة المظالم والشدائد من قبل الاتراك واغوات الاكراد اعتنق هؤلاء الدين الاسلامي تخلصا من الظلم والقتل وذلك في عام 1583 م.

أربيل مدينة عراقية أصيلة

تقع أربيل في السهول الزراعية بين الزابين الأعلى والأسفل اللذين يصبان في نهر دجلة. تعتبر من أقدم المدن الحية في العالم. عثر في طرفها الجنوبي على تجمعات سكنية تعود إلى العهد الآشوري. قلعة أربيل المعروفة تمثل الجزء التاريخي من المدينة وتقوم على سبعة تجمعات سكنية مدثورة منذ العهد السومري. يرد اسم أربيل في المنحوتات السومرية باسم (اوربيلم)، وفي الوثائق البابلية والآشورية "أربعيلو" أي الآلهة الأربعة. كانت أربيل العاصمة الدينية للدولة الآشورية، وقد أنشأ فيها الملك الآشوري سنحاريب /705 - 681/ أول مشروع مائي، لازالت آثاره واضحة حتى الآن، ضمنها لوحة حجرية صغيرة تضم كتابات آشورية يذكر فيها سنحاريب أنه أنجز المشروع من أجل إيصال الماء إلى مدينة الإلهة عشتار. اشتهرت أربيل بمعركة "كومل" التي جرت بين الإغريق بقيادة الاسكندر المقدوني والإيرانيين بقيادة داريوش عام 331 ق.م. والتي انتهت بسيطرة الإغريق التامة على بلاد الرافدين وعموم المنطقة . منذ القرن الميلادي الأول بدأت المسيحية تنتشر في الرافدين وتمركزت في أربيل التي تحولت إلى مقر لأسقفية نسطورية مثل كركوك. وفي زمن الساسانيين تعرض المسيحيون فيها إلى مذابح معروفة، حتى أن حاكمها الفارسي "قرداخ" قد تم إعدامه عام 358م بسبب تخليه عن المجوسية واعتناقه المسيحية .

مسجد قلعة أربيل كان في الأصل معبداً لتقديس الإلهة "عشتار"، ثم تحول إلى معبد لتقديس النيران بعد سيطرة الإيرانيين على الرافدين، ثم تحول إلى كنيسة سريانية في القرن الثالث الميلادي، وأخيراً تحول إلى مسجد بعد دخول الجيش الإسلامي عام 16 هجرية.

المؤرخون العرب يذكرون أربيل على أنها مركز إقليم حلوان التابع للعراق. اشتهرت أيضاً بآخر معركة جرت بين الجيش العباسي والجيش الأموي وانتهت بمقتل الخليفة الأموي مروان بن محمد. لعبت هذه المدينة دوراً رئيسيا في زمن الدولة الأتابكية التركمانية، التي سيطرت على معظم مناطق الجزيرة بين تكريت وسنجار وحران.

حتى العصر المغولي كان السريان المسيحيون هم الغالبية في المدينة رغم سيطرة الأمراء الأكراد والتركمان. في ظل المغول عام /1261/ تمكن أحد السريان "تاج الدين المكتاس" أن يصبح حاكماً على المدينة، وساعد على نشر المسيحية اليعقوبية وبناء كنيسة وأسقفية خاصة بها. وفي عام /1309/ قام المغول بعمليات اضطهاد ومذابح ضد السريان وهدموا ثلاث كنائس. وفي عام 1309 قام المغول بمذابح جديدة ضد السريان وهدموا وحرقوا معظم كنائسهم. منذ ذلك الوقت فقد السريان حضورهم في أربيل وتحولت إلى مدينة كردية مع بعض الأقليات السريانية والتركمانية. بقيت أربيل في زمن العثمانيين جزءاً من كركوك وتابعة لبغداد. في عام 1892 كان عدد سكان المدينة لا يتجاوز 3200 بينهم 457 يهودياً. أما الآن فإن عدد سكان محافظة أربيل يقرب النصف مليون أغلبهم من الأكراد مع نسب مهمة من السريان والتركمان.

خارطة امبراطورية كردستان الكبرى، حسب القوميين الحالمين، تشمل معظم مساحات بلدان الشرق الاوسط

جميع الذين تطرقوا إلى القضية الكردية حتى من الكتاب السياسيين العراقيين والعرب تعاملوا مع هذه القضية بمنطق الدفاع عن شعب مظلوم ومجزأ له الحق في تقرير مصيره وبناء أمته. ليس هناك أي اعتراض على هذا المنطق، بل ينبغي التأكيد هنا على الدعوة للتضامن مع قضية هذا الشعب الجار والشقيق التاريخي للشعب العراقي وشعوب منطقة المشرق. ولكن في زخم هذا التضامن قد تم التغاضي عن حقوق شعوب متميزة مقيمة في هذه الأرض منذ فجر التاريخ وتعرضت لمذابح واضطهادات لا تقل بل تزيد عما تعرض له الشعب الكردي، أي الأرمن في أرمينيا، ثم السريان في شمال الرافدين الذين تعرضوا لعمليات تصفية بدنية وقومية خلال القرون الأخيرة. بالإضافة إلى الشعوب الأخرى التي تم "تكريد" الكثير من مناطقها في إيران مثل اللور وبختيار وآذربيجان.

قبل الحديث عن الطموحات القومية الكردية "المتطرفة"، فإنه من الواجب "الضميري" التذكير أولاً بمعاناة الأكراد والحروب والمذابح التي شنت ضدهم من قبل الحكومات المسيطرة.

بالنسبة للعراق مثلاً فإنه من أكبر الأخطاء "التعصبية" التي مارستها الحكومات والنخب السياسية العراقية تتمثل بالفكرة التالية:

إن الوطن العراقي هو جزء من الوطن العربي، والشعب العراقي هو جزء من "الشعب" العربي، إذن فإن العراق يشترط وجود العنصر العربي، وأية منطقة ليست فيها أغلبية عربية هي بالضرورة ليست عراقية بشكل تام!! وعلى أساس هذا المفهوم "القومي المتعصب" قامت الحكومات العراقية بتطبيق سياسة "تغريب" الأكراد ومحاربتهم في وطنيتهم العراقية ومحاولة "تعريب" مناطقهم أو تهجيرهم وجلب السكان العرب محلهم. وهذا الموقف القومي الضيق أدى كذلك إلى إهمال قضية السريان وعدم إدراك حقهم التاريخي بمناطقهم والاعتراف بدورهم في تشكيل "الهوية الرافدية" التاريخية، بل إن الحكومات العراقية ساهمت بقصد وبغير قصد في تهجير الكثير من السريان من قراهم ومدنهم في الموصل وأربيل ودهوك نحو بغداد أو خارج العراق، ثم بالتالي تشجيع عملية "تكريد" هذه المناطق. في هذا الفهم القومي الضيق يكمن سر المشكلة الكردية ثم السريانية. الأنكى من هذا أن هذا الفهم القومي الضيق ارتبط كذلك بالشعور الديني والطائفي "السني". إن المفارقة التي ظلت تعيشها الدولة العراقية أنها من ناحية تعادي الأكراد قومياً، ولكنها بنفس الوقت تتحالف معهم طائفياً أمام "خطر" الأغلبية الشيعية العربية، وتفعل العكس كذلك مع "الشيعة"! هذه هي معضلة "الهوية الوطنية العراقية" بأكملها والسبب الأول في الأزمة الدائمة للدولة العراقية منذ تكوينها عام 1921 وحتى الآن. بصورة مختصرة: إنه غياب الدولة الممثلة لهوية عراقية واضحة وأصيلة تصهر في داخلها جميع التنوعات الدينية والطائفية واللغوية. هذا الفهم الوطني وهو وحده الكفيل بجعل الانتماء إلى "الهوية المشرقية" ثم "الهوية العربية" أمراً طبيعياً وإيجابياً. نفس الوضعية طبعاً تعاني منها أيضاً بلدان الشام وبالذات سوريا رغم اختلاف حدة المشكلة.

هذا التمزق في الهوية العراقية (كذلك الشامية)، برر للحركات الكردية أن تتطرف أيضا بحساسيتها القومية وتتمادى بطموحاتها عن "كردستان الكبرى". مشكلة الحركات الكردية أنها اعتبرت حدود كردستان تشمل جميع المناطق التي يسكنها حاليا أكراد، أي أنها اعتمدت فقط على الحق السكاني "الديموغرافي" متناسية دور الحق التاريخي الجغرافي في تحديد الانتماء الوطني لأية بقعة أرض.

من أول الأمور التي تم تناسيها أن جزءاً كبيراً من الأراضي التي يقطنها الأكراد حالياً في منطقة الجزيرة في العراق وسوريا وتركيا، هي منذ فجر التاريخ وحتى وقت قريب كانت أراضي تقطنها شعوب غير كردية، وبالذات السريان الذين لازال أحفادهم يعيشون مشردين حتى الآن، وهم مثل الأكراد يتشوقون إلى الكرامة الوطنية وحلم الاستقرار في بلاد تعترف بحقوقهم الإنسانية والسياسية. إن خارطة "كردستان الكبرى" التي تطالب بها الحركات الكردية تضم الكثير من المناطق التي هي تاريخياً وحتى بدايات القرن العشرين مقطونة بأغلبية سريانية وعربية، تشكل حضارياً وتاريخياً وعرقياً القسم الشمالي من بلاد الرافدين بجزئيه العراقي والسوري بالإضافة إلى الجزء الذي اقتطعته تركيا.

بالنسبة لكردستان العراق مثلاً، فإن الحركات الكردية لم تكتف ولازالت تصر على المطالبة ببعض المناطق التي لم تدخل في منطقة الحكم الذاتي الكردية، وهي مناطق كركوك وسنجار وخانقين، بل هم في الحقيقة يطالبون بكل شمال العراق من خانقين وتكريت حتى سنجار. الغريب أن الحركات الكردية تعتمد في مطالبتها هذه على حقيقة أن العراق في زمن العثمانيين كان مقسماً إلى ثلاث ولايات: ولاية البصرة في الجنوب، ولاية بغداد في الوسط، ولاية الموصل في الشمال، وجميع هذه الولايات يحكمها والي بغداد. بما أن منطقة كردستان العراق (السليمانية والمناطق الجبلية من أربيل ودهوك) كانت تابعة لولاية الموصل، إذن هذه الولاية بأجمعها صارت هي كردستان، أي كل الجزء الشمالي من العراق!

خرافة حق تقرير المصير

المشكلة لا تكمن في الاعتراف بحق الأكراد بالسكن في أي جزء من أرض العراق، وهذا حق وطني وإنساني مشروع، بل المشكلة أساساً تتمثل في الطموحات الاستقلالية ومبدأ "حق تقرير المصير للشعب الكردي" الذي تبنته معظم الحركات السياسية العراقية والكردية. إن حق "تقرير المصير" لايمنح عادة على أساس الوجود السكاني "الديموغرافي" إنما على أساس "الحق الجغرافي التاريخي". بمعنى أوضح إن تقرير المصير لايمنح فقط للسكان المتميزين ثقافياً أو دينياً، لأن هذا يعني أنه يجب أن يمنح كذلك لكل الجماعات العراقية المتميزة دينياً أو لغوياً: التركمان والسريان والصابئة واليزيديين، ولم لا كذلك الشيعة والسنة!!.

إن "حق تقرير المصير" لا يعتمد فقط على التمايز الديني واللغوي، إنما يعتمد قبل كل شيء على التمايز التاريخي الجغرافي. ينبغي أولاً وقبل كل شيء تحديد ماهية حدود "كردستان" المتميزة تاريخياً وجغرافياً عن جغرافية وتاريخ بلاد الرافدين.

إن منطقة الحكم الذاتي الحالية تضم مناطق "كردية" عراقية هي جزء من جغرافية وتاريخ العراق منذ القدم ولا يمكن أن تمتلك أي حق بالانفصال وتقرير المصير. بصورة أوضح، إنه فقط المناطق الكردية الطبيعية والتاريخية هي جزء من كردستان ولها الحق بتقرير المصير والانفصال*، أما المناطق العراقية الأصيلة والتي يقطنها أكراد هي ليست جزءاً من كردستان وبالتالي هي مثل جميع المناطق العراقية الأصيلة ولاتمتلك أي حق بتقرير المصير والانفصال عن الوطن الأصلي. لو أردنا حقاً الاعتراف بوجود "كردستان" مضمومة إلى العراق فإنها بالحقيقة في أقصى الأحوال تشمل "معظم" منطقة الحكم الذاتي الحالية، نقول معظمها وليس كلها. أي بصورة أوضح أن "كردستان التاريخية" التي تمتلك حق تقرير المصير هي المناطق والمدن الجبلية في الشريط المكون من السلاسل الجبلية للسليمانية وأربيل ودهوك وهي عموم "منطقة شهرزور" التاريخية المقسمة حالياً بين العراق وإيران. أما مناطق دربنديخان ومدينة أربيل وسهل أربيل ومخمور وزاخو، فإنها مناطق عراقية أصيلة وجزء جغرافي وتاريخي من بلاد الرافدين وليس لها أية علاقة بكردستان الأصلية.

الانتماء الكردي والانتماء الكردستاني

هذا الموقف الثنائي لا يعني أبداً معاداة حقوق الأكراد، بل هو بالحقيقة توضيح وتمييز بين حق "كردستان" وحق "الأكراد". إن الحركات الكردية هي نفسها صاحبة هذه الفكرة: الكردستاني هو الإنسان القاطن في كردستان، ربما يكون كردياً أو سريانياً أو تركمانياً أو يزيدياً أو حتى عربياً. كردستان وطن جميع أبنائها بمختلف تنوعاتهم الدينية واللغوية. هذا يعني أنه ليس جميع الكردستانيين هم أكراد، ولا جميع الأكراد هم كردستانيون. الكردي القاطن في الموصل أو خانقين أو البصرة هو عراقي مثل أي عراقي وله الحق بالتمتع بجميع ميزاته الثقافية الخاصة به مثل جميع أبناء الفئات الدينية واللغوية العراقية.

هذه المسألة تقود إلى نتيجة مهمة جدا:

إن هناك فرقاً كبيراً بين المناطق الكردستانية والمناطق الكردية. أي هناك فرق مثلاً بين مدينة السليمانية التي هي جزء من جغرافية وتاريخ كردستان، ومدينة خانقين أو كركوك التي يقطنها أكراد ولكنها جزءٌ من جغرافية العراق وتاريخ الرافدين. ان المعيار الذي طالما طالبت به الحركات الكردستانية هو نسبة السكان الأكراد القاطنين في المنطقة، هو معيار خاطئ وغير مقبول

* هناك من يطرح فكرة جريئة تقضي باجراء تبادل للاراضي بين العراق وايران، أي اعادة الحدود القديمة بين البلدين ما قبل معاهدة ارضروم حيث كانت السليمانية جزءا من ايران، وعبادان والمحمرة جزءاً من العراق.

وطنياً ودولياً. لأن الانتماء الوطني لمنطقة ما لا تحدده نسبة السكان إنما أساساً الانتماء التاريخي والجغرافي. نضرب أمثلة عديدة على هذه الحالة:

- الناظر إلى أية خارطة عالمية عن انتشار الأجناس واللغات يلاحظ أن معظم الساحل الإيراني الشرقي للخليج تقطنه قبائل عربية وتسوده اللغة العربية من حدود العراق الجنوبية حتى بلوشستان وحدود باكستان، بل إن القبائل العربية تشكل جزءاً مهماً من التكوين العرقي لسكان بلوشستان الإيرانية. ولكن مع هذا لم يفكر أحد من العراقيين أو العرب باعتبار الساحل الإيراني جزءاً من العراق أو البلاد العربية، وأقصى ما تم في هذا المجال أن دولة البحرين تمنح بعض التسهيلات بالإقامة لسكان بلوشستان من أصل عربي.

- رغم الاتفاق على أن إيران دولة فارسية فإن الناطقين بالفارسية كلغة أم لا يبلغون حتى 50%، وهناك جزء كبير من الشعب الإيراني ينطق بلغات تركستانية وخصوصاً في آذربيجان (مقارنة بحالة العراق، فإنه أكثر من 75% يتكلمون العربية كلغة أم)! لكن جميع هذه الشعوب تعتبر إيرانية وتنطق بالفارسية في حياتها اليومية على اعتبار أن القبائل التركمانية والآذربيجانية نزحت إلى إيران بين القرن العاشر والسابع عشر، وبالتالي أصبحت جزءاً من الأمة الإيرانية. بل إن جميع الدول التي حكمت إيران وأعادت مجد الحضارة الفارسية خلال عدة قرون أقامتها عناصر تركستانية: السامانيون والطاهريون والصفويون والقاجاريون، ولم يتزعم الفرس السلطة إلا في القرن العشرين مع "رضا شاه".

- إن هناك الكثير من مناطق الجمهوريات السوفياتية السابقة، مثل كازخستان وطاجكستان، تقطنها أغلبية روسية، ولكن أحداً لم يفكر أن يجري استفتاءً للمطالبة بالانضمام إلى روسيا، لأن هذه المناطق هي جزء من تاريخ وجغرافية هذ الأوطان رغم التغيرات السكانية التي جرت عليها.

- لنفترض مثلاً أن فرنسا استمرت باستعمارها للجزائر وعموم المغرب، لكان من اليقين أن تصبح بعض مدن فرنسا مثل "مرسيليا" بأغلبية مغاربية، فهل من المعقول أن يفكر أحد بإجراء استفتاء بضم هذه المناطق إلى بلدان المغرب!.

من كل هذا يمكن استخلاص النتائج التالية:

- إن الأكراد الذين يقطنون في مناطق عراقية أصيلة هم مواطنون عراقيون مثل جميع أبناء العراق ولهم جميع الحقوق بما فيها حق المشاركة بقيادة الدولة العراقية وجميع الأجهزة الإدارية وكذلك حق الاحتفاظ بخصوصيتهم الثقافية واللغوية. ليس من حق القوميين والانفصاليين الادعاء بعدم عراقية هؤلاء الأكراد وإجبارهم على الانتماء لشعار كردستان الكبرى.

- إن هؤلاء الأكراد العراقيين يشتركون مع باقي الفئات العراقية بالانتماء إلى "الامة العراقية" لأنهم رغم تمايزهم اللغوي، إلا أنهم تاريخيا وجغرافيا هم ورثة الحضارة الرافدية العراقية بكل تنوعاتها الثقافية والدينية والعرقية. بمعنى أوضح إن الميراث "الإيراني والميدي" الذي ينتمي إليه أبناء كردستان الأيرانية، هو ميراث ثانوي وغير وطني بالنسبة لأكراد العراق.

مقالات وتعقيبات صحفية

كما ذكرنا في مقدمتنا ان الموضوع الكردي قد اثار الكثير من الجدالات الصحفية وهنا بعض النماذج من المقالات والردود وغيرها.

دستور البرزاني وحلم كردستان الكبرى !![*]

- الفيدرالية وتقسيم العراق الى اقليمين عربي وكردي !!
- توسيع المنطقة الكردية الى ضعف المساحة الحالية!!
- تجاهل تدريس اللغة العربية في المنطقة الكردية!!

منذ ان بدأت تهديدات الامريكان بتغيير النظام العراقي راحت تتوالى من قبل اطراف المعارضة العراقية مشاريع مختلفة لدستور العراق القادم، وآخرها مشروع الدستور الذي قدمه الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي يتقاسم المنطقة المحمية من شمال العراق مع غريمه الطلباني. وفي هذا المشروع الكثير من التفاصيل العادية المكررة في جميع الدساتير المقترحة تقريبا والتي تلتقي بنقطة ايجابية هي الرغبة ((بتشكيل نظام ديمقراطي ومعبر عن جميع فئات الامة العراقية)). ولكن هذه المشاريع تختلف فيما بينها في مسألة اساسية، هي الموقف من مسألة الفيدرالية وحقوق الاكراد.

لهذا فاننا نتناول بالتحليل والنقد الفقرات الاساسية الواردة في مشروع البرزاني والتي هي محل خلاف كبير بين اطراف المعارضة العراقية:

((المادة الأولى: العراق دولة اتحادية واحدة ذات نظام جمهوري ديمقراطي برلماني تعددي وتسمي بالجمهورية الفيدرالية العراقية.

المادة الثانية: تتكون الجمهورية الفيدرالية العراقية من اقليمين هما:

أولا: الاقليم العربي: ويضم المنطقتين الوسطى والجنوبية من العراق ومحافظة الموصل (نينوي) في الشمال باستثناء الاقضية والنواحي ذات الاغلبية الكردية والواردة ذكرها في الفقرة ثانيا أدناه.

ثانيا: إقليم كردستان: ويضم محافظات كركوك والسليمانية واربيل بحدودها الادارية قبل عام 1970 ومحافظة دهوك واقضية عقرة والشيخان وسنجار وناحية زمار من محافظة نينوي، وقضائي خانقين ومندلي من محافظة ديالي، وقضاء بدرة من محافظة واسط.

[*] نشرنا هذا المقال في جريدة القدس (20 – 7 - 2002) ردا على مشروع دستور البرزاني، الذي اقرته فيما بعد سلطة البرزاني والطلباني!

المادة الرابعة: يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيستين هما القومية العربية والقومية الكردية ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وممارستها في اقليم كردستان على أساس الفيدرالية، كما يقر الحقوق المشروعة للأقليات في اطار الجمهورية الفيدرالية العراقية.

المادة السادسة: للجمهورية الفيدرالية العراقية علم وشعار ونشيد خاص على أن تتضمن جميعها رموزا للاتحاد بين العرب والكرد وينظم ذلك بقانون.

المادة الثامنة: اللغة العربية هي اللغة الرسمية للاتحاد وللاقليم العربي وتكون اللغة الكردية اللغة الرسمية لاقليم كردستان.)).

النظرة الوطنية والنظرة القومية العرقية

قبل مناقشة هذه الفقرات يتوجب التوضيح ان البرزاني رغم تحالفه مع الامريكان فانه لا زال يحتفظ بعلاقة جيدة وتنسيقية مع النظام العراقي. فجميع العراقيين يتذكرون كيف انه جلب قوات صدام عام 1996 ضد غريمه الطلباني وتسليم الكثير من المعارضين العراقيين الى النظام. لهذا فان هذا الحزب لا يمكنه ان يتهم ناقدية بالعماله للنظام كما تعود اعلامه في كل مرة يتوجه احد العراقيين ببعض النقد لطروحاته القومية التوسعية والانفصالية. اما النقاط معرض الجدل فهي:

1- حول تقسيم الوطن العراقي الى اقليمين، وذكر القوميتين العربية والكردية في الدستور.

ان العراق لا يتكون من اقليمين (عربي وكردي)!! بل من 16 محافظة عراقية. ان حكاية الاقليمين وتحديد مفهوم الوطن العراقي، باقليم كردي فيه قومية كردية واقليم عربي فيه قومية عربية، هو مفهوم (قومي عرقي) عتيق رحل مع رحيل ميشيل عفلق والمؤمنين بافكاره القومية من عروبيين وكردويين وغيرهم. ان هذا الفهم القومي التقسيمي هو طرح عنصري منافي لمفهوم (الوطن) كارض وتاريخ ووحدة انسانية وسياسية. ثم ان الامة العراقية لا تتكون من قوميتين (عربية وكردية) بل ايضا من (تركمان) يتجاوز عددهم المليون ونصف المليون وسريان يقرب عددهم من المليون. وكذلك هنالك الفئات الدينية والمذهبية، فبالاضافة الى المسلمين، هنالك المسيحيون (حوالي مليون) واليزيديون والصابئة (كل منهم يقرب الربع مليون)، ثم ان المسلمين ينقسمون الى شيعة (غالبية) وسنة (اقلية).. طيب لماذا لا يحق لكل هذه (الفئات المليونية) ان يذكر اسمها في الدستور، وليس غريبا ان يطالب الاسلاميين الشيعة بذلك، ام ان السادة البرزانيين يعتقدون ان العروبيين والكردويين وحدهم يمتلكون حق التعبير عن ذاتهم "القومية العرقية"؟! وتكمن خطورة هذا التقسيم (القومي والاقليمي والطائفي) في الدستور انه يعطي الحجة الكافية قانونيا وضميريا، لكل الفئات العراقية ان تذكر اسمها. واذا كان جواب البرزانيون المعروف عن هذا التساؤل: ((لكننا نحن حاربنا خلال سنوات طويلة)) .. فهل هذا يعني، انه على ابناء الفئات العراقية الاخرى ان يبحثوا عن الجبال واللجوء الى السلاح وتقتيل اخوتهم الجنود العراقيين، لكي يحق لهم تكوين اقاليمهم الخاصة وان يذكر اسماء فئاتهم في الدستور .. نعم انه منطق القوة والقتل وليس منطق الحق والقانون والعدالة الوطنية!!

لهذا نقترح ان ينص الدستور العراقي القادم، على ((ان الامة العراقية تتكون من جميع مواطني العراق مهما كانت لغتهم ودينهم ومذهبهم وجنسهم وطبقتهم ومنطقتهم، وكلهم جميعا متساوون في الحقوق والواجبات)).

2 - ان المطالب البرزانية بمحافظة كركوك واجزاء من الموصل وديالى والكوت، تعني زيادة الضعف بمساحة المنطقة المحمية الحالية والمتفق عليها من قبل جميع الاطراف العراقية منذ القدم كمنطقة حكم ذاتي. ان كركوك محافظة عراقية تضم التركمان والكرد والعرب والسريان ولكنها بخصوصية تركمانية معروفة ومعترف بها حاليا وفي كل الوثائق التاريخية. يكفي القول ان اللغة التركمانية كانت ولا زالت هي لغة مدينة كركوك وينطق بها حتى غير التركمان من عرب واكراد وسريان. وان

مطالبة البرزانية بها بسبب نفطها وليس بسبب كردها الذين نزحوا اليها في القرن العشرين من الجبال الكردية القريبة، كعمال في شركات النفط. ثم ان المطالبة بسنجار ذات الغالبية من ابناء الطائفة اليزيدية العراقية الاصيلة، يخفي ايضا غاية استراتيجية، لان سنجار هذه منفصلة عن منطقة الحكم الذاتي إذ تقع غرب الموصل، وان ضمها الى سلطة البرزاني سوف يسهل استراتيجيا تطويق الموصل والاستيلاء عليها مستقبلا وكذلك التوسع الى حدود سوريا والمناطق الحاوية على اكراد والتي هي جزء من خارطة (كردستان الكبرى) البرزانية. ثم ان التوسع نحو ديالى والكوت تعبير واضح عن احلام البرزاني بتوسيع تحالفه التركي ليشمل ايران ثم التطويق الستراتيجي لبغداد وفرض الشروط عليها!!

بهذه المناسبة نحن نذكر البرزاني ان منطقة "كردستان" الجغرافية التاريخية هي المناطق الجبلية المحاذية لايران وتركيا، وهي بالذات اجزاء من دهوك، بالاضافة الى محافظة السليمانية (شهرزور) التي استولت عليها الدولة العثمانية (بعد معركة جالديران) في القرن السادس عشر لقاء التخلي عن (عبادان) لتقليل الوزن الشيعي العربي. نعم ان الكثير من مناطق التواجد الكردي الحالية هي مناطق عراقية اصيلة جغرافيا وتاريخيا وسياسيا وان الاكراد القاطنين فيها هم عراقيون اصلاء واحفاد تاريخيين لصانعي حضارات العراق المسمارية والمسيحية والاسلامية والحديثة. ان مدينة "اربيل" العراقية لدليل ساطع على هذا الانتماء التاريخي العراقي من ناحية تاريخها العراقي الاصيل ومن ناحية موقعها الجغرافي في سهل دجلة ومن ناحية التكوين السكاني حيث تضم بالاضافة الى الاكراد جزء مهم من التركمان مع السريان وكذلك العرب. نعم انه لخطأ كبير اعتبار كل المناطق الكردية العراقية (ارض كردستان التاريخية) وانها ضمت بالقوة من قبل الانكليز والحكومات العراقية وبالتالي لها ما يسمى حق تقرير المصير والانفصال وغيرها. صحيح هنالك (منطقة كردستان) وهي السليمانية وبعض من دهوك، لها حق التمتع بخصوصيتها التاريخية والجغرافية والسياسية، ولكن هنالك ايضا (مناطق كردية عراقية) هي جزء تاريخي وجغرافي وسياسي من العراق ويستحيل فصلها مهما حاولت القوى المتعصبة، ونعني بالذات (مدينة اربيل) بتنوعها الكردي التركماني السرياني، بالاضافة الى كل المناطق في الشمال والوسط التي يسكنها اكراد عراقيون اصلاء في الكوت وديالى والموصل. هل ننسى ان في بغداد حوالي مليون كردي، وباعتراف السيد الطلباني ان (بغداد) تعتبر اكبر(مدينة كردية!) في العراق، فهل يا ترى يحلم البرزاني بضم بغداد الى مشروع (كرستان الكبرى)؟!

3 - رفض مفهوم الفيدرالية لأنه حل متطرف. اننا نقترح بدل النظام الفيدرالي، النظام اللا مركزي، أي منح المحافظات العراقية امتيازات قانونية وادارية في مختلف المجالات تخلصها من المركزية البيروقراطية الشديدة والسيطرة المتطرفة للعاصمة، وتمنح لكل محافظة حرية التعبير عن خصوصياتها المحلية.

4 - رفض تقسيم الوطن الى اقليمين عرقيين عربي وكردي. اننا نرفض اللجوء الى احد الحلين المتعاكسين، الذي لا يعترف احدهما بخصوصية الوضع الكردي ولا يعترف بتمايز منطقتهم ويبرر قمعهم وتذويبهم، والحل الآخر المعاكس الذي يبالغ بالخصوصية الكردية الى حد منح حق الانفصال (تقرير المصير!!) والفيدرالية وغيرها من المفاهيم التي نجح الغرب ان يفرضها على الشعوب الضعيفة دون غيرها. لهذا اننا نقترح العودة الى "الحل الوسط" أي نظام (لا مركزية المحافظات) لأنه هو الانسب لوضع العراق، فهو من ناحية يمنح الاكراد حقوقهم الادارية والثقافية ويمكنهم من التعبير عن خصوصيتهم، وبنفس الوقت يحافظ على وحدة العراق ويجنب خطر تقسيمه الى اقاليم اقوامية وطائفية ودينية. واذا كانت تجربة الحكم الذاتي السابقة قد اصابها الفشل لاسباب خارجية وداخلية كثيرة، من اهمها طبيعة النظام الدكتاتوري الحاكم وكذلك الاعيب الاطراف القومية الكردوية التابعة للدول المحيطة، فان هذا لا يعني ابدا ان (مفهوم الحكم الذاتي) خاطئ، فمثلا ان فشل تجارب الديمقراطية في بلادنا وفي عدة بلدان لا يعني بالضرورة ان مفهوم الديمقراطية خاطئ بل لأن النوايا والوسائل التي استند اليها كانت خاطئة!!

5 - ان الحديث عن (اللغة الكردية) فيه الكثير من الوهم والخداع، فالحقيقة التي يعرفها جميع الاخوة الاكراد، انه ليس هنالك لغة كردية واحدة، بل لغتان كرديتان مستخدمتان الآن في المنطقة المحمية في شمال الوطن ولكل منها ناطقوها وكتبها وصحفها المختلفة: (السورانية في السليمانية واجزاء من اربيل، والبهدنانية الكرمانجية في مركز اربيل ودهوك)، ولهذا فمن الاصح الحديث الواضح والعادل عن: ((تدريس اللغتين الكرديتين، السورانية والبهدنانية)). نعم اننا مع تدريس هاتين اللغتين الكرديتين، كل منها حسب غالبية الناطقين بها في منطقة الحكم الذاتي الكردية. ولكن في هذه الحالة يجب ان تدرس اللغة العربية كلغة ثانية بصورة اجبارية، من اجل ان تبقى العربية كلغة وطنية يستطيع اشقاؤنا الاكراد التواصل بها مع باقي اخوتهم العراقيين، وربما فيما بنيهم ايضا إن رغبوا، فهل ننسى ان العربية لغة عالمية معترف بها دوليا ولها قيمة تاريخية ودينية، ولهذا فان تدريسها لا يبتغي فقط الناحية الوطنية بل له ايضا اهمية ثقافية ودينية لاشقائنا الاكراد.

6 - اما بخصوص موضوع اللغة، فاننا ايضا مع منح الحرية لكل طلاب العراق وفي كل منطقة مهما كانت ان يختاروا بالاضافة الى العربية كلغة اولى واجبارية، اية لغة عراقية كلغة ثقافية ثانوية، وهي (الكردية- السورانية والبهدنانية- والتركمانية والسريانية). وان تدرس هذه اللغات العراقية في الجامعات العراقية كلغات وطنية حية وضرورية من اجل اغناء الثقافة العراقية واغناء دراسة الميراثات المحلية وتعزيز الوحدة الوطنية، وايضا الاستفادة منها في تعزيز العلاقات مع الشعوب الجارة في ايران وتركيا وآذربيجان وآسيا الوسطى التركستانية. والاهم من هذا ان يفسح المجال لكل الميراثات اللغوية والدينية والمذهبية العراقية ومنحها حرية التعبير عن نفسها من خلال وسائل الاعلام والسينما والمسرح والاحتفال بمناسباتها بصورة رسمية ووطنية، مثل عيد نيروز واعياد الميلاد وايام عاشوراء وباقي المناسبات الخاصة بالتركمان واليزيدية والصابئة وغيرهم.

7- اما بخصوص علم العراق وشعاره، فاننا نرفض اولا الرموز الحالية التي تعبر عن الروح القومية العروبية وتلغي الخصوصية الوطنية العراقية. ولكننا ايضا نرفض المطلب البرزاني الذي يدعو الى تمثيل (العرب والاكراد) في هذه الرموز. نعم اننا ضد هذين الحلين القوميين العروبي والكردوي، لان مثل هذه الحلول تلغي وجود الفئات العراقية اللغوية والدينية والمذهبية المتنوعة، وتبرر هيمنة المفهوم القومي العرقي على دستور العراق وسياسته ورموزه. اننا مع الحلول الوطنية الجامعة والشاملة: ليكن علم وشعار العراق تعبيرا فنيا اصيلا عن ميراث العراق بكل مراحله التاريخية وتنوعاته المناطقية والفئوية. نعتقد ان آثار العراق التاريخية فيها مايكفي من الرموز الفنية المعبرة عن روح الوحدة الوطنية، ولنا افضل مثال على هذا شعار (الشمس العراقية- البابلية الآشورية -) الذي تم تبنيه في فترة الجمورية الاولى. وسبق لنا ان سجلنا بعض الاقتراحات بخصوص هذه المسألة في كتابنا (الذات الجريحة).

8 - من خلال مشروع الدستور هذا ومن خلال تقولات هنا وهناك يشاع ان البرزاني يطمح بمنصب رئيس الجمهورية في عراق المستقبل. نحب ان نقول له ولكل الطامحين، ان الشعب العراقي ليس ابدا ضد كل عراقي نزيه مهما كان كرديا او مسيحيا او صابئيا او يزيديا او تركمانيا او شيعيا او سنيا، ان يتزعم العراق وان يتبوأ أي منصب قيادي، ولكن بشرط اساسي وهام هو ان يكون صاحب ضمير عراقي وطني شمولي اصيل بعيد عن اية نزعات امبراطورية خارجية وانفصالية باشكالها القومية والطائفية والاممية.

من اجل العودة الى الذات الوطنية المنسية

على العراقيين الانتباه لمثل هذه المشاريع القومية التقسيمية المغطاة ببهرجات وطنية وديمقراطية خداعة. ان التجارب الكوارثية في الاعوام الاخيرة جعلتنا ندرك مقدار الثمالة الهوجاء التي قادتنا اليها مثل هذه المشاريع القومية والامبراطورية منذ ما يقرب القرن وحتى الآن. ان العراقيين جميعهم، بعربهم واكرادهم وتركمانهم وسريانهم وبجميع اديانهم ومذاهبهم قد دفعوا

الثمن غاليا بسبب خطيئة نخبنا السياسية والثقافية التي تناست واستخفت بهوية الوطن العراقي وضيعت نفسها وضيعتنا معها في مشاريع خارجية امبراطورية عظمى عروبية وكردوية وطورانية وآشورية واممية واسلاموية!! بعد هذا الخراب الماحق لم يتبق لنا غير ان نكون واقعيين ونتخلص من تلك المشاريع الطائشة ونعي خصوصيتنا المهملة ونعود الى واقع وطننا وارضنا وتاريخنا وميراثنا.. الى ذاتنا وهويتنا المنسية.

عملة ورقية عراقية قديمة، لاحظ الشمس العراقية – البابلية الآشورية-

الحركات القومية الكردوية وتشويه التاريخ العراقي*

هنالك فكرة شائعة لدى المثقفين والسياسيين العراقيين (وعموم العرب) أن موضوع التاريخ مجال معرفي حيادي حاله حال أي مجال آخر، كالهندسة أو الطبخ مثلاً. لهذا فإن أحزابنا ونخبنا المثقفة أبدت عدم الاهتمام بالتاريخ والتراث الوطني وتركته للمختصين به من أكاديميين وفقهاء وغيرهم. طبعاً المجال التاريخي الوحيد الذي استهوى أحزابنا هو ما يتعلق بتاريخها هي نفسها، وهذا ما فعله اليساريون مثلاً بالكتابة عن الحركة العمالية وتاريخ الحزب والثورة الفلانية، طبعاً بالإضافة إلى الدراسات التي لا تحصى عن تواريخ الحركات الشقيقة في بلاد الأرض. أما تاريخ العراق وفئاته القومية والدينية والمذهبية فقد ظل مغيباً تماماً عن اهتمامات الأحزاب، حتى أن الأغلبية الساحقة ممن كتبوا عن الفئات العراقية وتواريخها هم باحثون مستقلون من خارج الأحزاب المهيمنة على الثقافة، من أمثال الوردي والحسني والعزاوي وغيرهم.

التاريخ والسياسة

قد يكون التاريخ فعلاً موضوعاً ثانوياً وحيادياً في عالم إنساني وعادل قد حلت فيه المشاكل السياسية وألغيت فيه الحدود ونسيت الأوطان وأصبح جميع البشر إخوة وأحراراً يعيشون بثبات ونبات ليخلفوا صبياناً وبنات..

أما في عالم جهنمي مثل عالمنا الحالي، بحيث تتدخل فيه السياسة حتى في الحياة الزوجية، ويتم تبرير موت آلاف الأطفال باسم الشريعة الدولية، فإن الاعتقاد بحيادية التاريخ وثانويته يصبح أمراً خاطئاً وسلبياً وكارثياً على الوطن ومستقبله.

مثلاً، ليس هنالك أية مشكلة أن تمتلئ كتب التاريخ كلها بالكلام القائل بأن ((فلسطين كانت دائماً يهودية، وأن الناطقين بالعربية هم عرب أقحاح قدموا من الجزيرة العربية بعد الفتح الإسلامي..الخ)). إن مثل هذا الكلام يمكن أن يكون مقبولاً وحتى معقولاً ولا يستحق التفكير والخصام، لو أن الفلسطيني الناطق بالعربية ظل في بيته ومحافظاً على وطنه. فما هو الإزعاج إذا قالو له بأنه أتى من الجزيرة العربية وأن هذه الأرض كانت لليهود الذين طردوا منها قبل ألفي عام ويعيشون الآن في أوطان أخرى..

فالأمريكي مثلاً لا يزعجه أن يقال له بأن الهندي الأحمر كان يسكن هنا. ففي كل الأحوال هذا الهندي قد انقرض تقريباً ومن المستحيل أن يهدد يوماً وجود الأمريكي، مهما استعان بالتاريخ..

لكن موضوع التاريخ هذا سوف يتخذ بعداً خطيراً حينما يجد الفلسطيني نفسه بأنه قد طرد من أرضه وانتهكت حرماته وكل يوم يتم ذبحه وتشريده، كل هذا باسم (التاريخ) و(كتاب مقدس) قد دون منذ ألفي عام!! أقول من الطبيعي جداً أن يختلف الموقف من التاريخ في هذه الحالة وأن يبدأ الفلسطيني يراجع كل الطروحات التاريخية ويدقق بكل الحقائق المفروضة: هل فلسطين حقاً كانت كلها يهودية.. وهل أنا فعلاً قادم من الجزيرة العربية لمجرد أني أتكلم الآن العربية.. وهل اليهودي القادم من روسيا هو فعلاً اليهودي الذي كان في فلسطين قبل ألفي عام..؟!

أقول هنا يصبح موضوع التاريخ مختلفاً تماماً، ويدخل في صلب العملية السياسية، وأي موقف سلبي من موضوع التاريخ والتراث الوطني يصبح خطأً قاتلاً وخيانة للقضية الوطنية..

* نشرنا هذا المقال في جريدة الزمان اللندنية (3 – 1 – 2001) وهو رد على لقاء سابق مع باحث عراقي كردوي.

مثل آخر.. يتداول بعض الأتراك في تركيا وكذلك الهنكار في المجر فكرة مفادها بأن السومريين العراقيين أصلهم أتراك ومجر، بناءً على حجج لغوية معينة.. إنناً لا نستهجن مثلاً هذه الفكرة، ولا تزعجنا (لو) ثبتت حقيقتها. لأننا نعرف جيداً بأنه من المستحيل على الأتراك والمجر أن يستخدموا حجة السومريين من أجل تبرير غزو العراق وضمهم مدينة الناصرية (اور) مثلاً.. بالعكس أرى أن مثل هذه الفكرة، إذا ثبتت، لها دور إيجابي ويمكن أن تكون عاملاً إضافياً لتقوية علاقات الجيرة والأخوة مع الأتراك وكذلك مع أشقائنا التركمان، بالإضافة إلى الهنكار.

نفس الشيء يقال عن الأكراد. فما يهم العراقي لو ردد الأكراد ليل نهار بأن كل شمال العراق أصله كردي: كركوك ومعها كل ولاية الموصل واليزيدية والمسيحية، وكل تراث المنطقة أصله آري كردي. إن الأمر يبدو مثلما لو أن أهل العمارة يرددون بأن كل العراق أصله عمارتلي وأن أهل تكريت من عشيرة البيضان وأهل الرمادي من عشيرة السودان.. الخ. الأمر لايهم ففي كل الأحوال العمارة وأهلها وتاريخها جزء من العراق، وليس هنالك أي خطر من وجود مشروع (عمارستان الكبرى) مثلاً..

لكن سوف يختلف الأمر تماماً عندما يترافق هذه الحديث التاريخي التراثي الديني مع طروحات سياسية استقلالية ومشاريع امبراطوية توسعية تريد أن تقطع الوطن وتمزقه إلى أشلاء. إن موضوع الادعاءات التاريخية التراثية سوف يخرج من حياديته العلمية وطيبته الوطنية ليصبح طاعوناً خطيراً يهدد باجتياح الوطن ونشر أشباح الخراب في ربوعه فوق الخراب الحالي!

أكراد العراق

لكي لا يتصور البعض بأن رفضنا للفهم القومي الكردوي، نابع من موقف قومي مناقض، نذكر بأننا نرفض بنفس الحدة وأكثر كل الطروحات القومية العروبية والآشورية والطورانية وغيرها. ثم إن رفضنا للفهم الكردوي هو رفض سياسي وليس عنصرياً أبداً. ودليلنا على هذا هو اعتقادنا العلمي التاريخي، على عكس السائد، بأن جزءاً كبيراً من دماء العراقيين بما فيهم العرب، هي دماء كردية..كيف؟

إن سلسلة جبال زاغروس الكردية (الناحية الغربية المطلة على العراق) ظلت طيلة التاريخ على ارتباط سكاني وحضاري بوادي الرافدين لأنه يشكل الحيز الحيوي الوحيد لسكان الجبال من أجل الهبوط والانتشار والاتصال بالحضارة. لهذا فإن هذه الجبال قد ضخت دائماً العراق بالهجرات والنزوحات السلمية والحربية بصورة دائمة ومن دون توقف أبداً، حتى العصر الحالي. ويكفي على سبيل المثال ملاحظة كم من الأعلام العراقية في العصر الأخير التي ترجع لأصول كردية. وملاحظة العدد الهائل من الأكراد الموجودين في بغداد وكل المناطق المحاذية لدجلة من الموصل حتى العمارة والبصرة.

رغم أن هذه النزوحات الكردية والآسيوية (الإيرانية والقفقاسية والتركستانية) من الشرق والشمال لا تقل أهمية وعدداً من النزوحات السامية من الغرب الشامي والجنوب، إلا أنها لم تستطع أن تؤثر لغوياً على المجتمع العراقي رغم تأثيرها البشري السلالي. إن طبيعة اللغات الآسيوية الجبلية تفقد قوتها وحيويتها في سهول الرافدين ومناخها شبه الصحراوي، مثلما تفقد اللغات السامية ومعها العربية مفعولها في منطقة كردستان والقفقاس وإيران وتركستان رغم كل التأثير السياسي والديني والحضاري، بسبب الطبيعة الجبلية المضادة للسامية والعربية. لم تتمكن اللغة الكردية من الانتشار في سهول أربيل وكركوك إلا في القرون الأخيرة وبسبب جوارها للمنطقة الجبلية. من المعروف أن الكثير من الأكراد والتركمان قد قطنوا في كل مناطق العراق، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على خصوصيتهم الثقافية واللغوية إلا في سهول المنطقة الشمالية شبه الجبلية أرضا ومناخاً..

إذن يصح القول بأن الدماء الكردية (والآسيوية الآرية والقفقاسية والتركستانية أيضاً) ظلت ولا زالت تشكل جزءاً فعالاً ومهماً من تكوين العراقيين العرقي والسلالي حتى الآن رغم سيادة التعريب واللغة العربية. هذه حقيقة طبيعية لم يقررها أحد، بل فرضها التاريخ والجغرافية خصوصاً، رغم أنف الادعاءات العرقية العروبية والكردوية..

لهذا يغدو من الخطأ الكبير الاعتقاد بأن الإنكليز هم الذين ربطوا كردستان بالعراق. إن هذه العلاقة العريقة بين جبال كردستان ووادي الرافدين، لم تكن فقط حضارية وبشرية، بل كانت أيضاً سياسية. فمثلاً إن العباسيين جعلوا هذه المنطقة ولاية مرتبطة تماماً بالعراق حتى شاعت عنها تسمية (العراق الأعجمي). ثم إن العثمانيين جعلوها تابعة لولات العراق طيلة قرون حكمهم، رغم وجود إمارات شبه مستقلة مثل الإمارة البابانية في السليمانية (شهرزور) التي ظلت مجالاً للصراع مع إيران.

لهذا نقول لكل القوميين (الكردويين والعروبيين والطورانيين والآشوريين) بأن مفهومنا عن العراق مخالف تماماً للمفهوم القومي العنصري، الذي يقسم الوطن ويشوه تاريخه حسب الانتماء العرقي النقي المفترض.

نحن نفتخر بأن ((الأمة العراقية)) منذ فجر التاريخ وحتى الآن استقبلت مختلف الأقوام ومنهم أشقاءنا الأكراد والتركمان، حيث ظل الجميع ينصهرون في مياه الرافدين ليشكلوا حضارة وهوية وطنية واحدة.. وليس صدفة أبداً بأن اسم (بابل) أصبح بالنسبة للعالم أجمع رمزاً أسطورياً لتنوع البشر واللغات..

التأثير الصهيوني في الإعلام القومي وصناعة الهولوكست*

إن الجدل الذي دار في صحيفة أخبار الأدب وبعض الصحف المصرية، بين بعض الكتاب المعروفين، ليس جدلاً محدوداً وبسبب خلافات شخصية، كما قد يتصور البعض من غير العارفين بالوضع الكردي والعراقي. بالحقيقة إن هذا الجدل لا ينفصل عن جدل عام بدأ منذ أشهر في الصحف العربية في لندن بين المثقفين العراقيين من ناحية والأكراد العراقيين والسوريين من ناحية أخرى. إنه تعبير عن حالة تململ مستفحلة بين العراقيين خصوصاً ضد تطرف الطروحات الكردية ومغالاتها القومية، في الأعوام الأخيرة.

نعم إن هنالك حملة تشترك بها الصحف والفضائيات الكردية المدعومة بمراكز عالمية ودول مختلفة المصالح، اتفقت على تضخيم الطروحات والمشاريع الكردية من أجل التحضير لمخططات مستقبلية لمنطقة الشرق الأوسط. ويبدو أن هذه المؤسسات تتبع نفس الطريقة اليهودية المعروفة: تضخيم صورة الضحية لدى الأكراد مع تأثيم العراقيين وإشعارهم الدائم بأنهم مخطئون بحق الأكراد. وأيضاً على الطريقة اليهودية حيث تتم عملية التأثيم هذه بواسطة مثقفين من أبناء الجماعة المدانة نفسها. لهذا تقوم المؤسسات الكردية بكسب الأنصار من المثقفين العراقيين والعرب من أجل ان يقوموا هم أنفسهم بتغذية روح التأثيم والتذكير الدائم بشبح الهولوكست المرعب (حلبجة والأنفال!)، وتكريس فكرة أن الدور الوحيد المطلوب من العراقي والعربي إزاء القضية الكردية هو التالي:

التصفيق لها والتباكي عليها وطلب الغفران عن الذي اقترفه صدام حسين ضدها!!

من المعلوم أنه من أولى الخطوات الجبارة التي أنجزتهما الحكومتان الكرديتان القائمتان الآن في شمال الوطن، هي بناء الفضائيات التلفزيونية العملاقة وصرف الملايين على الصحف العراقية والعربية من أجل كسب الصحفيين والمثقفين وشراء ذممهم من خلال المشاريع والمؤتمرات والمهرجانات والمنح الخاصة جداً!!

إن هذه الأجهزة الكردية وأنصارها من العراقيين والعرب هي التي تقود الحملة ضد القعيد وعيد، ليس في الصحافة المصرية بل في الصحافة العربية والعراقية المعارضة. وهي حملة تشن ضد كل من تخول له نفسه التشكي قليلاً من المغالاة الكردية ومشاريعهم التوسعية الإمبراطورية، لأنه سيعتبر بكل بساطة شخصاً "مشبوهاً" ومدافعاً عن صدام !!

ولكي لا نبقى في العموميات ولكي لا يساء فهمنا يتوجب توضيح الأمور التالية:

التقديس العراقي للقضية الكردية

إننا نحن العراقيين عموماً وخصوصاً المعارضين للنظام، كنا ولا زلنا نعتبر القضية الكردية جزءاً مقدساً من قضية الأمة العراقية. على الأقل منذ أعوام الخمسينات تبنت معظم الأحزاب العراقية هذه القضية وتحالفت مع الأحزاب الكردية وشاركتها في نشاطاتها. بل إن الحزب الشيوعي العراقي الذي كان خلال أجيال أقوى وأكبر الأحزاب العراقية وكسب حوله معظم المثقفين

* نشرنا هذا المقال في جريدة اخبار الادب المصرية (24-12- 2000) وهو رد على الحملة الكردوية التي شنها بعض القوميين الاكراد وانصارهم من بعض المثقفين المصريين ضد المعترضين على اقامة مؤتمر الحوار العربي الكردي.

العراقيين، كانت أغلب قياداته كردية وكان شعاره الأول: (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان).. ثم أصبح المطلب الجديد الشائع الآن هو (الفدرالية مع الأكراد) وكذلك (حق تقرير المصير). لقد بلغ تبني العراقيين للقضية الكردية حتى أن الأحزاب القومية العروبية اضطرت إلى تبنيها وأعلن النظام قانون الحكم الذاتي عام 1971.

يضاف إلى هذا أن الأكراد في العراق ليسوا شعباً معزولاً في المنطقة الجبلية الكردية، بل هنالك أكثر من مليون ونصف المليون كردي يعيشون في الموصل وبغداد ومناطق عراقية كثيرة بجانب إخوتهم من الفئات العراقية المختلفة. وهنالك الكثير من العراقيين عوائل وعشائر مختلطة عربية كردية. ولم يشهد تاريخ العراق أبداً حالة صراع مدني بين العرب والأكراد، فقد ظل الصراع دائماً سياسياً بين قوات الحكومة والمسلحين. نقول كل هذا لكي نبين بأننا لا ننطلق في نقدنا من أسس قومية تعصبية ضد الأكراد، بل من منطلق وطني إنساني يعترف بشرعية هذه القضية، ولكنه أيضاً يرفض طروحاتها العنصرية الإمبراطورية التوسعية، كما سنبين آنفاً..

قضية عادلة ولكنها..

إني أتفق تماماً مع عبد الرزاق عيد: ((لماذا القضية الكردية تعامل كشعب، والعراق يعامل ليس فقط كدولة، بل كصدام حسين)).. ومعنى هذا أن كل خطايا الأطراف الكردية ومشاريعها التوسعية يجب تبريرها وتزويقها لأنها (تمثل شعباً).. وكل حقوق العراق التاريخية والسياسية يجب التنكر لها، لأن العراق هو صدام !!

نعم هذه هي المعادلة التي نجحت الحركة الكردية ومعها بعض الأطراف اليسارية العراقية والعربية أن تفرضها على العقل العراقي والعربي. غدا من الطبيعي جداً لدى المثقفين العراقيين والعرب، ان يتم تقديس الطروحات الكردية مهما كانت قومية وعنصرية وتوسعية، وبنفس الوقت اختصار الشعب العراقي كله بطرفين وحيدين لا ثالث لهما: صدام حسين، والمعارضة التابعة لأمريكا!! وفي كل الأحوال إن الشعب العراقي (له رب يحميه).. أما القضية الكردية فهي بالأحضان وتستحق كل الترحيب والتصفيق والغفران..

إن هؤلاء المدافعين بضراوة عن القضية الكردية، يتناسون حقيقة أساسية هي أنه هذه القضية مثل أية قضية شعب في العالم، لها جانبان: أحدهما عدالتها ومشروعيتها الإنسانية، أما جانبها الثاني، أنها ليست قضية مجردة محلقة في فضاءات التصوف والإشراق، وإن الذين يقودونها ليسوا بالضرورة ملائكة منزهين من الباري عز وجل. نعم إنها قضية مشروعة ولكن من يقودونها بشر، أي أحزاب لها مشاريعها وألاعيبها وخطاياها. هل ينكر أحد بأن القيادات الكردية قد تعاملت مع إسرائيل طيلة سنوات وسنوات، وقد اعترف بهذا القادة الأكراد أنفسهم (راجع مثلاً اعترافات القائد الكردي محمود عثمان لمجلة الوسط اللندنية 13-10 – 1997).

الأكثر من هذا إن القضية الكردية صار لها دولتان في شمال العراق (البرزاني والطلباني) شبه مستقلتين ومحميتين بقوانين دولية وحلف الأطلسي كله بطائراته وأساطيله. وإن الطرفين المتزعمين لهذه القضية كانا ولا زالا جزءاً من اللعبة الدولية وصراعات القوى في المنطقة. يكفي القول بأنهما منذ سنوات يخوضان حرباً معلنة ضد بعضهما البعض كلفت حتى الآن آلاف القتلى والجرحى والمشردين والمخطوفين، وكل طرف متحالف مع دولة منافسة: الطلباني مع إيران، والبرزاني مع تركيا، والاثنان ضد حزب العمال الكردستاني التركي، حيث الحرب تكلف يومياً العديد من القتلى..

نعم هذه هي القضية الكردية، إنها قضية شعب، لكنها أيضاً قضية زعامات عشائرية وأغوات وتجار سياسة مستعدين أن يبيعوا الشعب وقضيته من أجل حفنة دولارات.. وهذا الكلام معروف جداً ويشكو منه كل الأكراد المخلصين، وهو معروف من الجميع وخصوصاً من قبل أولئك المثقفين العراقيين والعرب الذين للأسف لا زالوا حتى الآن لا يستطيعون أن يتخلصوا من عقدة

(الأب القائد)، فتراهم بعد وفاة الأب السوفيتي، هرعوا مثل الأطفال إلى أحضان الأب الأمريكي وراعية الدار الحنونة السيدة أولبرايت.

نعم كل هذه الحقائق عن الزعامات الكردية يجب أن تغيب تماماً عند الحديث عن هذه القضية، ولكن عند الحديث عن العراق وحقوقه فإن هناك دائماً صدام، لا أكثر ولا أقل !!

إن هذه اللا عدالة في تناول الموضوع أدت إلى خلق نوع من البطر لدى الكثير من الأكراد حد تجاوز المعقول والتصرف بنزق وغرور مثل ابن الباشا المدلل. فغدى من الطبيعي ومن المقبول والمشروع أن يتنصل الكردي عن هويته الوطنية (العراقية أو السورية) فيقول إنه (كردي) فقط !. بناءً على هذا انتشرت موضة بين بعض الكتاب الأكراد السوريين والعراقيين بوضع صفة (كاتب كردي) من دون أية إشارة للأصل السوري أو العراقي. والغريب أن هذا يمارس في صحف عربية وباسم الديمقراطية.. فلا ندري أية ديمقراطية هذه التي تعني إلغاء الوطن والتنكر لاسمه.. ولماذا يتوجب علينا وحدنا في هذا المشرق (العراقي الشامي) التعس أن نجعل الديمقراطية نقيضاً للوطنية. فهل سمعتم يوماً بشخص يوقع بصفة كاتب بربري أو كاتب نوبي أو كاتب مسيحي، أو مسلم، أو شيعي، أو سني.. فلماذا إذن يتوجب استثناء الأكراد وحدهم من الصفة الوطنية؟! (إننا ندين بنفس الحدة أولئك الذين يحملون صفة - عربي - من دون أية إشارة للانتماء الوطني)..

هاكم مثالاً آخر يعبر بشكل سافر عن طغيان روح التفضيل للأكراد من دون أشقائهم العراقيين: منذ أعوام يوجد في القاهرة مقران لحزبي البرزاني والطلباني، في الوقت الذي يمنع فيه بصورة مطلقة أي تواجد عراقي معارض مهما كان! وقد حاولت المعارضة العراقية بكل أطرافها الاتصال بالحكومة المصرية لكنها جوبهت بالرفض التام.. وبنفس الوقت هنالك اعتراف كامل ورسمي بالطرفين الكرديين.. بل بلغ الأمر أنه منذ عامين عقد في القاهرة مؤتمر أطلق عليه: (مؤتمر التضامن العربي الكردي).. وسوف نورد آنفاً بعض طروحات هذا المؤتمر العتيد..

المشاريع الأمبراطورية

إن من يتابع الطروحات الكردية أيضاً سوف يتفهم خشية يوسف القعيد من النوايا السيئة للأجهزة الكردية من هذه النشاطات (السياسية) التي تتخفى وراء الثقافة، ومنها (مهرجان الجواهري) المذكور الذي أشرفت عليه حكومة البرزاني. يكفي الانتباه بأنه بمجرد الانتهاء من هذا المهرجان، الذي عقد تحت يافطة (الوحدة الوطنية العراقية)، سرعان ما قام البرزاني بزيارة إلى سوريا وليبيا ليمهد لطلب بقبول الحكومة الكردية كعضو في منظمة المؤتمر الإسلامي! نعم إن يوسف القعيد محق تماماً في ملاحظته. إن مهرجان الجواهري لم يكن أبداً لغايات ثقافية ولا وطنية عراقية، بل من أجل غايات سياسية كردية من أجل التهيئة لمشروع دولتهم المزعومة. وأن شعارات (الحفاظ على وحدة العراق) ماهي إلا نوع من ذر الرماد في العيون.

نعم هنالك مشروع قومي كردي اسمه (كردستان الكبرى) ومن يريد أن يعرف خارطة كردستان المزعومة نقول له إنها لا تختلف كثيراً عن حلم صهيون: (من النيل إلى الفرات)، فهي بالنسبة للقوميين الكردويين: من الخليج إلى البحر.. أي من الخليج العربي حتى البحر المتوسط: كل غرب إيران (كردستان الشرقية!) وكل شمال العراق ابتداءً من الوسط وما فوق بغداد، (كردستان الجنوبية!)، ثم جزء هام من شمال سوريا (كردستان الغربية!) ثم كل جنوب تركيا (كردستان الشمالية!). في السنوات الأخيرة راحت تتصاعد لهجة الاستقلالية الكردية: من المطالبة بالحكم الذاتي، إلى الفدرالية، ثم الآن يتصاعد الحديث عن (تقرير المصير)، وعن حق الأكراد بتكوين دولتهم!

والمشكلة لا تكمن فيما يسمى بـ (حق تقرير المصير) الذي لا يطبق إلا علينا نحن أبناء الخايبة، ولكن المشكلة خصوصاً في مطالب الأكراد التوسعية وأحلامهم الأمبراطورية. إنهم يطالبون بصراحة عبر كتاباتهم وفضائياتهم ومؤتمراتهم، بشمال سوريا وشمال العراق كله. لنسمع ماذا يقول الزعماء الأكراد في (مؤتمر الحوار العربي الكردي) المعقود في القاهرة (1998) والذي

حضرته شخصيات عراقية صفقت بحرارة تضامنية ملتهبة لمثل هذا الكلام القومي التوسعي (راجع كتاب - الحوار العربي الكردي - عدنان المفتي - مكتبة مدبولي - القاهرة 1999):

يقول السيد جوهر نامق، عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني:

((إن مساحة كردستان العراق حوالي 57 الف كيلومتر مربع، أي حوالي ضعف مساحة إقليم كردستان الحالي .. وهي ولاية الموصل - كردستان الجنوبية)) ص175 و ..177

ويقول السيد فؤاد معصوم عضو المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني:

((لقد تشكلت دولة في بلاد النهرين وسميت بالعراق، وكانت تشمل ولايتي بغداد والبصرة .. أما ولاية الموصل التي كان الأكراد يشكلون الأكثرية الساحقة فقد كان لهم رأيهم المختلف)).. ص185

طبعاً لا يحتاج أن نذكركم بدعوات الطلباني العلنية منذ أعوام مطالباً تركيا بضم ولاية الموصل، على أمل توحيد كردستان !!

ولمن لا يعلم ماذا تعني (ولاية الموصل) نقول إنها تعني كل شمال العراق من بغداد فما فوق، مثل شمال مصر من القاهرة فما فوق ! بل إن الأكراد يضعون في خارطتهم المفترضة أجزاءً من وسط العراق ما دون بغداد(خانقين).

الصحفية المصرية (دربة عوني) التي تفتخر بأصلها الكردي، حيث أصدرت الكتب والمقالات الكردوية القومجية التي تحرف التاريخ العراقي وتقلبه رأساً على عقب. تراها تقول في المؤتمر المذكور بالحرف الواحد: ((أنشئت دولة العراق من ولايتي البصرة وبغداد العربيتين وولاية الموصل الكردية.. وإن العرب عامة، وعرب ولاية البصرة وبغداد لم يطالبوا مطلقاً بضم ولاية الموصل..))!! ص 39-38. نعم إن ولاية الموصل ليست جزءاً من العراق ولم يطالب بها العراقيون "مطلقا"! وإن آشور بانيبال وسمير اميس والسريان والحمدانيين والجليليين وغيرهم وغيرهم، يقيناً كلهم أكراد آريون هندو أوربيون!

أما بالنسبة لسوريا فها هو أحد الأقطاب الكردية السورية (صلاح بدر الدين) الذي يصر على تسميتها بـ (كردستان الغربية) ويقدرها بـ (16) ألف كم2 وتشمل مدن القامشلي وعفرين وعين العرب وعامودا وديريك.. وهي منطقة تمتد في كل شمال سوريا من حدود العراق حتى البحر المتوسط شمال اللاذقية. (راجع: صلاح بدر الدين - غرب كردستان - دار كاوا، بون 2000). علماً بأن عبد الله أوجلان القائد الكردي التركي، نفسه يقول: ((إن غالبية الشعب الكردي في سوريا قد نزحت من كردستان الشمالية - التركية-.. إن طرح (كردستان سوريا) ليس موضوعياً.. الأصح هو أن تقول عنهم الأكراد السوريون..)) (راجع: قائد وشعب - عبد الله أوجلان - دار الفارابي - بيروت 1999).

وطبعاً هذا الجموح الكردوي بتوسيع كردستان قائم على الفكرة القومية العرقية التالية: أينما يوجد من يتكلم الكردية هناك تمتد أرض كردستان.. على هذا المنوال ومع التوسع المستمر بمساحة كردستان، فإنه سوف لن يبدو مستغرباً أن يأتي اليوم الذي يطالبون به باستقلال مناطق تواجد الأكراد في دمشق وبيروت وبغداد!

الفهم السلالي العرقي

إن هذا التحريف للتاريخ من أجل تكريده وتبرير المشاريع الإمبراطورية الكردية، يستند على فهم عرقي سلالي قد سبق للعروبيين أن كرروه بصورة فجة وساخرة. كلنا نعرف الطروحات العروبية التي تحاول أن تعتبر كل شي أصله عربي بالمعنى العرقي: الحضارات العراقية والشامية والمصرية القديمة، وأسماء الأعلام في العصر العربي الإسلامي، بل هنالك من يعتبر حتى الأكراد والأتراك والبربر أصلهم من أحد أسلاف العرب!

نفس هذه العقلية العرقية العروبية بدأ الأكراد يستنسخونها بصورة مبالغة وتتفوق على سابقتها العروبية، سذاجة وعنصرية.

هنالك حملة جبارة لتكريد التاريخ والجغرافية والأديان والأقوام. غدا من الطبيعي أن تشاهد وتقرأ وتسمع في وسائل الإعلام الكردية من يعتبر حتى جنوب العراق أصله كردياً، وأن النبي إبراهيم كان أميراً كردياً، وأن السومريين أكراد. علماً إن هذا التكريد للتاريخ والجغرافية يعني بالنسبة للأكراد الادعاء بالأصل الآري الهندو أوربي! وطبعاً هذه الدعوة الآرية في حقيقتها تخفي نوعاً من التملق والتزلف لفكرة التقرب من (الأوربيين) باعتبارهم هندو أوربيين. وكم عانينا ولا زلنا نعاني نحن العراقيين وكذلك السوريون في المهجر من نزق الكثير من أشقائنا الأكراد الذي يتزلفون للأوربيين قائلين: نحن لسنا عرباً بدواً، نحن أكراد هندو أوربيون، ونختلف عن المسلمين، لأن ديانتنا الأصلية مجوسية زرادشتية !!

عدنان المفتي المسؤول الكردي ومنظم مؤتمر القاهرة الشهير، ومعه رفاقه، اعتبروا (بناءً على مصادر كردية عليمة جداً جداً !) الكثير من أعلام مصر من أصول كردية، مثل العقاد والمازني ومحمد عبده وأحمد شوقي بل حتى محمد علي باشا.(ص223) بالإضافة إلى ذلك التكرار الدائم والممل عن صلاح الدين الأيوبي "الكردي". علماً بأن دولة صلاح الدين ليست لها أية علاقة بالأكراد. فهل يصح اعتبار دولة محمد علي باشا ألبانية، لأنه من أصل ألباني. لو وافقنا على هذا فإن معظم السلالات الملكية الأوربية هي من أصل جرماني، لكن لا أحد مثلاً يعتبر دولة إسبانيا أو بلجيكا جرمانية. نفس الشيء لو تكلمنا عن الدولة الإيرانية الحالية، فهل يصح اعتبارها دولة عربية، باعتبار معظم قادتها من أصول علوية قريشية، مثل الخميني وخامنئي وخاتمي وغيرهم الكثيرين!

ثم لو طبقنا هذه الحجة العرقية العنصرية على الأكراد أنفسهم لاعتبرنا الحركة الكردية بمعظمها عربية، لأن الطلباني والبرزاني وعوائل الجاف والحيدري ومئات العوائل الكردية، تعتبر أنفسها من أصول عربية قريشية. ألا يغدو مضحكاً لو تبجح سياسي أو مثقف عراقي أو عربي، قائلاً: ((إننا نفتخر لأننا قدمنا للأكراد محمود الحفيد والبرزاني والطلباني والباباني والكثير من القادة الأكراد الذين هم من أصول عربية قريشية))!! ماهذا الكلام العرقي الذي أكل عليه الدهر وشرب. والأنكى من هذا أن يردد في مؤتمر سياسي يشرف عليه مثقفون يحملون لواء اليسار والحداثة والوطنية !!

إن تواطؤ المثقفين العراقيين والعرب، لايخدم الأكراد أبداً، بل يغطي ويسهل عملية انزلاق حركاتهم القومية أكثر فأكثر في المشاريع الغربية والصهيونية التي يتم طبخها تحت غطاء التباكي على الأكراد، والتي ستؤدي إلى حروب وكوارث جديدة يكون أول ضحاياها الاكراد انفسهم..

إن المطلوب ليس التواطؤ والتباكي وتأثيم الذات، بل أن نضع يدنا بيد جميع الأكراد الصادقين والنزيهين من أجل نبذ التطرف والمشاريع القومية الأمبراطوية لتجار السياسة، ومن أجل تشجيع روح الواقعية والعقلانية التي تحترم الأوطان وحدودها وتؤكد على عمق التاريخ والميراث الوطني المشترك.. من دون هذا سوف لن يحل السلام ولن تتحقق الديمقراطية في أوطاننا أبدا.

التشويه الكردوي للمنفيين العراقيين*

اطلعنا على المقالة التي كتبها الصحفي المصري (رجائي فايد) والمنشورة في أخبار الأدب (11-2-2001)، والتي تهجم فيها على طروحاتنا في مقالة سابقة لنا، كنا قد انتقدنا فيها عقلية التأثيم والهولوكوست الكردية التي أثرت على الكثير من المثقفين العراقيين والعرب.

المسألة الأولى التي أود أن أوضحها تتعلق بشخصي أنا. طبعاً عندي سببي لأنك أيها الأخ الكريم حسبما يبدو لي قد تلقيت من القيادات الكردية العراقية معلومات خاطئة عن هويتي: ((أفهموك بأني من المعارضين العراقيين "من بتوع "فنادق الغرب والتابعين لأمريكا)) ! فأنت منذ عنوان مقالتك تقول: ((معارضة خنادق .. أم فنادق..؟!)) وكررت رأيك هذا مرات عديدة حيث ختمته بالعبارة التالية:((فقط نطلب منك ان تهبط من فنادق جبال سويسرا إلى أرض واقع العراق..)) !

أحب أطمئنك أيها الأخ الكريم بأني أبداً لست بالصورة التي رسمها لك أصحابك من القيادات الكردوية. أعرف جيداً أن تصورك هذا مدعوم بالسمعة الخاطئة التي نجح بفرضها الإعلام الغربي والحكومي العراقي: أن جميع المعارضين العراقيين في الخارج هم حفنة من العملاء المنتشرون في فنادق الغرب والمرتبطون بالمخابرات الأمريكية! إن هذه الفكرة مهما وجدت من دلائل فإنها مضخمة آلاف المرات، لسبب جداً بسيط: أن المخابرات الأمريكية لا يمكنها أن توزع الأموال على حوالي أربعة ملايين عراقي هاربين من بلادهم ومعظمهم من الشباب المتعلمين. إن تلك الحفنة من العملاء العراقيين التي طالما طبل وزمر لها وعنها الإعلام الغربي والعربي، بالحقيقة إنها لا تمثل حتى واحد من مئة ألف من العراقيين المنفيين. أما الباقون فهم يعيشون مثل الغالبية الساحقة من مهاجري العالم الثالث، في الكساد والحرمان.

بالنسبة لي فأود أن تعرف بأن عدد السنوات التي أمضيتها منفياً عن بلادي تعادل الآن بالضبط عدد السنوات التي عشتها فيها، أي 22 عاماً. إني هربت من بلادي منذ عام 1979 بعد انفراط الجبهة الوطنية والحملة الدموية ضد الحزب الشيوعي. بعد عامين من التجارب الثورية الخائبة في معسكرات الفلسطينيين في سوريا ولبنان، تركت الشرق الأوسط نحو أوربا حيث تمكنت من الحصول على اللجوء "الإنساني" في جنيف أواخر عام 1981. بالحقيقة إن تعبير اللجوء الإنساني لا يعني سوى حق الإقامة والعمل، حيث أمضيت سنواتي بين الدراسة مساءً والعمل المضني نهاراً.

أنا حزبياً مستقل تماماً، ولكني سياسياً أنتمي للغالبية الساحقة من المنفيين العراقيين الرافضين بنفس الوقت للسلطة الدكتاتورية وكذلك التبعية لأي جهة خارجية مهما كانت. فأنا يا صاحبي لست من بتوع الفنادق ولا من المعتاشين على مساعدات الجهات الدولية مهما كانت بما فيها مؤسسات الكيانين الكردويين المحميين والممولين أمريكياً !

وأحب أيضاً أن أبين لك أمراً معروفاً جداً: على عكس ما تظن أنت والكثير من المثقفين العرب، فإن معارضي الفنادق المتأمركين هم من أكبر حلفاء القيادات الكردوية. من المفروض، وأنت الخبير بالشأن الكردي، أن تعرف بأن حزبي الطلباني

---

* نشرنا هذا المقال في صحيفة الادب المصرية (4-3-2000) وهو رد على ما كتبه الصحفي المصري رجائي فايد الذي كان مقيما في العراق وعلى علاقة شخصية بالقادة البرزانيين. مع كل تقديرنا الشخصي لهذا الصحفي الطيب فانه للاسف كان محملا بافكار خاطئة عن العراق والعراقيين. كان عنوان مقالته (معارضة خنادق .. أم فنادق)، واتهمنا فيها باننا ضمن المعارضة الامريكية التي تعيش في فنادق اوروبا!!

والبرزاني عضوان مؤسسان ودائمان في "المؤتمر الوطني العراقي" التابع لأمريكا. ثم هل يمكنك أن تنكر بأن الكيانين الكرديين في شمال العراق منذ أن قاما ولا زالا محميان من قبل القوات والطائرات الأمريكية.. بل إن السيدة أولبرايت هي التي تتوسط عادة للمصالحة بين البرزاني والطلباني في حربهما الدائمة.. بل إن هذين القائدين بصورة علنية لا يتنقلان خارج محميتيهما إلا بواسطة مروحيات عسكرية تركية ويجتمعان أمام كامرات التلفزيون تحت الرعاية الرسمية والعلنية لمدير المخابرات التركية (ميت)! ثم هل يخفى عنك أخبار الحملة المستمرة منذ سنوات التي تشنها الميليشيات الكردوية العراقية ضد مناضلي أكراد تركيا وحزب أوجلان والتي كلفت حتى الآن آلاف القتلى !

فمن هم إذن بتوع الفنادق .. أنا أم أنصار القيادات الكردوية الأمريكية ؟

واضيف إليك بأن الذي يقطن في فنادق الخمسة نجوم ويدير المؤسسات التجارية المليونية هم أتباع هذه القيادات في الخارج، وهم مفضوحون ومدانون من قبل الآلاف المؤلفة من أشقائي الأكراد الهاربين من ظلم الميليشيات الكردية والمشردين في متاهات العالم..

وضع العراق المعقد

أحب أيضاً أن تعرف يا أخ رجائي بأن هجومي لم يكن أبداً ضد الشعب الكردي، لأنه أولاً شعب له كل المشروعية بالمطالبة بحقوقه المغتصبة، ولأنه أيضاً جزء من الأمة العراقية التي أنتمي أنا إليها. إن انتقادي للقيادات الكردوية يجد تبريره في انتقادي الدائم لجميع القيادات والنخب العراقية الحاكمة والمعارضة، لأنها هي سبب الخراب والكوارث التي يعيشها شعبي منذ أجيال وأجيال. إن انتقادي المستمر طيلة أعوام ضد جميع القيادات العراقية السياسية والثقافية والدينية لا يعني أبداً أني ضد الشعب العراقي، فلماذا إذن يتوجب اعتبار موقفي الرافض لطروحات القيادات الكردوية هجوماً على الشعب الكردي؟

إن المتابعين لكتاباتي منذ أعوام في صحافة لندن العربية خصوصاً، يعرفون جيداً بأن نقدي لسياسة القيادات الكردوية هو جزء من نقدي لسياسة القيادات العراقية الحكومية والمعارضة. أود أن أحيلك إلى كتابي الصادر منذ سنوات (الذات الجريحة) الذي حللت فيه وانتقدت كل النخب العربية (والعراقية خصوصاً) بسبب دورها الحاسم في خلق العقلية الانمساخية التي لا زالت تقودنا منذ قرن من كارثة إلى أخرى. علماً أن هنالك فقط جزءاً صغيراً جداً خصصته للمسألة الكردية وفضح العقلية القومية التوسعية المهيمنة.

أرجو أن تعرف بأن وضعنا العراقي يختلف تماماً عن وضعكم في مصر. يكفي أن أضرب لك المثال التالي وأنت الذي أمضيت أعواماً طويلة في عراق البعث: إن الحكومة العراقية خلال أعوام السبعينات والثمانينات جلبت الملايين من المصريين لأسباب اقتصادية وسياسية. قدمت لهم الكثير من الامتيازات وصرفت الملايين على نخبهم من أجل شراء ذممهم وتكوين تنظيمات بعثية مصرية تابعة لها. رغم السنوات الطوال فإن حكومتنا المبجلة قد فشلت تماماً بمشروعها القومجي هذا ولم تستطع أن تخلق تنظيماً بعثياً حتى من عشرين مصرياً. والسبب لا يعود فقط إلى سذاجة القيادة العراقية، بل خصوصاً إلى اعتزاز المصري بوطنيته مهما كان دينه أو لونه، ورفضه اللا شعوري للتبعية للخارج. هذه الحقيقة لا أقولها مجاملة بل هي عندي إيمان علمي صادق نتيجة علاقاتي الحميمة مع مصريي جنيف وكذلك دراساتي المعمقة للتاريخين المصري والعراقي منذ الفراعنة والبابليين وحتى الآن.

هذا لا يعني أبداً بأن العراقي متنكر لوطنيته، لكن هذه الوطنية تعاني التشويه وسوء الفهم، بسبب قسوة التاريخ وجروح الهوية الوطنية. على سبيل المقارنة العابرة، إن حرب العراق وإيران وحدها قد كلفت العراق بشرياً واقتصادياً ما يفوق جميع حروب مصر خلال قرن كامل. تخيل مثلاً لو أن مصر تقع محل العراق الحالي، إذ تحده شرقا جبال زاكاروس الكردية ثم إيران

وهضاب آسيا التي ظلت تبعث بجاحفل القبائل الآرية والتركستانية. ومن الشمال هضاب القفقاس والأناضول بقبائلها الآراراتية واجتياحاتها الأوربية والعثمانية، ومن الغرب والجنوب بوادي الشام والجزيرة العربية بموجاتها البدوية التي لم تتوقف حتى أواسط هذا القرن. إن موقع العراق الجغرافي كواد خصيب منفتح الحدود وتحيطه الهضاب القاحلة من كل النواحي والتي ظلت طيلة آلاف السنين تبعث بجحافل الغزاة الذين كانوا يدمرون الحضارة السابقة وينشرون الخراب ثم مع الزمن يذوبون بمياه النهرين الخالدين ليصنعوا من جديد حضارة أخرى هي امتداد وقطيعة بنفس الوقت مع الحضارات السابقة. لهذا فإن تاريخنا يفوق بأضعاف التاريخ المصري بعنفه وتوتره وتأثير الخارج عليه. يكفي أن تعرف بأنه في الوقت الذي ظهر لديكم (محمد علي باشا) الذي استقل بمصر وبنى الدولة المصرية الحديثة، ظهر أيضاً عندنا (داود باشا) الذي حاول أن يقوم بنفس الدور الاستقلالي، لكنه جوبه بعواصف لا ترحم من القبائل العربية من الغرب المدعومة تركياً والقبائل الكردية من الشرق المدعومة إيرانياً، ثم غدر النهرين وطوفانهما المفاجئ ومعهما الطاعون والكوليرا، حتى اضطر أخيراً هذا السلطان الوطني المصلح أن يتنازل ويطلب بنفسه تدخل الجيش العثماني من أجل إنقاذ شعبه من الهلاك المحتم.

التضامن السياحي

نحن العراقيين نعرف جيداً أن هنالك الكثير الكثير من المصريين ونخبهم السياسية والثقافية تتعاطف مع قضيتنا وتحاول أن تتفهم بما يكفي مشاكلنا، وخصوصاً أولئك الذين عاشوا فترة معينة في العراق وعايشوا شعبه. لكن للأسف هنالك أيضاً من يحمل بعض المفاهيم التبسيطية والأحكام الجاهزة المتأثرة خصوصاً إما بالإعلام الغربي أو الحكومي العراقي. وهذا ما دفع الكثيرين للتعامل مع المشكلة الكردية في العراق من وجهة نظر الإعلام الغربي وحده من دون الأخذ بنظر الاعتبار خصوصية الوضع العراقي.

دعني أيها الأخ رجائي أستشهد بمثال واحد عن فهمك السياحي للوضع العراقي، رغم أنك عشت سنوات طويلة في عراق البعث ! لقد ذكرت في ردك واقعة أنت عشتها في العام الماضي، عن الجفاف الذي شهدته بعض المناطق العراقية مما دفع ببعض قبائل الرعاة العربية أن تتوجه إلى المناطق الكردية، فتقول أنت: ((هنا وجه مسعود البرازاني دعوته إلى إخوانه الرعاة من عرب العراق لكي يحضروا إلى كردستان العراق بأغنامهم لترعى في مراعيها.. وكان أمراً غريباً أن يجد الإنسان الخيام العربية بالعائلات العربية منتشرة وسط جبال كردستان في أمن وأمان دون أن يحدث لأي منهم أي حادث. وكانت تلك التجربة التي رحب بها العرب والأكراد نقلة نوعية في مجال العلاقات العربية الكردية، إذ تكونت مصالح صداقات زيجات..)) !!

أحب أن أقول لك بصراحة إن كلامك هذا لا يختلف عن كلام أي سائح غربي عابر محمل بأطنان من الخرافات عن العداء الوحشي بين العرب والأكراد. أقولها بكل أسف واعتذار إني استغرب كيف أنك عشت تلك السنوات في العراق ؟ لأن أي إنسان يكفيه بضع أسابيع أو أشهر ليكتشف أن هذه الصورة المفبركة على الطريقة اليوغسلافية أو الأيرلندية عن العداء الدامي بين أبناء الوطن الواحد، ليس لها أي وجود في العراق. نعم أقولها بكل تواضع وصدق. كما سبق أني أبداً لا أتوانى عن انتقاد شعبي بكل قسوة. لكني أيضاً أقولها للحق والحقيقة: إن العنصرية لدى العراقيين العرب والأكراد والتركمان والسريان، مهما بلغت تطرفها السياسي فإنها إنسانياً واجتماعياً لم ولن تبلغ مستوى الحقد الأهلي وصراع الناس على الهوية. يكفيني للتدليل على هذا أن هنالك في بغداد وحدها أكثر من مليون كردي بالإضافة إلى الكثيرين المنتشرين في جميع أنحاء العراق. ولم يحدث طيلة تاريخ العراق الحديث أن جرى صراع شخصي بين عربي وكردي بسبب قومي، بل ظل الصراع محصوراً بين الحكومة والميليشيات. من الطبيعي جداً أن تشاهد في شوارع بغداد الأكراد نساءً ورجالاً يسيرون بأزيائهم الشعبية، والأغاني الكردية تسمعها في كل مكان وفي الراديوهات المحلية، وأعياد نيرزو تقام في كل مكان رسمياً وشعبياً. ثم ياسيد رجائي، وأنت الصحفي المجرب ألم تر أن

الحدود الحالية بين المناطق الكردية وباقي المناطق العراقية لا زالت مفتوحة وهنالك الآلاف من العراقيين من مختلف الفئات الذين يعبرون يومياً بين الطرفين ؟ ألم تر أن هنالك الآلاف المؤلفة من العراقيين العرب والتركمان الذين يعيشون في المناطق الخاضعة للقيادات الكردوية، قبل الجفاف وبعده ؟

إذا كنت تتحدث عن الرعاة العرب الذين لجؤوا لدى البرزاني فهنالك أيضاً عشرات الآلاف من أبناء العشائر الكردية المعروفة التي لجأت إلى صدام بسبب خلافاتهم مع الطلباني والبرزاني. وهل نسيت ان هنالك قبائل عراقية بأكملها تحمل هوية ثقافية عراقية مشتركة عربية وكردية وتركمانية، مثل البيات والجبور والقيسية وغيرهم.. وأن التزاوج بين العرب والأكراد والتركمان مسألة طبيعية جداً وخصوصاً في المدن، وهنالك ما لا يحصى من العراقيين المشتركي الأصول، يكفيني أن أذكر لك الشخصية السياسية العراقية الشهيرة نوري السعيد (عربي تركماني كردي) وعبد الكريم قاسم (أم كردية وأب عربي)!

تاريخ العراق كله يشهد بأن الأكراد وعموم العراقيين بعيدون تماماً عن العنصرية، وأن تآلفهم الإنساني اليومي يتجاوز كل طروحات نخبهم وقياداتهم التعبانة الغارقة بمشاريعها الأمبراطورية الخارجية.

فما معنى هذا الاستغراب والتبجيل لواقعة طبيعية جداً، أم أنك تبحث عن أي حجة لكيل المديح للقيادة الكردوية ؟ هكذا على طريقة حكوماتنا الثورية، يكفيها أن تبلط شارعاً حتى تنهال عليها برقيات الشكر وقصائد المديح للإنجازات الكبرى.

نعم للتضامن، ولكن مع كل العراقيين

إني أتفق معك تماماً بأن المشكلة الكردية تعود إلى سوء الفهم المتبادل بين الأطراف المعنية. لكن إزالة سوء الفهم لا يتم من خلال مؤتمرات التطبيل والتزمير للقيادات المسؤولة عن الكارثة التي يعيشها الأكراد وعموم الأمة العراقية. نعم نحن العراقيين بحاجة إلى عونكم أنتم المثقفين والسياسيين المصريين وإلى عون جميع المثقفين العرب. أن تعينونا على أن نتفاهم بيننا ونتوحد ونتكاشف، لا أن تكونوا طرفاً في اللعبة الكوارثية التي نعاني منها منذ أجيال وأجيال.. أحب أن أقول لك وأنت الذي عشت سنوات طويلة في عراق البعث، إنه في أشد حالات عداء النظام العراقي للنظام المصري أيام السادات، لم يتجرأ ولا عراقي واحد حتى الهمس مع نفسه عن مصر بما يعادل الكلام التالي: ((كونت بريطانيا دولة العراق من »قصاقيص« ولايات عثمانية وضمت لها منطقة الأكراد)) (وثائق الحوار العربي الكردي - مكتبة مدبولي - ص330)، وهذه جملة واحدة مما لا يحصى من الجمل والتحليلات القومية الانفصالية والعنصرية التي قيلت وكتبت أثناء وبمناسبة مؤتمركم المذكور.. مع اعتزازي وإشادتي بالنوايا والكلام الطيب الذي قيل بصورة خجولة من قبل شخصيات مصرية نكن لها كل الاحترام. لكن للأسف إن جميع المساهمين لم يطرحوا التساؤل التالي:

لماذا مؤتمر للتضامن مع الأكراد وليس مع كل العراقيين؟! هنالك مثلاً السنة والشيعة والتركمان والسريان، وهنالك الكثير من الحركات والتيارات، لماذا قضية الأكراد، والأكراد وحدهم ؟ هل يا ترى لأن هذه القضية هي وحدها التي حظيت بمباركة قديسي الغرب وخصوصاً السيدة أولبرايت؟ وهل هي صدفة أن تساهم بإعداد هذا المؤتمر مؤسسة ابن خلدون التي تم غلقها فيما بعد بتهمة العمالة لأمريكا ؟ يبدو أن نزعة الاستيراد والاستنساخ من الغرب لم تعد تشمل الأدوات والموضات الثقافية، بل حتى حملات التضامن والتباكي!

لماذا مقرات رسمية للقيادات الكردوية، وليس هنالك حتى اعتراف شفهي بأي طرف عراقي آخر؟! بل بلغ الأمر أن الحزبين الوحيدين الذين شاركا في المؤتمر بصفتهما الحزبية هما حزبا البرزاني والطلباني، وجميع الشخصيات العراقية والعربية دعيت بصفتها الشخصية ! كأن هنالك إرادة عليا جبارة تحرم أي حضور حزبي عراقي مهما كان معارضاً للنظام ومسانداً للقيادات الكردوية !

جميع العرب يلومون المعارضة العراقية لأنها اتجهت إلى أمريكا والغرب، ولكن ليس هنالك دولة عربية واحدة حاولت أن ترعى هذه المعارضة ولا أن تهتم بالعراقيين رغم أن هنالك حوالي أربعة ملايين تم تشريدهم خلال بضعة سنوات في أصقاع الأرض بما فيها الجزر النائية الخالية من البشر. ولا نسمع غير اتهامات العمالة والعيش في (فنادق) الغرب على حد قولك. إن العراقي مهما كان، يعرف جيداً أنه غير مرغوب به في أغلب الدول العربية وكثيراً ما يعامل بشك وقسوة في المطارات والحدود العربية وقد يخضع للمساءلة والطرد، لأنه فقط عراقي منبوذ من قبل دولته ومن قبل أشقائه..

لكني مع ذلك يا أخ رجائي، أرجع وأقول بأن الذنب ليس ذنبكم، بل هو ذنبنا نحن النخب العراقية الذين تعودنا الإدمان على خيالات العظمة والجبروت وأغمضنا أعيننا عن واقعنا المرير وضعنا وضيعنا معنا وطننا في تلك المشاريع الأمبراطورية الخائبة والساذجة. فأرجوكم إما أن تتركونا بحالنا وتصمتوا عنا، أو تتدخلوا بيننا كأشقاء ووسطاء محايدين وموضوعيين من دون تطبيلات ولا بكائيات ولا وعظ زائف..

نموذج للفهم العروبي للقضية الكردية

ان الفهم القومي العرقي مهما اختلف مع الطرف القومي العرقي الآخر فانه بالنتيجة يتفهمه ويبرر له طروحاته التعصبية مهما كانت، لأن الطيور على اشكالها تقع كما يقول المثل. وهنا نموذج يكشف عن التقاء الفهم القومي العروبي مع الفهم القومي الكردوي رغما اختلافهما المصالحي. هذا مقال للكاتب العراقي (حسن العلوي) الذي كان الرجل الاعلامي الاول في حزب البعث ومن المقربين جدا الى صدام حسين، ثم بعدها انتقل الى معسكر المعارضة واصبح رئيس تحرير جريدة المؤتمر الناطقة باسم المؤتمر والتي للبرزانيين اليد الطولى فيها . ومقالته هذه كانت ردا على طروحاتنا وفاتحة لشن حملة شعواء ضدنا في جريدته .

عن حصة الاكراد

منذ ان اشرفنا على هذه الجريدة قلنا فيما قلناه عن اسلوبنا وبرامجنا، انها جريدة حائط! والعراقيون اكثر شعوب الارض ميلاً للكتابة على الحيطان يوم لم تكن هذه العملية تكلف صاحبها واهله تعليق جثتهم على المشنقة، ولكنهم لم ينقطعوا عنها، وما زال العراقي يتربص بالحائط فيدون عليه شعاره المفضل ولو أودى به ذلك إلى ما يعرفه من مصير.

هل لهذه العادة علاقة بالسومريين والبابليين الذين كانوا يدونون القوانين والشرائع والاحداث على مسلات الطين؟

أغلب الظن ان العلاقة قائمة، فما زالت بعض عاداتنا سومرية وبابلية وعباسية. وهي من احسن العادات وأرقاها!

ربما نقصد ان حجم النشر في الجريدة يتصل بنشاط الكتّاب وليس بسياسة الجريدة التي لا تضع فيتو على رأي، ولا تُوزع المادة الرئيسية بحصص ثابتة مثل حصص الخُمس والزكاة، ولا تُخضع اعمدة الجريدة للون واحد، وإن بدا طغيان لون على لون في عدد ما، فان ذلك لا ينسحب على ما يتلوه من اعداد.

اما انحيازنا للأكراد كما تقول رسالة الكاتب سليم مطر، فهي مثل الشائعة التي اتهم بها الشاعر الراحل نزار قباني فقال في مطلع شبابه:

شائعة انا لها مُصفق مُسبح!

السبب في هذا الاحساس، انها اول جريدة عربية تفرد صفحة كردية خاصة باسم كردي وبمحرريها الاكراد.

السبب ايضاً ان كردستان بقعة خارج سلطة المركز ولها ممثلون في (المؤتمر) ولها زعماء يتمتعون بكارزما وقدم سياسي وتاريخ مثير، فلا احد متفضل على حركة التحرر عندما يفتح صفحات جريدته لاحداث الحركة ونشاطاتها وآمالها واخبار زعمائها. وإلا فالمعارضة تصبح سلطة. مثل أي سلطة اخرى في تعاملها مع هذه القضية الاساسية. ومهما كنا (كرماء) فهو مجرد كرم صحفي! إذ ما زال الاكراد هم القومية الوحيدة في الشرق وفي العالم التي لم تتمتع بحق تقرير المصير وبمبادئ الرئيس ولسن الصادرة في الحرب الاولى، بينما تعيش في دولة مستقلة ذات سيادة عائلة استجمعت حولها حلفاء من قبائل اخرى ليكون التعداد السكاني اقل بكثير من تعداد سكان شقلاوة!

كان يمكن ان تظهر جمهورية شقلاوة وامارة السليمانية، والاخيرة كانت معروفة قبل امارات الخليج العربي.. فلماذا لم تعتبر ظهور دولة في الخليج عملاً انفصالياً يسيء لوحدة التراب القومي!

لماذا يحق لقبائل بدوية وعوائل واثنيات مثل تيمور الشرقية ان يكون لها كيان مستقل، ولا يحق لشعب يتمتع بميراث ثقافي ويكافح سياسياً، ويقاتل منذ مائة عام من اجل اقامة كيان فيدرالي مرتبط بالمركز، بينما لا ترتبط دول في الوطن العربي بأي مركز، وهي تملي ارادتها على العرب كما لو كانت هي مصر وبلاد الشام ؟

معذرة.. وشفيعنا ان حروف.. الاخيرة قد تسمح لنا بأن نقول ما لم تقله الاوائل.. والامور في خواتيمها عسى ان يكون الختام لحناً يذكرنا بالسلام الملكي الذي كان يُعزف قبل عرض الافلام في سينما الخيام فنصغي له خاشعين.

حسن العلوي - جريدة المؤتمر 27 – 4 – 2002

***

رد وتوضيح على مقالة حسن علوي

هذه بعض المقاطع من مقالة رد نشرتها السيدة نجلاء علي في الانترنت موقع النهرين العراقي في شهر آيار 2002 :

- تقول ((مازال الأكراد هم القومية الوحيدة في الشرق وفي العالم التي لم تتمتع بحق تقرير المصير وبمبادئ الرئيس ولسن..))

وأنت أعلم أن هذا الطرح الكردوي عار من الصحة تماماً. لأن الإحصائيات تقول بأن ثمانين بالمئة من دول العالم تحتوي على أكثر من فئتين لغويتين مختلفتين. ولو تركنا العالم ينقسم حسب الفئات القومية لأضيفت إلى كرتنا الأرضية أضعاف عدد الدول الحالية. أما بالنسبة للقوميات التي لم تتمتع بحق تقرير المصير هذا، فيكفيك أن تنظر إلى إيران التي تحتوي على خمس فئات قومية مختلفة والناطقون بالفارسية لا يتجاوزون الـ 45% ويكفيك أيضاً أن تنظر إلى إنكلترا التي تصدر فيها جريدتكم، فهنالك إضافة إلى الإنكليز، الاسكتلند والوولز والأيرلند. ثم فرنسا، هنالك البروتون والألزاس والباسك والاوكسيتان والكورس. ونفس الشيء العشرات من الفئات القومية، فلم هذا التجني على الحقائق وتكرار ادعاءات قومية كردوية عارية من أية صحة ؟ ثم أحب ان أسألك بخصوص شعار (تقرير المصير) الذي ماهو إلا تعبير دبلوماسي عن (حق الانفصال)، إن كنا ندعو إليه حقاً، فلماذا نجعله حكراً على الأكراد فقط، لماذا لا يحق أيضاً للتركمان والسريان واليزيدية، ثم يمكن أن نتطرف بتبني هذا الشعار لحد الحديث عن حق تقرير مصير الشيعة والدليم مثلاً، أقول مثلاً!!

ثم ألا تتفق معي، بأن شعار حق تقرير المصير هذا، لا ينطبق إلا على أبناء الخايبة من أمثال اليوغسلاف والعراقيين، أما بالنسبة للإيرلنديين والكورس والباسك فلا ينطبق لصالحهم هذا الشعار لأن هذا يجرح مشاعر سعادة السيدتين الرقيقتين إنكلترا وفرنسا. بل حتى التعيسة أفغانستان التي تفوق العراق تنوعاً واحتراباً قد تمتعت برحمة أمنا الحنون أمريكا وتم إعفاؤها من ضريبة الصراخ بشعار (حق تقرير المصير) والفيدرالية وغيرها ؟!

أنت تقول أيضاً في معرض دفاعك عن حق انفصال الأكراد: ((لماذا لم تعتبر ظهور دولة في الخليج عملاً انفصالياً يسيء لوحدة التراب القومي!)).

إن كلامك هذا يا أستاذنا العزيز، تعبير ساطع ومباشر عن سيادة الفهم القومي الشمولي في تعاملنا مع حقوق الأكراد وجميع الفئات العراقية. فأنت تعتبر علاقة شمال العراق بباقي الوطن العراقي مثل علاقة أية دولة خليجية بباقي "الوطن العربي". وكأن دول الخليج قامت على أساس انفصالها من (دولة الوطن العربي) المتخيلة!! بينما من المعروف ومن دون شعارات قومية رنانة، أن هذه الدول الخليجية لم تنفصل من أية دولة لا عربية ولا غيرها، بل كل ما في الأمر أنها قامت بعد خروج الاستعمار الإنكليزي منها.. فلماذا هذه المقارنة غير الصحيحة وغير العادلة. ولماذا هذا الاستخفاف الدائم والصريح والمكرر بالوطن العراقي وكأنه محافظة تابعة لما يسمى بدولة (الأمة العربية) المفترضة، والذي ليس من حقه أن يتجنى على حقوق (الأمة الكردية) التي تريد أن تبني دولتها!! كل هذا الكلام يتناسى مثلاً أن العروبة كانت عاجزة حتى عن منع نشوب شبه حرب حدودية

بين قطر والبحرين، وكذلك السودان ومصر بسبب ضيعة حلايب!! مثلما أن شعارات "الأمة الكردية" كانت أيضاً عاجزة عن منع اندلاع الحروب الطاحنة بين الأطراف الكردية المتنافسة، ثم الأطراف الكردية العراقية ضد حزب العمال الكردي التركي والإسهام الفعال مع الجيش التركي بالقضاء التام على إخوتهم المفترضين !! لأننا للأسف لم ندرك ولا نريد أن ندرك حتى الآن أن شعاراتنا القومية في صوب والواقع الوطني الحقيقي في صوب آخر، وهذا هو سر انكساراتنا الدائمة..

- أنت تقول: ((إن جريدتنا هي أول جريدة عربية تفرد صفحة كردية خاصة باسم كردي وبمحريرها الأكراد..))

وهذا أيضاً تجنٍ على الحقيقة وإسهام بالمعزوفة القومية الكردية الرائجة الآن التي تتناسى كل إيجابيات العراقيين سياسيين ومثقفين ولا تركز إلا على حلبجة والأنفال، وفي أحسن الأحوال فإنها لا تذكر غير جمال عبد الناصر ولقائه بالبرازاني وتخصيصه لإذاعة كردية من القاهرة، وتصريحات القذافي عن ما يسمى بحقوق الأمة الكردية!! متناسين الحقيقة التالية التي لا يمكن أن يتنكر لها أي ضمير: أن العراق هو الدولة الوحيدة في المنطقة التي منحت الأكراد منذ العشرينات حقوقاً تفوق حتى ما تمنحه أية دولة غربية لفئاتها المختلفة، هنالك الإذاعات والصحف والمدارس والجامعات والنقابات، بل إن الشخصيات الكردية أخذت مواقع قيادية حساسة في الحركة الماركسية العراقية التي كانت تمثل جميع تنوعات الأمة العراقية. لقد بلغ الأمر لحد وضع اسم الأكراد في صدر الدستور العراقي، وهذا لم يحدث في أي بلد على الأرض!! نعم العراق ليس فقط حلبجة والأنفال، ومن الظلم التنكر لكل هذا والإشادة فقط بألاعيب عبد الناصر والقذافي القومجية التكتيكية المعادية للوطن العراقي.

ثم أنت الصحفي القدير يا أستاذ حسن، كيف تنسى تاريخ الصحافة العراقية وبالذات الشيوعية التي خصصت منذ بداياتها الصفحات الخاصة بالأكراد، ووفرت الحيز الكامل للصحفيين الأكراد بالتعبير عن خصوصيتهم وثقافتهم، وآخرها (صحيفة الفكر الجديد - بيره نوي) الشيوعية التي أغلقت مع ضرب الجبهة الوطنية في أواخر السبعينات. وإلان، هنالك جريدة (طريق الشعب) التي تخصص الصفحات الخاصة بالشؤون الكردية. بل إن الحزب الشيوعي العراقي، قد فصل قسمه الكردي ليكون ما يسمى بالحزب الشيوعي الكردستاني!! لم هذا التنكر للحقائق الوطنية التي تنصف موقف أمتنا العراقية إزاء إخوتنا الأكراد.. ولماذا هذا الإصرار على الاشتراك بالرجم القاسي والمكرر والظالم للضمير العراقي المعذب؟!

***

حملة المؤتمر ضدنا

بعد اطلاع القراء على مقالة العلوي والرد عليها نورد نماذجاً من الردود الكردوية، التي تكشف عن العقلية التعصبية العاجزة عن تحمل اي نقد وتحكم عليه بقسوة ورعونة بلا رحمة ولا ضمير، وهي بعض من عشرات الردود التي شكلت حملة كردوية شعواء وكأن مقالنا القصير اقام الدنيا ولم يقعدها:

لست بحاجة ان ارد على كل كلمة وجملة وتعبير في تلك الرسالة المشحونة، لان منبع تلك الافكار هو وليد معاناة وتصورات الغير الطبيعية وباعتقادي المشوهة لصاحبها. ان القضية العراقية والكردية اكبر بكثير من ان تعير اهتماماً للافكار والاراء الهامشية والانفعالية الفردية.

في الختام من الاجدر تذكير السيد مطر بان افكاره وطروحاته ليست بحاجة إلى ادلة بل هي افكار ونزعات معروفة وملقاه في فراش الموت والدفاع عنها لن يبعث فيها الحياة بقدر ما يجعل موتها اكثر دوياً.

جعيا عباس نوري – المؤتمر 4 – 5 – 2002

***

ان كلام سليم مطر يعبر عن الحقد على كل شيء كردي.. يحاول التقليل من حجم الجرائم التي اقترفتها السلطة الباغية في بغداد... ان مقاله يتقطر الحقد من كل كلمة... ليس صحيحاً ان "كركوك قدس الاكراد" بل "كركوك قدس كردستان"... كل سطر

من مقال سليم مطر يحتاج إلى رد، ولكني اكتفي بالقول بأن كل امراض العراق المستعصية نابعة من هكذا افكار، فهي صدى لافكار ساطع الحصري وميشيل عفلق وصدام حسين.

محمود رضا – المؤتمر 4 – 5 – 2002

ان سليم مطر عبر في مقالته عن نهج شوفيني استعلائي لا يختلف عن نهج النظام وآيدولوجيته... وهو دليل على حقده على الشعب الكردي وتخندقه في قمقم عروبي شوفيني ضيق لم تساعده حتى اقامته في أكثر الدول ديمقراطية وشفافية على تليينه... ان الكاتب يهيل التراب على جرائم الابادة الجماعية... لقد ورد في المقال الكثير من السفسطة والتقولات والتشوهات...

فوزي العطروشي- شرطي اعلامي برزاني. المؤتمر 4 – 5 – 2002

ردود ايجابية

هذه بعض الردود الايجابية التي اضطرت الجريدة إلى نشرها. بالحقيقة ان العناصر الصحفية في جريدة المؤتمر ليست كلها خاضعة للابتزاز المالي البرزاني، بل هنالك عناصر وطنية رافضة لهذا الابتزاز وتحويل الصحيفة إلى تابع للاعلام البارتي. وهذه العناصر الوطنية هي التي تتمكن بين حين وآخر من دفع بعض المقالات والرسائل الخارجة عن عقلية الهيمنة والتعصب. هنا مقاطع من هذه المقالات والرسائل التي اعلن كتابها تضامنهم مع طروحاتنا. علماً بأن هنالك العشرات من هذه الرسائل والمقالات التي رفض الاعلاميون التابعون نشرها، مصرين على نشر السلبي فقط:

ان مقالة السيد سليم مطر المنشورة في "المؤتمر" العدد (300)، قد اثارت مناقشات جادة لدى اوساط واسعة من قراء الصحيفة واغلبهم كانوا من رأي الكاتب. وربما يختلف عن ذلك اخواننا الأكراد بسبب الالتباس في فهم المشكلة وتعقيداتها. لقد شعرالناس بإرتياح عميق بما قاله سليم مطر، لأنه اصاب كبد الحقيقة وعبر عن رأي الأغلبية الصامته التي تراقب عن كثب وتسكت على مضض. وهذا الصمت والسكوت عن الحق والمجاملات خوفاً من اثارة حساسية هذا الفريق أو ذاك، هو الذي قادنا إلى ما نحن عليه. اما سليم مطر فقد عرفناه مثقفاً صريحاً ووطنياً رافضاً السكوت عن الحق. وما قاله بهذا الخصوص هو الحق بعينه. وقول الحق يجلب على صاحبه المصائب في كل زمان ومكان، فكما قال امام المتقين علي بن أبي طالب: "يا حق ما أبقيت لي صاحباً".

عبدالله محمد حسين – المؤتمر 17 – 5 – 2002

***

وأعربت ميسون عبدالقادر الكركوكلي من النرويج عن استغرابها من ردود الأفعال وقالت كيف تسمح جريدتكم التي نكنّ لها كل الاحترام ان تتحول إلى حلبة لصراع الديوك وتسمح لبعض المتعصبين القوميين من أبناء شعبنا الكردي بالخروج عن اللياقة الادبية وكيل الشتائم والتهديدات المبطنة ضد الكاتب العراقي سليم مطر، فمهما كانت آراءه مختلفة مع هؤلاء القوميين. ان مثل هذا الكلام غير اللائق والتهديدي والمليء بالطعن الشخصي، يجب ان لا يُنشر في جريدتكم، لأنه أولاً إهانة لأعراف الصحافة، وثانياً لأنه اهانة شخصية لكاتب عراقي لم نجد في كل كتاباته ما يسيء إلى أي شخص بل هو يحاجج افكاراً وطروحات بكل حصافة وصدق، من دون تجريح ولا اساءة شخصية.. لان مثل هذه المواقف هي التي تخلق الحزازيات وتبرر العقلية الانفرادية والبوليسية المهيمنة على احزابنا بقدر هيمنتها على دولتنا.. نحلفكم بضمائركم ان تتوخوا الحذر مستقبلاً ولا تسمحوا لهؤلاء المتعصبين ان يمارسوا سطوتهم على جريدتكم لمجرد انهم يمتلكون المال والسلطة.. ان هذا يسيء إلى سمعتكم وسمعة المؤتمر الوطني الذي تعول عليه الكثير.

وأخيراً قال مصطفى البغدادي من عمان ان السيد سليم مطر عبر عن رأيه بجرأة وحرية في ممارسة واضحة لمبدأ حرية الرأي الذي لا أعتقد ان أصحاب الردود المنفعلة المنشورة في العدد (302) يختلفون بشأنه. ان اغلب الردود جاءت من أشخاص يقيمون في بلدان غير العراق، أي اول ما نتوقعه منهم هو احترام الرأي الآخر وتفنيد الرأي بما يقابله من الحجج والمبررات مع الحرص دائماً على تجنب استخدام عبارات التهجم الشخصي التي لا أعتقد انهم يجدونها في صحف البلدان التي يقيمون فيها.

الحل هو في امتلاك الشجاعة لقول الحقيقة مهما كانت، والقدرة على الاعتراف بالخطأ دون ضغوط، والشفافية في قبول الواقع.. ونتساءل ان كان بوسع المواطن العراقي في كردستان المتمتع بذلك القدر من الحرية والديمقراطية ان يدعو - على سبيل المثال - الى رفع الصور الجدارية لزعماء الاحزاب المنتصبة في شوارع المدن والقرى الكردستانية.. او التلميح إلى انهم يفضلون الاقربين دون العامة، أو توجيه نقد مقروء أو مسموع إلى برامجهم السياسية، والا لماذا الهجرة من الاقليم؟ هل نجيب بتكرار ما يدعيه دكتاتور بغداد بان اللاجئين (كلاب سائبة) تنكروا للقائد وخانوا الوطن؟

هذا العراق هو وطن الجميع بالفعل وليس بالقول.. نحن عراقيون قبل ان نكون عرباً او كرداً أو تركماناً أو آشوريين أو غير ذلك.. فهل نحتاج إلى حملة شاملة لـ (تعريق) العراقيين؟

ان اقوى دولة في العالم - الولايات المتحدة - لم تصل إلى هذا المستوى من القوة التقنية والمالية والعسكرية والسياسية إلا بعد ان اقتنع سكانها المختلفين في الاصول والاعراق والاديان بأنهم اميركيون قبل كل شيء.

* * *

التضامن الصعب

الاستاذ العزيز سعد البزاز المحترم

تحية طيبة

بتاريخ 3 كانون الثاني (يناير) وفي محاولة لدعم السيد سليم مطر، ارسلت لكم مقالة بعنوان (وطن في المزاد وبنادق للايجار) ولكنها لم تنشر حتى الآن. فهل ان المقالة اخفيت عنكم؟ انا في الحقيقة دخلت على هذا الموضوع بدافع الدفاع عن وحدة العراق ولكنه - اي المقال - قادني إلى حقائق لم تخطر على البال. لقد علمت ان متاعب كثيرة عاشها كتاب قبلي حاولوا الكتابة عن هذه القضية ومنعت مقالاتهم من النشر.

ان جميع الصحف بلا استثناء لا تنشر أي مقاربة نقدية حتى عن اخطاء الخطاب الكردي وأسباب ذلك كثيرة ومنها.

1- البعض عنده دكاكين هشة في شمال العراق.

2- قسم يراهن على رموز كردية قد تسنده في يوم ما أو تدفعه إلى الواجهة.

3- مجموعة مستعدة لبيع العراق من اجل مكاسب حزبية.. الخ. واسباب مشابهة. وكل مواقف هؤلاء معروفة بالتفصيل في دول اللجوء في اوساط العراقيين، وانا لم ادهش من هذه المواقف لاني لا اتوقع خيراً من هذه النماذج.

وبدافع من الحب والعاطفة الصافية والنبيلة نحوكم، ارجو ان يكون موقفكم من هذه القضية فوق كل الاعتبارات والعوامل هناك كتبة يملكون نشرات للارتزاق في النرويج، مثلاً، ويطوفون على ابواب السفارات مهددين بالكتابة عنها او دفع مبالغ مالية تافهة. ومع الاسف وعلى الرغم من سطحية وامية هؤلاء فان مقالاتهم تأخذ طريقها للنشر وترفض نشر مقالات كتاب هم في الواجهة الخلفية من هذا السلوك. ان تقديري لكم شخصياً، وحبي لـ (الزمان) هو الذي املى على هذه الملاحظات التي ارجو ان تؤخذ كملاحظات رجل لا ناقة له ولا جمل.. مع مودتي.

حمزة الحسن، جريدة الزمان 22 – 1 – 2001

***

من النماذج التعيسة للنقد البوليسي البرزاني

سأبدأ من الجملة الاخيرة للمقال الرائع للكاتب (مشعل التمو) في الزمان يوم 1/3/2001 بعنوان "لغة الاستعلاء والتخوين لا تصلح للحوار الحضاري بين الشعوب" وانضم اليه لاحالة منطق سليم مطر ويوسف القعيد واقلام قليلة اخرى امتهنت تسميم الحقيقة إلى منطق شارون.

فوزي العطروشي - تابع وشرطي اعلامي برزاني

- جريدة الزمان – لندن 16 – 3 – 2001

ملاحظة: سبق لمتعصب (كردوي) سوري (مشعل التمو) ان هذه اللغة البوليسية التعيسة في مقالة سابقة ايضاً في جريدة الزمان "العراقية"!

العدالة المفقودة

لماذا عندما يتم الحديث عن كردستان، تختصر كردستان إلى شعب، وعندما يتم الحديث عن العراق يختصر العراق إلى نظام؟ هل النظام في كردستان على هذه الدرجة من الشفافية الديمقراطية والثقافية والحضارية ليكون أفق مستقبل العراق؟

عبدالرزاق عيد - ناقد سوري - اخبار الأدب المصرية 17 – 12 – 2000

التضامن العروبي - الكردوي

هنا مقاطع من طروحات قومية عروبية تتعامل مع القضية الكردية بمنظار عروبي عرقي يضحي بالوطن وارضه وتاريخه.

القذافي والكرم العروبي

(الاكراد لهم ارض - ارض كردستان والاكراد لهم امة - الامة الكردستانية وهي امة شقيقة يجب ان تحترم. اننا ضد التنكيل بهم وضد اضطهادهم وضد تشتيتهم في العالم. وانا اؤيد كفاح الاكراد لا لمعاداة الامة العربية والايرانية والتركية أو اية امة اخرى. انا معهم في سبيل جمع شتاتهم واقامة امة كردستانية تأخذ مكانها في الشرق الادنى إلى جوار الامة العربية والامة الايرانية والامة التركية).

العقيد القذافي - عن المؤتمر – لندن 22 – 3 – 2002

لاحظ هذا الكرم الحاتمي من قبل القذافي. فالعراق وسوريا لا يستحقان الذكر بالنسبة له فبما ان البلدين جزء من "الامة العربية" وبما انه يتزعم هذه الامة فله كل الحق ان يقسم الشعوب والاوطان إلى امم كما يشاء. والطريف انه اعتبر ايران امة رغم وجود اربعة فنات (امم!!) ناطقة بأربعة لغات، منها التركية والكردية والبلوشية والعربية، اما الفارسية فلا تمثل سوى اقل من 50%. اما العراق الذي يتكلم العربية فيه ما يقرب الـ 80% فهو لا يستحق تسمية امة لانه جزءاً لا يذكر من الامة العربية؟!

العروبيون والكردويون

التأريخ المعاصر يقول: العروبيون هم الذين حكموا العراق المعاصر في الأغلب الأعم والكردويون هم الذين تزعموا القضية الكردية في الأغلب الاعظم. ووقائع التأريخ القريب توضح أيضاً أن العروبيين. والكردويين هم الذين اتفقوا وتحالفوا في المفاصل الهامة في تأريخ العراق. لقد تحالفوا فيما بينهم فأسقطوا حكومة ثورة الرابع عشر من تموز بقيادة عبدالكريم قاسم.

وتحالف مام جلال مع الحكومة القومية العراقية في أواسط الستينات وكذلك تحالف مع حكومة البعث في الثمانينات عندما وجه لليسار ضربة قاصمة واتفق المرحوم البارزاني الأب مع حكومة البعث وكان ثمرة هذا الاتفاق بيان الحادي عشر من آذار الذي ما زال الأكراد يعدونه حتى هذا اليوم إنجازاً باهراً لقضيتهم.

عندما تضعف دوافع المغالاة لدى العرب والكرد معاً فإنهم سرعان ما يتوصلون إلى حلول ترضي الطرفين وتكون في خدمة الوطن المشترك والعيش المشترك بين الشعبين الشقيقين وعندما يتغلب التعصب وتتعمق المغالاة ويبحث كل طرف عن نقاط إنتصار قميئة هنا أو هناك ينهزم الوطن المشترك ويخسر العرب كما الأكراد الكثير الكثير.

صباح الشاهر - جريدة القدس - 2000-9023

***

سفسطة قومية عروبية!

إن دخول العربي إلى الخندق الكردي يعنى تحرير النفس العربية من العقدة التسلطية، وتحرير العقل العربي السياسي من الوعي المزيف، وإعطاء الفكر العربي بعداً إنسانياً.

فؤاد حسين مؤتمر الحوار ص 153

سؤال مشروع

وضع غريب ولا شك تعيشة تلك المنطقة هي جزء من وطن اسمه العراق على الخارطة ووفق المواثيق الدولية، أما على أرض الواقع فلا يستطيع جندي عراقي واحد أن يدخل إليها في الوقت الذي تدخل وتخرج القوات التركية بلا حساب ولا رقيب.

رجائي فايد - صحفي مصري وعضو اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار - ص 138

***

تجويع الشعب خوفا من الدكتاتور

اقترحت أن ينص البيان الختامي على المطالبة برفع الحصار عن العراق، وأنا أزعم أنني من أشد أعداء الدكتاتورية القائمة الآن في العراق، لاحظت أن الإخوة الأكراد يتخوفون من المطالبة برفع الحصار خشية أن يؤدي رفع الحصار إلى تقوية نظام الحكم الدكتاتوري.

نبيل زكي - صحفي ويساري مصري - مؤتمر الحوار ص199

***

نظرة مصرية عروبية جداً لدولة العراق!

وسيقتصر كلامي هنا على أكراد العراق، فبعد اتفاقية (سايكس - بيكو) كونت بريطانيا دولة العراق من (قصاقيص) ولايات عثمانية وضمت لها منطقة الأكراد.

سعد كامل - صحفي مصري - جريدة الاخبار - 1998 - 5.31

بمناسبة مؤتمر الحوار العربي - الكردي في القاهرة - ص 330

***

كرم عروبي بترولي!

(ما دام العرب يملكون الكثير من البترول، فلنعط الأكراد بترول كركوك، وإلا فهم سوف يصبحون خناجر غدر في ظهورنا!!)

احمد فوزي - صحفي مصري - مؤتمر الحوار - ص 210

نماذج اخرى من التعقيبات الصحفية

مواقف كردية ايجابية

إن الطروحات الكردية السلبية والمتعصبة رغم سيادتها الاعلامية، الا أنها لم تتمكن من الغاء الطروحات الكردية التي يحملها الكثير من الأكراد الوطنيين. هنا نماذج من هذه الطروحات الايجابية :

فئات العراق جسور نحو العالم

العراق، بجغرافيته السياسية والبشرية هو بمثابة الجسر الى العالم، فهو يقع في منطقة شمال الخليج الغنية بالنفط، وهو يمتلك ثاني أكبر احتياط نفطي في العالم (أو ربما الأكبر) بوقوع العراق شمالي الخليج، يصبح جسراً جغرافياً بين تلك المنطقة النفطية ومنطقة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا.

هذا يفضي الى التكامل ورسم سياسة واقعية للاندماج الايجابي مع العولمة بالشكل البناء لخير وازدهار الأهالي في العراق كما في مناطق التفاعل.

ليس أمام العراق، كسائر البلدان، أما أن يتفاعل ايجابياً مع العولمة ليجني ثمارها والاستفادة القصوى منها، أو أن يبقى في قبضة الخضوع والتخلف عن الركب الحضاري ليستحق الرثاء والعطف.

يتمتع العراق بموقع الجسر ولا يماثله في هذا أية دولة أخرى، كما أنه يملك امتيازاً آخر لا نظير له، وهو عامل قوة ووحدة وازدهار، الا وهو تنوع شعبه. هذا التنوع يجب أن يصبح هو الآخر، الجسر البشري الذي يكمل الجسر الجغرافي.

الشيعة في الجنوب، هم جسر العراق مع جارتنا الشرقية، ايران وبلدان أخرى فيها جاليات شيعية كبيرة كباكستان مثلاً، لتأسيس علاقات تكاملية تجارية ومصالح مشتركة وفتح السياحة الدينية الى العتبات الشيعية المقدسة.

السكان في وسط العراق هم الجسر الى الدول العربية وكل ما يعنيه ذلك من صلات ثقافية وقومية وتجارية مع عالم مترامي الأطراف يصل الى شواطئ الأطلسي، بما يمثله ذلك من بعد استراتيجي واقتصادي وثقافي عظيم. يسكن التركمان شمالي وسط العراق، ليكونوا جسر العراق الى تركيا وما وراءها من الدول التركية التي كانت سابقاً جزءاً من الامبراطورية السوفييتية المندثرة، وهم جسر العراق مع ملايين الأتراك المهاجرين الى دول أوروبا، استراليا وأمريكا الشمالية.

يكون الكلدان والآشوريون جسر العراق مع جالياتهم في الخارج، هناك أكثر من مليون كلدو - اشوري، كانوا قد هاجروا من العراق الى بلدان أوروبا، استراليا وأمريكا الشمالية وشكلوا جاليات ذات نشاط اقتصادي ناجح خاصة في وسط شرقي

الولايات المتحدة الأمريكية. ومع أن العراق كان قد خسر الكثير بسبب هجرتهم الى الخارج لأنهم أجادوا الحرف اليدوية والمهن المتخصصة وما مثلتها من اقتصاد وثقافة، الا أن انتشار "رؤية الجسر" ستعيد تحقيق الفوائد الاقتصادية والحضارية للشعب العراقي كله. وفي محافظتي نينوى ودهوك، كما في بغداد. يعيش أكثر من مليون يزيدي، لهم روابط وثيقة بحوالي نصف مليون يزيدي يعيشون في دول الاتحاد الأوروبي وخاصة المانيا، ويمتد هذا الجسر العراقي الى أبعد من ذلك. حيث يعيش أكثر من نصف مليون يزيدي آخر في روسيا ودول الاتحاد السوفييتي السابق.

تقع مزارات اليزيدية في العراق، في منطقة جبل سنجار (نينوِى) وجبل لالش (دهوك) حيث يوجد المعبد المقدس لدى كافة يزيديي العالم، الأمر الذي يجعل من اليزيديين جسر العراق الى جالياتهم في العالم.

أما الأكراد في اقليم كردستان في شمال العراق، فهم امتداد طبيعي للأكراد في أجزاء كردستان الأخرى: ايران، تركيا وسورية، وتربطهم علاقات وثيقة مع بني جلدتهم في تلك البلدان. ويتحدث أكراد العراق باللهجات الكردية المختلفة، مما يجعل من الجسر الكردي - العراقي قوة سياسية واقتصادية بل ومعنوية كبرى للشعب العراقي كله.

في وطننا، بلاد ما بين النهرين، بلاد بابل، وأكد وآشور، وبعمق أربعة آلاف عام، توجد آثار مهد الحضارة البشرية، لجذب العالم للسياحة العلمية أو الاستمتاع، كما وأن التباين والتنوع الجغرافي والمناخي، من قمم جبال كردستان التي تكسوها الثلوج في صيف تموز الى مناطق الجنوب المعتدلة الحرارة شتاء ، كلها تجعل من بلادنا الجميلة جسراً حضارياً يربطها بالعالم.

حسين النجاري - وزير كردي سابق - صحيفة القدس 6 – 12 – 2000

***

الاكراد السوريون والوطنية الحقة

قررت مجموعة من الاكراد السوريين الانفصال عن حزب العمال الكردستاني PKK بزعامة عبدالله أوجلان.

وأوضح بيان اصدرته جماعة اطلقت على نفسها (اللجنة القيادية للكوادر الكردية السورية PKK)، وتلقت (الزمان) نسخة منه، انهم قرروا الانفصال عن PKK (إيماناً منا بعدم الخيانة لدماء شهدائنا الأبرار، والرجوع إلى ساحة وطننا السوري الذي لا بديل لنا عنه، وهذه وصية منا لكل الأجيال القادمة من الكرد السوريين وعلينا تمثيلهم خير تمثيل)، طالباً منهم الانخراط (ضمن النسيج الوطني والسياسي والاجتماعي لهذا الوطن الذي ترعرعنا فيه والدفاع عنه بكل ما لدينا من قوة.

وتساءل البيان: (لماذا التملص من بناء مؤسسات كردية سورية تخدم الكرد السوريين؟.. إلى أين تذهب كل هذه الأموال؟ ما المعنى من إرسال العشرات من خيرة شبابنا إلى ساحاتهم الرئيسية في جبال قنديل وإلى مستقبل مجهول؟.. وماذا نفسر تبني Pkk للميثاق الملي الذي يقر بضم ولايتي الموصل وكركوك للدولة التركية، وهذا تمهيد توسعي على حساب شعوب المنطقة؟...

جريدة الزمان – لندن – 27 – 4 – 2001

***

موقف كردي وطني

اثبتت التجارب المريرة السابقة ان اية يد أو ايادي خارجية لا بد ان يكون لها هدف خبيث عندما تريد ان تتطاول بشكل مصطنع لمساعدة هذا أو ذاك.. إن القضايا العادلة للشعوب ومطالبتها بالحرية والديمقراطية وحقوق الانسان لا تحتاج إلى مثل هذه الأيادي الخبيثة.. ونقول لاصحاب الاحلام كفانا تمزقاً وكفانا تشرذماً وكفى العراق ما هو عليه الان.. لسنا بحاجة إلى مسميات

جديدة ولا ادعاء احجام أكبر من احجامنا ولا التشبث باوهام بالية.. بل نريد اليوم عراقاً حراً ديمقراطياً موحداِ ارضاً وشعباً يعمل الجميع فيه من أجل النهوض من الكبوة التي هو فيها وان نلحق بركب الشعوب التي سبقتنا ولتكن مطالبتنا جميعاً بحقوقنا الاساسية كاملة غير منقوصة في عراق ليس فيه ظالم ولا مظلوم.

يونس عبدالعزيز – الزمان – 17 – 8 – 2000

***

صراحة كردية

للأكراد تجارب في هذا المضمار منها ما يتعلق بمجازر الأرمن التي شارك بعضهم فيها. حيث بقيت مسألة حساسة عندهم يتجنبون الخوض فيها. ولم تصدر أول دراسة كردية حول الموضوع إلا في السبعينات لتعترف بمشاركتهم في هذه المجازر. فلم يكن هذا الاعتراف سهلاً. ولا عجب أن يكون أول من درسها هو كردي من جنوب كردستان لا من شمالها حيث وقعت المجازر. فأكراد تركيا لا يزالون يتجنبون هذا الموضوع. وإذا كان هذا المثال قديماً فهناك العديد من الأمثلة في وقتنا الحاضر. فنأخذ على سبيل المثال لا الحصر المعارك التي وقعت بين الحزبين الكرديين في شمال العراق بين أعوام 1994 و1996 والتي راح ضحيتها اكثر من أربعة آلاف انسان. فمن الصعب أن نجد كردياً يتحدث عنها بسهولة. لأنها. أراد أم لم يرد. قللت من الثقة بالحركة القومية الكردية وأضعفت خطابها المدافع عن حق الأكراد في العيش والحرية.

هلكوت حكيم – المؤتمر 24 – 5 – 2002

***

مطلب كردي مشروع

اعتقد انه اذا اردنا فكراً عراقياً عصرياً حضارياً مقبولاً لمستقبل العراق السياسي، فعلينا الاعتراف ابتداءً بان الهوية القومية العربية - مع جليل تقديري لها - لا يمكن اعتبارها لوحدها الهوية الوحيدة في العراق لان ذلك لا يطابق الواقع ليس في العراق فحسب بل ربما في عدد اخر من اقاليم الدول العربية - السودان واقطار المغرب العربي - وبهذا يجب الاعتراف بان هناك هويات دينية جامعة وقوميات خاصة اخرى كما يثبته الواقع المادي في العراق.. فالى جانب القومية العربية ذات الاغلبية العددية هناك الكرد والتركمان والارمن والآشوريون. فضلاً عن ان الهوية الاسلامية على وجه الخصوص تسمو وتعلو على فكر وانتماء جميع القوميات المسلمة في الدولة.. وحتى الآن لم يبذل جهد فكري ثقافي لوضع مشروع حضاري مقبول في هذا الاطار لايجاد توافق سليم بين الهويتين أو الانتمائين القومي الاسلامي من جانب اخر. وحتى الآن لم نستطع وضع حل مقبول يتفق عليه الجميع على اساس القانون والعدل للمسألة الكردية وبقية الجماعات القومية الاخرى في العراق باعتباره السبيل الوحيد لاغلاق وسد جميع النوافذ والابواب المفتوحة امام المشروع الاجنبي لاحلال معيار الصراع الديني القومي محل الوطنية، واثارة المشاكل القومية للجماعات القومية على حساب الوطن.

د. محمد الهماوندي- سياسي كردي - جريدة الزمان 11 – 2 – 2000

***

الوحدة الوطنية الحقة

رأى حزب التجمع الوطني الديمقراطي الكردي في سوريا ان بعض الاطراف الكردية تحاول جر اكراد سوريا إلى مواقف مضادة ليست في خدمة التغير الذي نطمح ان يشمل الاكراد.

وأشار الحزب الذي يرأسه محمد مروان الزركي إلى انه من موقع حرصنا على الوجه الايجابي للاكراد السوريين وعلى العلاقة الحضارية بين الاكراد والعرب في النسيج الوطني السوري نرى بأن طريقة ظهور منتدى بدرخان (في القامشلي) وما يتحدث القائمون على المنتدى ينصب في سياسة الاصطفافات الجارية لصالح الاحزاب الكردستانية (العراقي - تركيا) وتدخل هذه الاحزاب في شؤون أكراد سوريا. معتبراً أن أكراد سوريا أكثر من غيرهم يدركون أن مثل هذا الامر لا يخدم مصلحتهم وإمكانية إيجاد حل واقعي لمعاناتهم وهمومهم.

الزمان 26 – 1 – 2001

***

رد كردي عقلاني على طروحات
المتعصبين الرافضين للابجدية العربية

كان جلادت أعتبر الانتقال من الألفباء العربية إلى اللاتينية طريقاً إلى نهضة الاكراد الثقافية، ولا اعرف، في الواقع، ما الذي جعله يربط مسألة (نهضة) الاكراد هذه بأمر الفباء جديدة، أكانت لاتينية أم غير لاتينية، ذلك ان الألفباء والحروف لا علاقة لها، في واقع الحال، بيقظة الشعوب أو عدمها كما أنها لا تلعب دوراً يذكر في تقدم الناس أو تأخرهم. وأغلب الظن ان الانقلاب الجذري الذي قام به مصطفى كمال اتاتورك في تركيا وشمل تبديل الألفباء العربية بألفباء لاتينية قد أثر في جلادت وصحبه أيضاً. وكان اتاتورك ربط تخلف الأمبراطورية العثمانية بهيمنة اللغة العربية والفكر الاسلامي. ورأى ضرورة قطع الصلة بذلك التراث حتى يتسنى لتركيا اللحاق بالغرب الاوروبي المتقدم. وسواء كان جلادت واصحابه قد اقتنعوا بأفكار اتاتورك وتأثروا بها أم لا، فهم اخذوا، بوعي أو من دون وعي، مسألة تبديل الألفباء مأخذاً جدياً، ولكنهم، في سعي إلى النأي بأنفسهم عن نهج اتاتورك، برروا فعلتهم هذه بكون اللغة الكردية تنتسب إلى مجموعة اللغات الهندو - اوروبية التي تعجز الألفباء العربية "من اللغات السامية" عن توفير المدى المطلوب لاصواتها. وليس هذا صحيحاً بالطبع. فالألفباء شيء آخر غير اللغة. ذلك انها عبارة عن حروف ترمز إلى الاصوات التي نصدرها في الكلام (أي اللغة). وهذه الحروف هي اشكال نبتدعها ونتفق في شأنها. فان كانت اللغة تمتلك جنسية فان الألفباء لا جنسية لها. وفي مقدور أي الفباء ان تعبر عن أي لغة للقدر نفسه من المرونة وذلك لان في مقدور المرء ان يبتكر ما شاء، وما طاب له، من الاشكال.

والاكراد ما انفكوا يستعملون الألفباء العربية منذ عمدوا إلى الكتابة والتدوين "اقدم نص كردي مكتوب يعود إلى فترة ما بعد الاسلام بقرون عديدة". واشعار الكلاسيكيين الكرد من فقي تيران وملاي جزيري وحريري وسواهم انما دونت بالحروف العربية وتناقلتها الاجيال حتى وصلت الينا، دون صعوبة تذكر. ولعل في التراث الفارسي ما يغني عن كل مثال، فروائع من قبيل اشعار حافظ والخيام وسعدي ومنظومات الفردوسي وكندوي والعطار والرومي وسواهم كتبت بالاحرف العربية. وما تزال اللغة الفارسية، حتى هذا اليوم، تعطي ثماراً كثيرة في ميادين الفكر والفلسفة والتاريخ والعلوم، واقرب اللغات إلى الكردية هي الفارسية كما هو معلوم. فكلتاهما تنتميان إلى الارومة ذاتها. فكيف تقدر الفارسية ان تنتج وتبدع بالألفباء العربية فيما تعجز الكردية عن ذلك، هذا اذا اخذنا ذلك الزعم في الاعتبار؟

نزار آغري – المؤتمر 26 – 4 – 2002

***

تواطؤ الإعلام الرسمي العراقي

بهذه المناسبة نقول لمن لا يعرف، أن هنالك تواطؤاً واضحاً ومستمراً بين الحكومة العراقية والإدارة الكردية، وأكبر دليل على هذا التواطؤ هو الصمت المطلق، نعم نقول ونؤكد هنالك صمت مطلق من قبل الإعلام الرسمي العراقي إزاء كل الطروحات التعصبية والانفصالية الكردوية.. حتى أتباع النظام في الخارج يستغربون من هذا الصمت. جميع الأوامر التي يتلقونها تطلب منهم الحديث فقط عن "رفع الحصار" و "التشهير بالمعارضة" مع صمت تام عن "الموضوع الكردي".. نعم إن نظام بلادنا مستعد أن يتواطأ مع الشيطان وضد مصالح الوطن العليا، من أجل فقط الحفاظ على ديمومة السلطة..

محمد برزان الكركولي

حقوقي عراقي يفتخر بانتمائه الكردي التركماني العربي - هولندا-

جريدة القدس 25 - 3 - 2001

***

(حق تقرير مصير) أم سوق حرة أمريكية جديدة ؟!

هنالك نكتة يهودية تحكى عن شخص شكى يوماً لصديقه قائلاً:

- غريب أمر زوجتي في هذا الشهر، إنها أتعبتني بطلب النقود، في أول الشهر 200 شاقل، وبعده بأسبوع 400 شاقل، وبعده بأسبوع 700 شاقل، واليوم ارتفعت إلى 1000 شاقل !!

- غريب أمرها.. كم أصبح مجموع كل هذا ؟

- لا أدري.. فأنا لم أدفع لها أي شيء حتى الآن..

هذه النكتة تكاد في بعض الأوجه تنطبق على مطالب الحركات القومية الكردوية. فهي حتى أعوام الستينات ظلت تطالب بـ "الحقوق" الثقافية والسياسية للأكراد كشركاء أساسيين في الوطن العراقي، وقد تبنت الحركات العراقية هذه المطالب . بعدها ارتفعت درجة المطالب بـ "حكم ذاتي"، وأيضاً تبنت الحركات العراقية هذه المطالب. وظل الأمر هكذا حتى أعوام التسعينات حيث ارتفعت درجة المطالب إلى "الفدرالية" التي أيضاً تبنتها أغلب الحركات العراقية. أما الآن فقد خرج علينا "الكردويون" بأنشودة جديدة اسمها "حق تقرير المصير"!! أي بكلام صريح "حق الانفصال".. نعم هكذا حق الانفصال "حتـه وحده"! كما يقول المصريون. هذا "الحق" تفضل به علينا مؤخراً كل من الكردوي السوري صلاح بدر الدين (المتنكر لانتمائه السوري) !! والكردوي العراقي محمود عثمان، في مقالتيهما اللتين لا تتميزان قط عن الطروحات الشوفينية التي بدأتها بعض الأقلام الكردوية التي تحلم بكردستان الكبرى الممتدة من العراق إلى سوريا وإيران وتركيا وأذربيجان وأرمينيا وهلم جراً بطرحها في كل مناسبة ، وكأن مقالتي بدرالدين وعثمان المنشورتين في جريدة القدس، نسخة مستنسخة عنها .

لا ندري بعد أعوام ماذا سيخرج علينا هؤلاء الكردويون من جعبتهم القومية.. ونحن نسأل هؤلاء السادة الكرام: لماذ فقط أنتم وحدكم من يحق له هذا المطلب ؟ هنالك في شمال العراق: أكراد وعرب وتركمان ويزيدية وسريان، وكل فئة من هؤلاء لا يقل عددها عن نصف المليون ! أما شمال سوريا الذي تعتبرونه (كردستانكم الغربية) فيقطنه العرب والأكراد والسريان والأرمن واليزيدية ! طيب ما هو رأيكم أن نمنح لكل هؤلاء "حق تقرير المصير"، فتتشكل لدينا جمهوريات وممالك موزية زاهية: كردستان السورانية (السلالة الطلبانية) وكردستان البهدنانية (السلالة البرزانية) وتركمانستان وآشورستان ويزيدستان وأرمينستان، وسوف نضيف عليها فيما بعد: شيعستان وسنستان ومسيحستان، وهكذا دواليك. وبهذا تتحول بلداننا إلى منطقة

"سوق حرة" عالمية مفتوحة لكل من هب ودب من المغامرين وأتباع الحركات القومية المتطرفة العالمية على نمطكم وبرعاية مباشرة من قبل الرفاق في الموساد الإسرائيلي والبنتاغون الأمريكي. وبهذا تنحل كل مشاكلنا ونخلق جنات النعيم على الأرض !!

سارة شمعون، لوكسمبورج - جريدة الزمان - 15 - 1 - 2001

***

الاحزاب العراقية وتبعيتها لسلطة البرزاني

منذ أيام نشر البروفيسور كمال مجيد في جريدة القدس في 12- 4- 2001. رسالة تتضمن انتباهة ذكية فيها الكثير من المعقولية والواقعية، حينما فضح علاقة الحزب الشيوعي العراقي بإدارتي البرزاني والطلباني. إننا نتفق معه باستغرابه من أن جميع الأصوات تدين طرفاً محدداً في المعارضة العراقية، وهو المؤتمر الوطني، بسبب تبعيته لأمريكا وقبضه الأموال منها. ولكن لا أحد أبداً يسلط الأضواء على حقيقة أن إدارتي البرزاني والطالباني في شمال العراق تابعتان عسكرياً وسياسياً وثقافياً وما لياً لأمريكا، وهما عضوان مؤسسان ودائمان في هذا المؤتمر الوطني !! فكيف يصح للحزب الشيوعي العراقي الذي يفتخر بأنه رافض للانضواء تحت راية أمريكا، بأن يعترف رسمياً بأنه يعتاش على أموال إدراتي البرزاني والطلباني التابعتين لأمريكا، لأنه عضو في حكومة الإقليم ؟؟!! إنها معادلة غريبة لايمكن أن نجد لها مثيلاً إلا في بلدنا العراق: الحزب الشيوعي ضد أمريكا وضد المؤتمر الوطني، لكن يقبض المال من إدراة مصطنعة تابعة لأمريكا وهو عضو في جهازها !!

إن الحزب الشيوعي العراقي الذي يعتبر رائد الحركة الوطنية في العراق عن حق، لا يستحق أن ينحدر إلى هذه الهاوية، وأن يكون أداة طيعة بيد الأحزاب الكردية المدعمة من قبل الصهيونية والأمبريالية. لمجرد أن قياديه يعتاشون ويقبضون رواتبهم من هذه الأحزاب . هل بلغ الحال بالحزب الشيوعي العراقي إلى أن يعلن على رؤوس الأشهاد أن قياديه يقبضون رشاوي من القيادات الكردية لتمييع مواقف الحزب الشيوعي النضالية التي طالما أشاد بها الأعداء قبل الأصدقاء، هل ضحى الآلاف من مناضليه بدمائهم الزكية لتباع مبادئهم التي دافعوا عنها بدمائهم في أسواق عكاظ السياسات الكردية المشبوهة الشوفينية ؟!

شكراً لك يا أستاذ كمال مجيد، الآن فقط فهمنا سر تطبيل الحزب الشيوعي وتزميره للقيادات الطرزانية (الطلبانية البرزانية)، وخضوعه الفوري لإرادة العناصر الكردوية بالموافقة على فصل منظمات المحافظات الكردية لكي تكون حزبها الكردستاني المستقل الذي رفض أن يحمل حتى صفة عراقي !! وأيضاً فهمنا سر تنصل الحزب من شعاره التاريخي عن الحكم الذاتي ثم الفدرالية ليحل بدله هذا الشعار الانفصالي المرعب (حق تقرير المصير لكردستان) !! سبحان مالك الدولار، الذي حول رفاق الأمس إلى عرابين للشعارات الأمبريالية المشبوهة التي طالما حاربها مناضلو الحزب الشيوعي العراقي بدمائهم الزكية .

أسعد عبد السادة - عراقي شيوعي سابق، - كندا ، القدس - 7 - 5 - 2001

***

أكاذيب الشفقة

يا سيد (ط م) الذي نجهل جنسيتك لأنك للأسف قد غطيتها مثلهم بـ ((كردي!!!))، ونقول إننا نستغرب حديثك عن هروب الأكراد إلى بلدان المهجر بسبب ((وطنهم الضائع.. وأنهم خرجوا من سجن أنظمة فاشية غاصبة..)) ليفهم من كلامك النظامان السوري والعراقي. ونحب أن نقول لك، لا دفاعاً عن هذين النظامين ولا عن أي نظام في العالم، ولكن من أجل كشف الحقيقة الواضحة ولكن المغطاة بطنين الإعلام المزيف: ألا ترى أيها السيد صاحب الضمير بأن هؤلاء التائهين هم عراقيون من شمال الوطن (دهوك وأربيل والسليمانية) وليس من بغداد أو دمشق. ولعلمك أنهم ليسوا جميعاً أكراداً بل نصفهم وأكثر من العرب والتركمان والسريان. وأن المسؤول الأول والأخير عن عمليات التهجير ليس الأنظمة الفاشية ولا هم يحزنون، بل هو الكيان

الطرازاني (الطلباني البرزاني) الذي زرعه الأمريكيون في شمال الوطن. أنا شخصياً مع أيتامي الأربعة قد دفعت كل ثروة حياتي وميراثي إلى جهات تابعة لهذا الكيان الطرزاني لكي يساعدونا على الهروب إلى أوربا. وجميعنا نحن الهاربين من الشمال قد لمسنا لمس اليد كيف أن هذه الإدارة موكلة بمهمة واحدة وحيدة: تفريغ شمال العراق من سكانه الأكراد والتركمان والسريان والعرب للاستيلاء على أملاكهم وثرواتهم، لتحويل شمال الوطن إلى محمية موز أمريكية. بالإضافة إلى مهمة ضرب مناضلي أكراد تركيا، وزرع شبكات التجسس المرتبطة بالموساد الإسرائيلي والقوات الأمريكية ضد أنظمة سوريا والعراق. ويتم كل هذا بتغطية إعلامية جبارة تطبل ليل نهار بمشاريع كردستان الكبرى وهولكست الأكراد والشحن العنصري ضد العرب والتركمان والسريان !!

فيا أيها الأخ الكريم الذي نتمنى منك مستقبلاً أن لا تخجل من حمل هوية وطنك السوري، ونقول لك نحن معك بضرورة التضامن مع الأكراد ومع جميع العراقيين المقتلعين من وطنهم، ولكن نحن ليس فقط ضد الفاشيين العرب بل أيضاً ضد الفاشيين الكرد الذين باعوا ضمائرهم بحفنة دولارات، والله يعيننا ويعينك على هذه المصيبة..

جورجيت عقراوي - لاجئة عراقية في السويد - القدس - 14 - 4 - 2001

***

احتجاج جزائري على تعميم التعصب القومي

تفضل علينا السياسي السوري (الكردي!) صلاح بدر الدين، بمقالة عصماء عن موضوع (حق تقرير المصير). يبدو أن هذا السيد ومعه باقي القوميين الأكراد قد تطوعوا في الآونة الأخيرة إلى توسيع ساحة نضالهم ليسمحوا لأنفسهم بالحديث ليس نيابة عن الأكراد وحدهم، بل نيابة عن جميع الفئات المحلية غير الناطقة بالعربية في كل البلدان العربية، مثل الأمازيغ في بلدان المغرب والسلالات السودانية.

قبل كل شيء نود أن نقول لهذا السيد، إننا نحن الأمازيغ نرفض مثل هذه الطروحات القومية عن "حق تقرير المصير" التي يريد الغرب أن يطبقها فقط على الشعوب الضعيفة، وليس على شعوب الغرب نفسه مثل الإيرلند والإسكتلند والكورس والباسك وغيرهم. نقول لك أيضاً بأننا نفتخر بانتمائنا الوطني (المغربي والجزائري)، ونفتخر بحملنا للغة العربية منذ قرون طويلة.

ونحب أن نقول لإخوتنا من انتلجنسيا اليسار المشرقي في سوريا والعراق، راجين منهم أن يكفونا شر طروحاتهم القومية الغرائبية التي تقسم الشعب الواحد في البلد الواحد إلى شذر مذر من أمم وقوميات وأعراق وشعوب وأقليات !! ليكن في علمكم يا سيد صلاح بدر الدين وجماعتك من قوميي المشرق أننا في بلدان المغرب نرفض مثل هذه الطروحات العرقية التقسيمية التي لا توجد حتى في أوربا الليبرالية ! نحن الأمازيغ يا سيدي لسنا بعرق ولا بقومية كما يحلو لك أن تردد، بل نحن من نفس العرق والقومية والأمة مع أشقائنا الناطقين بالعربية، لأن التاريخ مزج بيننا وصهر بعضنا ببعض حتى غدا من المستحيل التفريق بيننا جسمانياً وثقافياً. وأن كل مطالبنا لا تتعدى (الاعتراف بلغتنا) الأمازيغية كجزء من الثقافة والميراث الوطني مع بقاء العربية لغتنا الرسمية الحاملة لميراثنا الوطني منذ قرون طويلة وحتى الآن.

إننا نستغرب من سياسي مثلك، يتجرأ أن يردد علانية بأن (حق المواطنة) أمر ثانوي وغير كاف، وأن (حق تقرير المصير) هو المطلوب !! إن هذا يشبه موقف الإنسان الذي يعاني المرض لكنه يرفض الصحة لأنه ينتظر أن يحصل على أجنحة الملائكة !! ألا تعلم بأن شعوبنا منذ أكثر من قرن وهي تكافح من أجل الحصول على (حق المواطنة)، وهي حتى الآن لم تحصل حتى على عشره ؟ ولو أننا فعلاً تمكنا من الحصول على هذا الحق، فإننا يقيناً سوف نحل القسم الأعظم من مشاكلنا.

والذي أثار استغرابنا أكثر هو قولك بأن: ((الفلسطينيين لم يكتفوا بحق المواطنة، بل طالبوا بحق تقرير المصير))!! بالله عليك وأنت الذي تدعي بأنك خبير بالسياسة وتريد أن تغير خارطة الشرق الأوسط بأكمله، ألا تعرف بأن الشعب الفلسطيني محروم من أي حقوق مواطنة، بل هو محروم حتى من حق الوجود. تخيل مثلاً، لو أن الفلسطيني يمتلك حق المواطنة مثل اليهودي.. هل يمكننا حينها الحديث عن دولة إسرائيل الخاصة باليهود وعن قضية اسمها فلسطين؟

أخيراً نحب أن نسأل هذا السيد: كما عرفنا بأنك مواطن سوري، على الأقل من الناحية القانونية بالإضافة إلى الناحية الحياتية.. فلماذا تتنكر لانتمائك السوري، وتصر على وضع عبارة - كاتب كردي - وحدها ؟! كيف تسمح لنفسك بالحديث عن مشاكل الشعب السوري وتحاجج الدولة السورية وأنت تصر على التنكر لسوريتك بل وتستنكف من حمل اسم وطنك!! إننا بهذه المناسبة مع كل اعتزازنا بجريدة القدس لدورها الرائد في التعبير عن كل تطلعات وأفكار أبناء البلدان العربية، إلا أننا نستغرب هذه المغالاة بالطيبة الليبرالية والسماح لمثل هذه النزوات المحتقرة للأوطان العربية وكرامتها بأن تظهر بهذه الصراحة على صفحاتها ! إن هذا للأسف يؤدي من دون قصد إلى دعم سياسة أمريكا وإسرائيل الهادفة إلى تضخيم الهويات المحلية الطائفية والعرقية على حساب الهوية الوطنية وبالتالي زرع الفرقة والشقاق بين أبناء الشعب الواحد.

أليس من المعقول أيها السيد القومي الجامع باسمك الصلاح والبدر والدين، أن تطالب أولاً لكل أبناء شعبك السوري بما فيهم الأكراد بحقوق المواطنة والديمقراطية ضمن الوطن السوري، وتؤجل إلى المستقبل مثل هذه الشعارات الرنانة عن (حق تقرير المصير) التي لا تختلف عن باقي الشعارات الجوفاء مثل (هدف المرحلة الشيوعية) الذي كلف الشعوب الكثير من المصائب والحروب والأحلام المهدورة. ألا تدري أن مثل هذه الشعارات الانفصالية لاتخدم قضية الأكراد لأنها تعزلهم عن بقية أشقائهم السوريين. ألم تسمع بتجربة المناضل أوجلان، وكيف اكتشف بعد سنوات وسنوات من الحروب المدمرة بأن (حق المواطنة) ضمن وطنه تركيا هو الهدف الأفضل والأكثر معقولية وواقعية من باقي الشعارت القومية الانفصالية الرنانة. يقيناً إنك تعرف بأن مثل هذا الشعار الأجوف لا يخدم في الوقت الحالي أي شعب في المنطقة، إلا المشاريع الإسرائيلية والأميركية من أجل بلقنة الشرق الأوسط.

رابح أحمد الطيان، طالب جزائري قاطن في باريس، جريدة القدس، 15- 5 -2001

***

من تاريخ العلاقات الاسرائيلية البرزانية

الموساد أسهم في تأسيس جهاز المخابرات الكردية (البارستن)

برئاسة مسعود البرزاني

لعل أول كشف لحقيقة العلاقات الكردية والصهيونية قد حدث في 1968 حيث ذكر جان لارتكي في بحث بعنوان (إسرائيل الأخرى : الأكراد) ما يلي "لم تقتصر المساعدات الإسرائيلية للبارزاني وأعوانه على الأسلحة والمعدات بل شملت خبراء عسكريين وأطباء ومدربين. وقد أكد لارتكي أيضاً أن عدداً من الضباط المظليين من (جيش الدفاع الإسرائيلي) عملوا مع البرزاني... وأنهم أسسوا له شبكة مواصلاته ودربوا مقاتليه على أعمال التفجير والتخريب".. ويقول أيضا "عندما حدثت الجنرال حاييم بارليف عن البرزاني ولقائه به في 1946 في شمال إيران وهو ببذلة جنرال سوفيتي، ابتسم بارليف وقال أعرفه جيداً، وقد تسلمنا منه برقية يهنئنا فيها بانتصارنا في 1967" . ويذكر شموئيل سيجف في كتابه (المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإسرائيلية - الإيرانية - الأمريكية) إن وزير المالية الإسرائيلي أرييه اليعاف، قد توجه بطلب من أشكول في نهاية عام 1966 إلى شمال العراق لإقامة مستشفى ميداني متطور كهدية للبرزاني مع طاقم من الأطباء الإسرائيليين بناءً على طلب من البرزاني

لأنه كان يعاني من ألم في أسنانه . وأن البرزاني حمل رئيس الوفد تحياته قائلاً "أبلغ إشكول رئيس وزراء إسرائيل بأننا نحن الأكراد لن ننسى أبداً إنكم أنتم اليهود كنتم الوحيدين في العالم الذين ساعدتمونا في ساعة المحنة" ثم بعث معه خنجراً كردياً كهدية إلى رئيس الكنيست الصهيوني كاريش لوز . ويقول المؤلف أيضاً في حديث له مع بعض العسكريين الإسرائيليين "شاهدت بأم عيني ضباطاً إسرائيلين يقومون بتدريب المسلحين الأكراد . وأن البرزاني كان يعتمد على الإسرائيليين، وأن ضابطاً إسرائيلياً كان يلازمه باستمرار". وينقل نفس المصدر عن الكاتب المصري المعروف محمد حسنين هيكل قوله "كان الضباط الإسرائيليون العاملون في كردستان على اتصال لاسلكي دائم مع إسرائيل، وكانوا يعملون في مجال التجسس داخل العراق". بالإضافة إلى ما تقدم كانت الوفود البرزانية لا تنقطع عن زيارة الكيان الصهيوني عن طريق إيران . وقد حرص الكيان الصهيوني على إرسال مساعدات مالية شهرية للبرزاني كانت تتراوح بين 20 - 50 ألف دولار .

ويعترف راندل أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تمول كلا الزعيمين الكرديين. ولم يكن الوضع مختلفاً في السابق حسب رأي المؤلف، حيث يذكر أن مجموع المساعدات التي قدمتها واشنطن للأكراد عامي 1972 و1975 بلغ 16 مليون دولار . أنفق معظمها على شراء الأسلحة، على أن ذلك كان يحدث في فترة المصالحة بين بغداد والأكراد . حيث تولى ذلك خبراء من أمريكا وإسرائيل وإيران.

ويذكر مؤلف كتاب (أمة في شقاق) أن الموساد أسهم في تأسيس جهاز المخابرات الكردية (البارستن) برئاسة مسعود البرزاني. وقد جنت إسرائيل حسب رأي المؤلف فوائد كثيرة من علاقاتها مع الأكراد ففي 15 آب 1966 ساعد الأكراد الموساد في تأمين تهريب الطيار العراقي منير روفا إلى إسرائيل مستقلاً طائرة ميغ 21 والتي كانت في تلك الفترة بمثابة لغز للإسرائيلين . كما أسهموا في نقل (الفلاشا الكرد) من اليهود المتبقين في شمال العراق إلى إسرائيل. ويرد في الكتاب أن رجال الموساد اشتركوا في التخطيط للمعارك وقيادة بعضها في شمال العراق ضد القوات العراقية وهم متنكرون بالملابس الكردية. أسهم البرزاني في إشعال خمس حروب أهلية على مدى السبع عشرة سنة .. وقد طبق المثل الكردي الشائع "القتال أفضل من البطالة" وبعد أربعين يوماً من وفاته أقامت له إسرائيل حفلاً تأبينياً في تل أبيب بوصفه حليف إسرائيل على مدى عقد من الزمن. وحضر حفل التأبين إسحاق رابين ورؤساء الموساد وعدد من ضباط الجيش الذين اشتركوا في العمليات السرية في شمال العراق. ويذكر الكاتب أن البرزاني رد على اعتراض وفد النساء الفلسطينيات حول علاقاته بإسرائيل قائلاً "أنا مثل الشحاذ الأعمى الجالس على باب الله لا أعرف على وجه التحديد من الذي يضع في يدي الصدقة"!

نضال شابندر - باحث (موسوعة النهرين) حزيران 2002

***

لماذا يدعو الاكراد إلى طرد العرب!

تناقلت مؤخراً وسائل الاعلام المختلفة تصريحات زعيم الاكراد السيد جلال الطالباني بخصوص دعوته في ترحيل وطرد العرب الذين قدموا إلى شمال العراق، ضمن اطار ما يسمى حملات التعريب. والمعلوم ان هؤلاء العرب العراقيين لم يهاجروا إلى بلد ليس بلدهم بل انتقلوا من بقعة عراقية وسطية وجنوبية إلى بقعة عراقية شمالية.

انني اعتقد ان هذه الدعوة (التهديد) التي اطلقها الطالباني ورغم ما فيها من عنصرية وعنجهية تجاه العراقيين من غير الاكراد، فان الخاسر الوحيد منها هم الاكراد انفسهم وسوف تفتح باباً على مصراعيه سوف لن يستطيع الاكراد اغلاقه وللاسباب التالية:

- مثلما هناك مناطق عراقية تم تعريبها على حساب الوجود الكردي وهي قليلة جداً. هناك ايضاً مناطق عراقية تم تكريدها وعلى حساب الوجود التركماني، اليزيدي، الكلداني الآشوري، العربي وهي مناطق كثيرة جداً مثل: دهوك وزاخو واربيل وكركوك وبعض اطراف الموصل، والكثير من سكان هذه القرى والمناطق التي كان يقطنها مسيحيون كلدان وتركمان وعرب، هم الآن في بغداد ومناطق عراقية اخرى ويبلغ تعدادهم ما يقارب المليون نسمة، وبطاقاتهم الشخصية تثبت مكان ولادتهم أي في الشمال العراقي، ويمكن التأكد من هذه الحقيقة البسيطة بكل سهولة من خلال توجيه سؤال عن مكان الولادة إلى الكثير من العراقيين من سكنة بغداد، واما اسباب هجرتهم فهي التمرد الكردي ضد حكومة بغداد وبالتالي الاخطاء التي حصلت من قبل الاكراد والسلطة العراقية على حد سواء. فيجب إذا اعادة هؤلاء ايضاً إلى مناطق الشمال، وطرد الاكراد الذين استقروا في مناطق هؤلاء!

- هناك الكثير من اللاجئين الاكراد من اصول تركية وسورية وايرانية في شمال العراق، فيجب طردهم ايضاً بناء على النظرية الكردية الطلبانية.

- هناك في شمال سوريا مائتي الف كردي من اصول تركية لا يملكون الجنسية السورية فحسب السيد جلال الطالباني يجب طردهم لانهم في مناطق سورية وليست كردية. وربما بسبب الخوف من التكريد والطروحات الكردية المتطرفة ومشروع كردستان التوسعي لا تقوم الحكومة السورية بمنحهم حق الجنسية!؟

- اغلبية اكراد العراق (عدا اكراد السليمانية) هم في الاصل قبائل كردية هاجرت من مناطق اكراد ايران إلى ارض الحضارة ارض الرافدين أي العراق، وهذا مدون في المصادر الكردية وغير الكردية فهل يتم طردهم حسب النظرية الطالبانية!

- هناك مناطق في جنوب شرق تركيا كانت حتى الامس القريب مقطونة بشعوب غير كردية مثل الارمن والسريان وغيرهم، فهل يتم طرد الاكراد من تلك المناطق لانها لم تكن كردية قبل 40 أو سبعين عاماً فقط!؟

ان نظرية الطرد هي بالاساس نظرية صهيونية توسعية جاء بها اليهود ليبرروا طرد الفسطينيين من مناطقهم بحجة ان اليهود قد سكنوا المنطقة قبل 2000 سنة، وها هم الاكراد يدعون إلى طرد الأقوام غير الكردية بحجة ربط اصولهم بالميديين - مع العلم ان الميديين هم فرس - وبانهم أي الاكراد الميديين قد قطنوا المنطقة قبل العراقيين العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية!

يبدو ان ازمة العراقيين ليست صدام فقط، فهناك الف صدام يدعو إلى الانتقام والمحاسبة والطرد، نصيحتنا إلى الاكراد وكل العراقيين، هي ان احلال الديمقراطية بعد اسقاط صدام يمكن ان تكون حلاً مناسباً لكل اشكالات العراق، فمثلاً وقتها يمكن لاي عراقي في الجنوب ان يسكن في الشمال لانه وطنه، وكذلك العراقي الشمالي يمكن ان يسكن في الجنوب لانه بكل بساطة وطنه، ولكن المشكلة هي ان الاكراد بعكس التركمان لا يعترفون بانهم قوم قدموا إلى العراق في الخمسة قرون الاخيرة، بينما التركمان يعترفون انهم قدموا من خارج العراق ولكنهم يدعون إلى الهوية الوطنية العراقية بعيداً عن الطروحات المتطرفة مثل الفيدرالية وحق تقرير المصير التي هي بالاساس مقدمات لاغتصاب وطن العراقيين مثلما فعل اليهود باغتصاب وطن الفلسطينيين.

حسام ابراهيم، الاتجاه الاخر، العدد 88، 2002/10/17

***

حول اضطهاد العراقيين من غير الاكراد في المحميات الكردية..

هذا مقطع من بيان اصدرته لجنة الدفاع عن حقوق الانسان العراقي حول عمليات الاضطهاد العنصري التي تمارسها اجهزة القمع التابعة للطلباني والبرزاني ضد العراقيين من غير الاكراد المقيمين في المنطقة المحمية:

وما يحدث في المنطقة الآمنة في السليمانية على يد الأمن المسماة (الأسايش) بأمر وإيعاز كل من المدعو اسطا حسن (اسطى بناء) اصبح ضابط أمن كبير وبرتبة عالية وسركوت كبة (بائع كبة) وحمه حسين وهو إيراني والمعارضة العراقية هي اعلم بأمرهم وما اعظم صمتها.

عثر على مجموعة من الشباب العرب مقتولين في السليمانية على طريق أزمر حيث قامت أجهزة الأمن المعروفة بالاسايش بقتلهم وإلقائهم ليلاً على الطريق وكانت جثثهم تبعد الواحدة عن الأخرى ما يقارب 50 متراً علماً أن الاسايش كانت قد استدعتهم قبل يوم من العثور على جثثهم وهناك شهود قدموا لنا أدلة على ذلك وقبور المجني عليهم في مقبرة (اصحاب اسبي) في السليمانية واليكم الأسماء.

1- فلاح مشاري / من أهالي السماوة (بني حجيم) 1994 الإسكان طريق أزمر.

2- نعيم النجفي / من أهالي النجف 1994 الإسكان / طريق أزمر.

3- سمير / من أهالي الحلة 1994 الإسكان / طريق أزمر.

4- تعرض النقيب محمد البنجويني إلى السجن والتعذيب بمادة التيزاب كنقاط على أطرافه عام 1994، والتهديد بالقتل وهتك العرض علماً انه كردي من بنجوين.

لجنة الدفاع عن حقوق الانسان العراقي

اربيل ، موقع النهرين في الانترنت ، اواخر عام 2002

الفصل الثالث

تاريخ وحقوق التركمان*

خارطة التواجد التركماني في شمال العراق. طبعاً هذا التواجد بنسب عددية مختلفة بين منطقة وأخرى. وتقطن غالبية التركمان في كركوك وتلعفر واربيل وكذلك بغداد.

* شاركنا بكتابة هذا الفصل الكاتب العراقي التركماني نصرت مردان.

تاريخ الحضور التركماني
في الشام والعراق وعموم الشرق الاوسط

التركمان من الجماعات التي تعود باصولها القديمة الى آسيا الوسطى الناطقة بالتركستانية والتي تتكون حاليا من الجمهوريات السوفياتية السابقة مثل اوزبكستان وقرغيزستان وكازخستان وطاجكستان. وقد ارتبطت منطقة آسيا الوسطى بعلاقات تاريخية قديمة مع منطقة المشرق وبالذات مع العراق. فهناك مثلا فرضية رائجة بين التركستانيين بأن اصل السومريين بناة الحضارة الاولى في العراق يعود الى هذه المنطقة. ويبدو ان هنالك بعض التشاباهات اللغوية بين اللغتين السومرية والتركستانية وكذلك مع اللغة الهنغارية التي تعود باصلها ايضا الى هذه المنطقة الآسيوية. والمعقول برأينا ان السومريين والكثير من سكان العراق الحالي قد نزحوا من منابع دجلة والفرات في منطقة القفقاس (شمال العراق وجنوب روسيا) التي تمتزج بها الاعراق الارمنية والجورجية والشركسية والتركستانية، وهذا ما يفسر وجود التشابه اللغوي والسكاني بين الكثير من العراقيين (والشاميين ايضا) مع سكان القفقاس. بل هنالك بعض المؤرخين من يفترض ان الساميين تعود اصولهم ايضا الى هذه المنطقة!

يبدو ان العراقيين منذ القدم اتجهوا بهجراتهم التجارية والتبشيرية نحو الشرق الآسيوي ابتداءا من ايران ثم آسيا الوسطى حتى الهند والصين. والذي عمق هذا التقارب بين العراقيين والتركستانيين، ان الاثنين قد خضعا خلال قرون للامبراطورية الايرانية الساسانية قبل الاسلام، وان الكثير من افراد الجيش الساساني المقيمين في العراق كانوا من اصول تركستانية. ثم ان المبشرين المسيحيين النساطرة والمانوية العراقيين قد ركزوا نشاطاتهم التبشيرية في مناطق تركستان حتى انتشرت بين تلك القبائل الديانتين النسطورية والمانوية بلغتهما السريانية العراقية. وتعتبر الابجدية السريانية اول ابجدية تركستانية (الاوغورية).

الوجود التركماني الحالي في العراق الشام

إن اكبر تجمعين للتركمان في بلدان المنطقة هما في العراق وإيران. وإذا كانت نسبة التركمان من سكان إيران تصل إلى 1,5%، الأمر الذي يعني أن عددهم هناك يبلغ 750 ألف نسمة، فان نسبتهم من سكان العراق تصل إلى حوالي 7%، وبذلك يقدر عددهم بنحو مليون ونصف المليون من العراقيين، ونسبة التركمان من إجمالي سكان سوريا والأردن أقل مما سبق بكثير، إذ يقدر عدد التركمان في سوريا بأقل من 100 ألف نسمة، وقد لا يتجاوز عددهم في الأردن الـ 25 ألف نسمة، حسب أكثر التقديرات.

ان الكثير من التركمان يعيشون حياة قبائلية متقاربة مع قبائل المنطقة. أما في الحالات التي يصبح فيها التركمان أبعد عن الحياة القبائلية وروابطها ويتوزعون في مناطق ذات أغلبيات قومية أخرى، فان الكثير منهم يندمج في الاغلبيات الأخرى، وهذا حال كثير من التركمان في إيران وسوريا والعراق، وفي العراق مثلا، فان عشيرة البيات وهي عشيرة تركمانية قد تعربت كليا.

والتركمان هم بين أقل الجماعات الأثنية اهتماما بالسياسة، والأمر في هذا ينطبق على وجودهم في إيران وسوريا والأردن، وان كان ذلك لا يمنع من وجود شخصيات تركمانية تنشط في إطار جماعات وأحزاب سياسية تمارس نشاطها في هذه البلدان.

تركمان العراق هم اكثر تركمان المنطقة نشاطا سياسيا، ولديهم عدد من التنظيمات السياسية المختلفة الاتجاهات العقائدية والسياسية، إضافة إلى وجود نشطين من التركمان في صفوف أحزاب وتنظيمات عراقية ليست لها هوية تركمانية، وهو حال نجد له تعبيرات مماثلة لدى ذوي الأصول التركمانية من سكان بلدان الشام.

التركمان في سوريا

ولا يختلف التركمان في سوريا عن أقرانهم الموجودين في العراق، إذ ليست هناك حقائق واضحة حول زمن وكيفية وصولهم إلى المناطق السورية، لكن المؤكد أنهم يتميزون بوضوح عن الأتراك الذين يتواجدون في بعض مناطق سوريا الشمالية وبخاصة تلك التي تجاور مناطق الحدود السورية - التركية.

إن أهم مناطق توزع التركمان يمكن ملاحظتها في منطقة الفرات والجزيرة، حيث هناك أقلية تركمانية، تشكل امتدادا للتركمان في شمال العراق، وهي لا تختلف عنها كثيرا مع أنه من الصعب القول بوجود روابط وصلات بين التركمان عبر الحدود السورية - العراقية، وهناك مجموعة تركمانية تنتشر في المنطقة الفاصلة بين الفرات ومدينة اعزاز شمال حلب، ومعظم هؤلاء امتهنوا الرعي في فترات سابقة، لكنهم استقروا واخذوا يمارسون الزراعة، وكذلك هو حال التركمان الموجودين في مناطق منبج والباب القريبتين من حلب، وفي مدينة حلب ذاتها مجموعة من التركمان تتعايش مع بقية سكان المدينة من العرب والاقليات الأخرى التي تسكن المدينة.

وتتواجد أعداد من التركمان في منطقة حوض نهر العاصي وبخاصة بالقرب من مصياف حيث "حوير التركمان" و "ناطر" فيما يتواجد التركمان في منطقة الساحل السوري في قسمه الشمالي بالقرب من لواء الإسكندرون في منطقة رأس البسيط ومرتفعات الباير. وهناك عدد محدود منهم في منطقة دمشق، تقيم إلى جانب الشركس في بلدة براق قرب دمشق. وفي المدينة ذاتها تتوزع مجموعة من التركمان في المناطق التي سكنها نازحو الجولان، وهي في الأصل من الجماعة التركمانية التي كان عددها ثلاثة الآف نسمة، وتتوزع على قرى الجولان قبل أن تحتله إسرائيل عام 1967 وتقوم بطرد معظم سكانه السوريين، وكان هؤلاء التركمان يتوزعون على مجموعة قرى جولانية بينها: حفر، وكفر نفاخ، والسنديانة، والغادرية، والعليقة، وكثيرا ما كان يخلط بينهم، وبين أقلية بدوية تركية كانت تعيش في الحويزة، والمومسية وعين عيشة، وأغلبهم يمارسون الرعي، ويعود زمن وصولهم إلى الجولان إلى ذات الزمن الذي جاء فيه الشركس، أي الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

ولا تتوفر عموما إحصائيات بعدد التركمان في سوريا، وان كانت التقديرات لا تجعل أعدادهم تتجاوز مائة ألف شخص يتوزعون في تجمعات سكنية من طبيعة مدنية، وأخرى تجمعات ريفية. ويمتهن التركمان من سكان الريف الزراعة وتربية الحيوانات مثل أقرانهم من أبناء الريف السوري، فيما يغلب العمل الحر والاشتغال بالوظيفة العامة بالنسبة للتركمان المقيمين في المدن، وبخاصة المقيمين في دمشق، والذين فقدوا أراضيهم في مرتفعات الجولان بعد نزوحهم منها عام 1967.

والتركمان يتبعون الدين الإسلامي، وهو دين الأكثرية من سكان سوريا وغالبا فانهم متدينون، وهم يتكلمون العربية، وبعضهم يتكلم التركية القديمة وفيها الكثير من المفردات العربية، ورغم أن لهم بعض العادات المميزة، فان الأكثر من عاداتهم تماثل عادات مواطنيهم السوريين، وهم أميل إلى الاندماج في البيئة السكانية العامة بحكم تقاربهم وتفاعلهم معها، حيث لا يميز القانون السوري بين المواطنين من أصول تركمانية وغيرهم من السوريين، وقد لعب التركمان من أبناء قرى الجولان دورا معروفا في المقاومة الشعبية التي ظهرت في الجولان أثناء حرب 1967.

التركمان في فلسطين

تركزت أغلبية الوجود التركماني في فلسطين حتى العام 1948 في منطقة مرج ابن عامر في المنطقة الشمالية الغربية بالقرب من حيفا، وتختلف الروايات التاريخية حول أصولهم وقدومهم إلى فلسطين، ولكنها تكاد تجمع على وصفهم بـ (عرب التركمان) والتي تبدو صفة تتوافق مع دور عاشوه في الاندماج الكلي مع محيطهم العربي.

وتقدم إحدى الروايات التاريخية، أن قدوم التركمان إلى فلسطين، باعتبارها عقوبة فرضها السلطان العثماني بحقهم. وثمة رواية أخرى، تعيد زمن مجيئهم إلى فلسطين إلى أيام الحروب الصليبية، حيث شارك التركمان في الدفاع عن بلاد الشام أثناء تلك الحروب، وهم المعروفون بفروسيتهم، وتبدو هذه الرواية اكثر قربا إلى الواقع، حيث كان بين قادة جيوش صلاح الدين الأيوبي،

قائد تركماني بارز هو مظفرالدين كوجك أحد قادة صلاح الدين وزوج شقيقته، وشهد المعركة الكبرى في حطين، وقد انضم إلى جيش صلاح الدين لاحقا القائد التركماني يوسف زين الدين قادما من أربيل في شمال العراق.

وتنقل التركمان في أنحاء مختلفة من فلسطين من غزة جنوبا إلى المرج شمالا، قبل أن يستقروا في منطقة مرج ابن عامر التي كانت ذات طبيعية قبائلية، وبفعل العلاقات القبائلية، اختلط التركمان مع بعض القبائل العربية، وكان من نتائج ذلك اندماجهم في النسيج الاجتماعي واللغوي، فتماثلوا مع المحيط العربي، فاخذوا اللغة العربية مكان لغتهم التركمانية، واخذوا اللباس العربي رجالا ونساءا. بل انهم أخذوا أغلب العادات والتقاليد اليومية السائدة، بما فيهم عادات الغزو. وبالإمكان القول أنهم صاروا عربا من أصول تركمانية.

وطبقا للمصادر التاريخية، فان القبائل التركمانية في مرج ابن عامر، كانت سبعة، أولها قبيلة بني سعيدان، والثانية وهي قبيلة بني علقمة، والثالثة قبيلة بني عزاء، والرابعة قبيلة الضبايا، والخامسة قبيلة الشقيرات، والسادسة قبيلة الطوالحة، وسابع القبائل النفنفية. وقد انتظمت القبائل التركمانية في مجلس عشائر تم تشكيله في العام 1890 لكل واحد من شيوخ العشائر أن يكون عضوا فيه وفق شروط معينة.

لقد عاش التركمان في مرج ابن عامر حياة بدوية - رعوية، غير أنهم ومع بدايات القرن اتجهوا إلى الاستقرار والمزاوجة بين الحياة البدوية والفلاحية، فأسسوا قرى، أقدمها قرية المنسي التي بنيت في نحو عام 1917 قريبا من طريق عام حيفا - جنين، ومن هذه القرى النفنفية، وأبو زريق، والعوادين، وأبو شوشة، وقرية كركود.

وانخرط التركمان في فلسطين وجميعهم من المسلمين في الحياة الوطنية، ولا سيما في موضوع مواجهة مشروع الاستعمار الاستيطاني، كما أنهم شاركوا في المواجهة الفلسطينية مع الانتداب البريطاني، وتعرضوا كما تعرض غيرهم من الفلسطينيين إلى الطرد من بلادهم واللجوء إلى الشتات.

وتسجل أحداث ثورة فلسطين الكبرى 1936 - 1939 مشاركة التركمان بالثورة، وقد كانت قرية "المنسي" إحدى مراكز الثورة في اللواء الشمالي من فلسطين، وكان فيها مقر القيادة العسكرية، وفيها مقر محكمة الثورة والتي كانت تنعقد في بيت الحاج حسن منصور.

وفي حرب 1948 اجتاحت القوات الصهيونية قرى التركمان ودمرتها بعد قتال عنيف بين المهاجمين وأهالي القرى. وقد سقطت "المنسي" بعد معارك حدثت ما بين 9 و13 نيسان / أبريل 1948، وتزامن سقوطها مع أغلب القرى المجاورة، وتم تهجير أهاليها، وقد اتجه بعض تركمان فلسطين ممن نزحوا عنها عام 1948 إلى منطقة الجولان في سوريا. وكان بينهم عرب العوادين الذين تربطهم مع تركمان الجولان روابط قربى. وهناك صاروا معروفين باسم "جماعة أبو نهار". وقد تعرض هؤلاء للتهجير من الجولان ثانية في العام 1967 على أيدي القوات الإسرائيلية التي احتلت الجولان في حرب حزيران /يونيو 1967.

والخلاصة في موضوع التركمان انهم أميل إلى التأقلم والتعايش مع أبناء الجماعات القومية الأخرى في البلدان التي يعيشون فيها، وأغلبيتهم تعيش اندماجا سياسيا واقتصاديا ودينيا، فيما أقلية منهم ما زالت تحافظ على بعض من تمايزها، وتبدو رياح الأحداث السياسية، ولا سيما التي تعصف بالعراق قد حركت بعض تمايزات الجماعات التركمانية هناك، لكن النتائج مرهونة بأكثر من ذلك.

تاريخ تركمان العراق

مدينة سامراء شمال بغداد، كانت اول مدينة خاصة بالترك، شيدها الخليفة المعتصم لاخواله واعوانه المحاربين الترك

ان الحضور التركماني الحقيقي الذي دونه التاريخ يعود الى اوائل الفتح العربي الاسلامي. أن معظم افراد الجيش الاسلامي بقيادة (عبيد الله بن زياد) عام (54هـ) الذي فتح تركستان كانوا من المحاربين العراقيين، الذين استقروا هناك وتزاوجوا مع التركستان. ولم يكتف العراقيون بالاستقرار والتزاوج مع الترك بل انهم بعثوا بالمقاتلين الترك ليستقروا بدورهم في العراق. يقول الطبري في صفحة 221 الجزء الرابع من كتابه الشهير (تاريخ الأمم والملوك): ((إن عبيدالله بن زياد قام في شهر ربيع الأول سنة 54 هـ (673 م) بهجماته عبر (جيحون) على (بخارى) ثم على (بيكند) فقاومه الجيش التركي تحت إمرة الملكة (قبج خاتون) مقاومة شديدة جدا، جلبت انتباهه وإعجابه لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة، فاختار منهم ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشاب فبعثهم في العراق وأسكنهم البصرة)). وطبعا فان هؤلاء من التركمان قد انصهروا مع العراقيين واستعربوا مثل الآلاف المؤلفة من المهاجرين من مختلف البلدان.

وخلال اقل من قرن تنامى هذا الوجود التركماني في العراق بحيث انهم اصبحوا جزءا من الجيش الاموي المقيم، كما يذكر الطبري في الجزء التاسع من كتابه المذكور، الصفحة 144: ((انه عندما استسلم يزيد بن هبيرة بمدينة (واسط) إلى ابي جعفر المنصور سنة 132 هـ بعد حصار دام عدة أشهر، كان معه ألفان وثلاثمائة رجل من الأتراك البخاريين "نسبة إلى بخارى" كما يؤيد هذه الواقعة العديد من المؤرخين ومنهم الهمداني والبلاذري. ويذكر الدكتور مصطفى جواد في مقال له نشره بمجلة (الدليل) العدد 2، 1946 ما يلي ((كما اجتذب قواد بني أمية الترك وجندوهم، كذلك اجتذبهم بنو العباس، فقد كانت دعاياتهم بلغت بلاد الترك في تركستان وآسيا الوسطى، وثاروا على بني أمية واستنهضوهم داعين إلى عيش رفيع جديد واحياء العدل والسنة، ودفع ظلم بني أمية عنهم والانتصار لأهل البيت. فتوافدت إليهم جموع غفيرة من الأتراك من طامع في مال وراغب في تبديل حال ومتطوع يظن طاعته لوجه الله)).

بلغ الحضور التركماني ذروته في العصر العباسي حيث بدأ الضعف ينتشر بين القبائل العربية المهيمنة وفقدانها لروحها البدوية المحاربة بعد استقرارها في العراق وتمتعها بحياة الخصب والرفاهية. وقد وجد القادة العباسيون في الترك البديل المطلوب لاحتفاظهم بروحهم الرعوية المحاربة، وخصوصا في مواجهة خطر الجماعات الرعوية الاوربية القادمة باسم الحروب الصليبية. وقام الخليفة العباسي (المعتصم) باستقدام اكثر من (50) محارب تركستاني من اخواله وبنى لهم مدينة (سامراء). وقد

اشاد المفكر العراقي (الجاحظ) بروح الترك الفروسية وسجل مناقبهم. وقد برز الكثير من اعلام الحضارة العباسية من اصول تركستانية، مثل الفارابي والبخاري والخوارزمي والبيروني والسرخسي والعديد العديد غيرهم، من الذين للأسف احتسبهم المؤرخون القوميون ظلما على (الايرانيين!!).

واستمر الحضور التركماني مع بروز دور السلاجقة الذي أنقذ قائدهم طغرل بك سنة 1055 هجرية الخليفة العباسي القائم بأمر الله من الوقوع في أسر البويهين. وقد تأسست خلال هذه الفترة والفترات اللاحقة عدة إمارات ودول تركمانية منها :

1 - أمارة الأتابكة في الموصل (1127 - 1233 م) أنشأها الأمير عماد الدين الزنكي، وضمت الموصل و سنجار، وجزيرة ابن عمر ونصيبين وحلب وماردين.

2 - إمارة الأتابكة في أربيل (1144 - 1233 م) أنشأها الأمير السلجوقي زين الدين علي كوجك عام 1144 م وضمت حكاري وسنجار وتكريت والعمادية وسنجار وحران.

3 - الإمارة الإيواقية التركمانية في كركوك وكانت تضم السليمانية وسهل شهرزور ومن ملوكها قبجاق ارسلان طاش .

4 - الدولة الجلائرية (1339 - 1410 م)

5 - الدولة السلجوقية (1055 - 1157 م)

6 - دولة (قره قويونلو) الخروف الأسود (1411 - 1468م)

7 - دولة (أق قويونلو) الخروف الأبيض (1468 - 1508م).

اما اثناء الحقبة العثمانية فانها لم تشهد نزوح اية مجاميع تركية للعراق، بل ان الحضور التركي كان على شكل افراد وعوائل معظمها من اصول جورجية وبلقانية تسيطر على ادارة الولايات العراقية. رغم محاولة تقرب التركمان العراقيين من الدولة العثمانية، فانهم ابدا لم يعتبروا يوما كعناصر تركية عثمانية بل ظلوا يعاملون كعراقيين "غرباء" عن الطبقة الحاكمة. والذي زاد من الشقة بين تركمان العراق والطبقة العثمانية ان الكثير من التركمان تبعوا المذهب الشيعي السائد في العراق والمختلف عن المذهب السني السائد في الدولة العثمانية.

التركمان والاستعمار البريطاني

حاول الاستعمار البريطاني بعد احتلاله العراق تشجيع التركمان الذين كان يراهم مبررا لمطالبة تركيا بشمال العراق (ولاية الموصل) أثناء إعلان وقف إطلاق النار بعد انتهاء الحرب. وقد جرت بين تركيا وبريطانيا التي كانت تحتل العراق آنذاك، مفاوضات طويلة انتهت بالتوقيع على معاهدة لوزان في 24 تموز 1923 اعتبر بموجبها شمال العراق أرضا عراقية. وقد تركت بريطانيا الباب أمام التركمان مفتوحا في اختيار الدولة التي يودون أن يصبحوا من مواطنيها حسب المواد 30، 31، 32، 33، 35 من المعاهدة المذكورة. وكان المستعمر البريطاني يخطط ويراهن على أن التركمان سيختارون الدخول في التبعية التركية. من خلال أحكام المواد التالية:

المادة 30 - إن تبعية الترك الساكنين هذه البلاد التي انفصلت عن تركية سيكونون بمقتضى أحكام هذه المادة من تبعة الدولة التي انتقلت إليها تلك البلاد.

المادة 31 - كل من تجاوز الثامنة عشرة من العمر، من الذين فقدوا الجنسية التركية، واكتسبوا تبعية جديدة بمقتضى المادة الثلاثين، فأنه يكون له الخيار في اختيار التبعية التركية خلال سنتين اعتبارا من وضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ.

المادة 35 - إن الدول المتعاقدة تتعهد بأنها لا تمنع بوجه من الوجوه استعمال حق الخيار الذي يمنح أصحابه إحراز أية تبعية أخرى ممكنة لهم، والذي جاء بيانه في هذه المعاهدة أو معاهدات الصلح مع ألمانيا والبلغار أو المجر أو في المعاهدات

المعقودة بين الدول المتعاقدة المذكورة من غير تركيا أو بين أوربا وبين روسيا. وفي 12 حزيران 1926 أبرمت اتفاقية بين الحكومة التركية والحكومة العراقية وقد نصت مادتها الرابعة على ما يلي :

((إن جنسية سكان الأراضي المتروكة للعراق بموجب أحكام المادة الأولى تعين بموجب المواد 30 و36 من معاهدة لوزان، يوافق المتعاقدون السامون على استمرار حق الخيار الوارد في المواد 31، 32 و33 من المعاهدة المذكورة مدة أثنى عشر شهرا من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ، على أن تحتفظ تركيا بحرية العمل في الاعتراف باختيار من يختار الجنسية التركية من الأهالي المشار إليهم أعلاه)).

كما يبدو من نص هذه المادة أعطيت حرية كاملة لمن يرغب من التركمان، ترك العراق و اختيار الانتماء إلى تركيا أو أي دولة أخرى. لكن التركمان خيبوا أمل البريطانيين وكل من كان يحاول الرهان على عراقيتهم في بقائهم أمناء على الانتماء للوطن، معتزين بهويتهم العراقية.

ناضل التركمان كغيرهم من أبناء الشعب العراقي ضد الاستعمار البريطاني وشاركوا في كل انتفاضاته. فقد ساهمت جموع التركمان إخوانهم في جنوب العراق في ثورة 1920. فبرزت العديد من الشخصيات في كركوك لمقاومة الاستعمار البريطاني والتي شدت من أزر إخوانهم العرب. ولا يسع المجال لذكر جميع الشخصيات التركمانية البارزة التي كان لها شرف المساهمة في أول ثورة ضد الوجود البريطاني. من أهم تلك الشخصيات: ملا رضا الواعظ، عزت باشا صاري كهيه، صديق بك آرسلان، عمر آغا ترجللي، عاكف الهرمزي، قاسم بك نفطجي، فهمي عرب آغا، أسعد كتانه، أحمد مدني قدسي أحمد ناظم آل شهيد ومئات غيرهم. وكان السيد محمد أمين صديق القابل هو همزة الوصل حيث كان ينقل رسائل يوسف أفندي السويدي والسيد طالب النقيب إلى كركوك. شارك التركمان في كل المناطق التي ينتشرون بها في الثورة على سبيل المثال من منطقة ديالى: محمد آغا حسن سفر، إبراهيم صفان، الحاج علي رشيد، سمين علي نعمان ومن خانقين: محمود أفندي شابندر، طاهر دايي زاده، نوري مردان بياتلي ومن منطقة طوزخورماتو: علي ملا ولي، نجم محمد جابر، قنبر حسين آغا، رشيد خليفة الداقوقي، عباس كهيه. وكان يؤازرهم فارس بك رئيس عشيرة البيات ومن آلتون كوبري: كريم أحمد بك، حسن آغا، يوسف آغا عبدالصمد،،حاجي ولي علي مولود.

وقد أعطت المعركة الحاسمة التي دارت في منطقة تلعفر بين التركمان من عشائر سيدلر، فرحنليلر، بير نزار، الخانليلر، قصابلية وقوات المستعمر البريطاني التي تلقت على أيدي المقاتلين التركمان درسا قاسيا، لا يزال موضوع فخر واعتزاز للكثير من الباحثين العراقيين في ثورة العشرين.

التركمان في العهد الملكي

نصت المادة السادسة عشرة من الدستور العراقي في العهد الملكي على ما يلي :

((للطوائف المختلفة حق تأسيس المدارس لتعليم أفرادها بلغاتها الخاصة والاحتفاظ بها على أن يكون ذلك موافقا للمناهج العامة التي تعين قانونا)).

بموجب هذا القرار تم إقرار التدريس باللغة التركمانية في المدارس الابتدائية في المناطق التي ينتشر فيها التركمان، واستمر العمل بهذه المادة حتى السنة الدراسية 1930 - 1931 حيث تم إلغاءها من مدارس مدينة أربيل أولا بينما استمر العمل فيها حتى عام1937 في مدينة كركوك. رغم أن المادة السادسة من (قانون اللغات المحلية رقم 74 لسنة 1931) كانت تنص على :

((في جميع المدارس الأولية الواردة ذكرها في هذا القانون دهوك - شيخان (لواء الموصل)، اربيل - مخمور (لواء أربيل)، كركوك - كفري (لواء كركوك) تكون اللغة البيتية لأكثرية طلاب تلك المدارس سواء أكانت عربية أو تركية أو كردية)).

والغريب أن قرار الإلغاء شمل المناطق التركمانية فقط، بينما استمر العمل بمضمون القانون المذكور بالنسبة للمناطق الكردية.

مشكلة كركوك

تعتبر كركوك من اكثر المدن العراقية تركمانية من ناحية تاريخ القرون الاخيرة ومن ناحية التواجد التركماني في المدينة ومراكزها الحضرية ومن ناحية التأثير الثقافي وحضور اللغة التركمانية حتى بين غير التركمان من اكراد وعرب وسريان. رغم هذا فأن المشاريع القومية الكردوية تصر على اعتبار هذه المدينة جزءا من كردستان الكبرى، بل راحوا يطلقون عليها (قدس الاكراد) (وهذا يخفي قصدا خبيثا يعني ان العراقيين والتركمان ذاتا مثل الاسرائليين الذين اغتصبوا القدس)!!

تاريخ كركوك

منذ القدم كانت كركوك جزءاً من بلاد الرافدين. أقدم ذكر ورد لها باسم (ارابخا) في التقويم الجغرافي الشهير عن ممتلكات الملك سرجون الأكدي (2473-253) ق.م. هناك من يعتقد أن اسم -كركوك - أتى من السومرية بمعنى العمل العظيم (كار-عمل، كوك؟ - عظيم).

يبدأ تاريخ مدينة كركوك مع انبثاق- النار الأزلية – عام 550 ق.م في العهد الكلداني. من المعروف أن هذه النار، التي لازالت حتى يومنا هذا في "بابا كركر" تتشكل من الغازات النفطية المنبعثة من باطن الأرض. منذ ذلك التاريخ بنيت المدينة تقديساً لهذه النار، وقريباً من الماء والكلأ المنتشر في المنطقة. وتحولت الى مركز لعبادة الاله "حدد" السامي العراقي.

بعد احتلال الاسكندر المقدوني للرافدين عام 331 ق.م. تحولت المنطقة الى مركز لنشاط القائد الاغريقي سلوقوس الذي بنى فيها منطقة عسكرية سميت -كرخ سلوقايا- أي قلعة السلوقيين ومنها ربما أتى اسم "كركوك".

في العصر الايراني الساساني، تحولت كركوك الى مركز رئيسي للمسيحية النسطورية السريانية التي انتشرت في بلاد الرافدين قادمة من سوريا. واطلق على اسقفية كركوك اسم- بيت جرماي - وقام الأباطرة الساسانيين بعدة مذابح شهيرة ضد النساطرة واشرسها في القرن الرابع الميلادي، راح ضحيتها عدة آلاف من السكان. في القرن السادس تمكن "يزيدن" أحد القادة السريان أن يكون أميراً على المدينة حتى سميت باسمه /كرخا يزيدن/. في كركوك بنيت واحدة من أقدم الكنائس في التاريخ عام 470 ميلادي، وظلت هذه الكنيسة حتى فجرها الاتراك بعد انسحابهم عام 1918. ويعتقد أن جامع النبي دانيال المعروف في المنطقة قد أقيم محل كنيسة نسطورية قديمة ظلت قائمة حتى عام1700 م.

بعد تكوين ولاية الموصل عام 1879 تبعت كركوك هذه الولاية. عام1918 فصلت عن كركوك ثلاثة أقضية لتكوين لواء أربيل.

أما بالنسبة للتركمان القاطنين في المنطقة فهم من بقايا عدة مجاميع بدأت تستقر منذ القرن الثامن قبل الميلاد واستمر مع

السلاجقة والاتابكة والعثمانيين، وقد امتزجوا بالسكان السريان والعرب وحملوا ميراثهم الحضاري رغم تمايزهم اللغوي. علما بان اللغة التركمانية هي الشائعة بين سكان مدينة كركوك حتى بين غير التركمان من عرب واكراد وسريان.يبلغ عدد سكان كركوك حالياً النصف مليون تقريباً بنسب عددية شبه متقاربة من الأكراد والتركمان مع نسبة أكبر من العرب تزداد مع الأعوام بحكم سياسة التعريب التي اتبعتها الحكومات العراقية، بالإضافة الى بضعة آلاف من السريان الكلدان والنساطرة.

نظرة موضوعية الى واقع وتاريخ منطقة كركوك*

لقد أصبح الواقع القومي لمنطقة كركوك مدار تجاذب شديد اعترته للأسف حوادث عنف مأساوية. وقد دأب الكثيرون من سياسيي الأكراد ومثقفيهم الى محاولات اثبات أن كركوك لم تكن تحوي في أي يوم من الايام أغلبية تركمانية. ويستشهد هؤلاء عادة بمؤلفات ذات مصدر بريطاني، دبجت أثناء مفاوضات ولاية الموصل أعقاب الحرب العالمية الأولى أو بمؤلفات بعض الاكراد أنفسهم، كما لاحظنا أن معظم الكتاب الأكراد يستشهدون كحقيقة مسلم بها بمؤلف قاموس الأعلام لشمس الدين سامي، والذي يعتبرونه موسوعة تاريخية وجغرافية عثمانية مهمة. اذ ذكر فيه بأن ثلاثة أرباع أهالي كركوك هم من الكرد والبقية من الترك والعرب وغيرهم. وقد اعتمد الدكتور نوري الطالباني في مؤلفه الموسوم (منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي) نفس الاتجاه، فقد ذكر انه اعتمد في سرد المعلومات عن تاريخ المنطقة وماضيها وجغرافيتها وعلميتها الخالصة، تركية كانت أو عربية أو كردية أو غربية، واستطرد قائلا، بأن مؤلف الموسوعة العثمانية (قاموس الاعلام) هو المؤرخ التركي شمس الدين سامي الذي زار منطقة كركوك قبل قرن من الزمان ودون معلومات دقيقة عنها لا يمكن أن يكون مناصرا للكرد.

وللحقيقة فأن المرحوم شمس الدين سامي ليس تركيا بل هو ألباني، ولد بألبانيا سنة 1226 للهجرة ودرس في المدرسة المتوسطة اليونانية في يانية، وتعلم التركية والفارسية والعربية على يد مدرسين خصوصيين، ثم انتقل الى اسطنبول وانصرف الى الصحافة فأسس جريدة (صباح) اليومية وبدأ يكتب القصص فالف قصة (معاشقت طلعت وفطنت) والتي نقض بها نظام الزواج في الدولة العثمانية، وألف قصة (ثورة كاوة الحداد على الطاغية ضحاك) فأبعد الى طرابلس الغرب. ولما عاد من المنفى انصرف الى تأليف القواميس اللغوية والاعلامية. وللحقيقة أيضا فأن المرحوم سامي لم يكن رحالة أيضا فهو لم يزر كركوك ولا بغداد التي كتب عنها وتشير الانسكلوبيديا الاسلامية بوضوح أن مواد القاموس مستقاة من كتاب **Dictionnaire d histore et de geograpie universel** لمؤلفه **Bouillet** في حين اعتمد المؤلف على بعض المراجع العربية والفارسية وبعض الوثائق والتقارير من الولايات العثمانية وغير المدققة لاضافة مواد عن المدن الشرقية والعثمانية التي لم يتناولها المؤلف المذكور. ولو أردنا الاعتماد على دقة معلوماته فان من الواجب اعتبار مدينة بغداد تركية بالكامل، فهو يذكر أن اللغة التركية في بغداد كانت في الدرجة الأولى وفي الدرجة الثانية العربية.

ان أغلب المراجع الموثوقة تشير الى كون كركوك منطقة تركمانية خالصة، وان بدأ تغيير الواقع القومي لها من قبل الأكراد والعرب مؤخرا. ولعلنا نتخذ الطريق الأصح في الاشارة الى أي مصدر تركي وتركماني مهما بلغت قيمتها العلمية المعتمدة وهي تعد بالعشرات.

وقبل الاشارة الى أية دراسة أو مرجع نشير أن الحكومة العراقية قد أقرت بهذه الحقيقة. كما جرى التنويه عنه في التصريح المصادق عليه من قبل المجلس النيابي بجلسته المنعقدة في الخامس من أيار (مايو) والموجه الى عصبة الامم ويتضمن تعهدات العراق الى مجلس عصبة الأمم كما وضعتها اللجنة التي ألفتها مجلس العصبة بقراره المتخذ في 28 كانون الثاني 1932. فقد اشار التصريح في مادته التاسعة، أن العنصر الغالب في قضائي كفري وكركوك (أي مدينة كركوك) هم العنصر التركماني، واعتمدت اللغة التركية واللغة الكردية الى جانب اللغة العربية كلغات رسمية. وليس هناك من يعتقد أن الحكومة العراقية وهي الحساسة كثيرا ازاء اللغة التركية، كانت ستقدم مثل هذا الاقرار والتعهد لأقلية لا شأن لها (انظر السيد عبدالرزاق

---

* هذا الموضوع مقتبس من الباحث (ارشد الهرمزي). مجلة (قارداشلق – الاخاء) العدد 2001/11

الحسني "تاريخ الوزارات" الجزء الأول، وأيضا ساطع الحصري "مذكراتي في العراق" الجزء الثاني 1927- 1941 ود.وليد حمدي "الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية"، ود.عزيز الحاج "القضية الكردية في العشرينات"، وعوني فرسخ "الأقليات في التاريخ العربي").

ويعرف المطلعون ان الحكومات العراقية المتعاقبة قد اعتمدت النسيج القومي للعرب والأكراد والتركمان منذ بدء نشأتها. فقد طبعت اللائحة الخاصة بالمسودة الأولى للقانون الأساسي في 1921 باللغات العربية والكردية والتركية والانكليزية. كما أصدر المندوب السامي البريطاني بلاغا نشره في مدينة كركوك فقط بعد أحداث مذبحة كركوك التي ارتكبها ثلة من الجيش الليفي في الرابع من شهر آيار 1924 باللغة التركية فقط. ويعلل ذلك المؤرخ عبدالرزاق الحسني بكون اللغة التركية هي لغة أهل كركوك السائدة. علاوة على ذلك فقد طبع القانون الأساسي للدولة العراقية والصادر عام 1925 باللغة التركية اضافة الى اللغتين العربية والكردية. واقر (قانون اللغات المحلية) رقم 74 والصادر عام 1931 اجراء المحاكمات في المناطق التي تسكنها أغلبية تركمانية وعلى رأسها كركوك وأربيل باللغة التركية. كما تقرر بأن تكون الدراسة في المدارس التي يؤمها التركمان على الأغلب بلغتهم المحلية. وهي حقوق طبيعية سرعان ما اغتصبت كغيرها من مباديء حقوق الانسان في الوطن العراقي. ولعل من أبرز ما يفيد باقرار الحكومات العراقية لهذا المنحى، أن الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر في كركوك وتطبع من قبل رئاسة بلديتها كانت تنشر بالعربية والتركمانية فقط حتى عهد قريب.

يورد ساطع الحصري في كتابه الموسوم (مذكراتي في العراق) وذلك في معرض تصادمه عام 1921 مع الكابتن ن.فاريل القائم باعمال مستشار وزارة المعارف آنذاك عندما رفض قبول وظيفة معاون مدير المعارف، أن فاريل أورد اقتراحا آخر حيث قال له:

- "اذهب الى كركوك، تول وظيفة معاون مدير المعرف هناك. هناك يتكلمون التركية، وأنت تعرف التركية!".. وقد كرر فاريل اقتراحه على حيدر رستم، رئيس الديوان الملكي بحجة أن أهالي كركوك يتكلمون التركية.

وقد أوضح خيري امين العمري والذي له دراسات وابحاث عديدة في تاريخ العراق الحديث في معرض السجال الذي كان يجري للحصول على عرش العراق، بأن كركوك تسكنها أكثرية تركمانية. (انظر، خيري أمين العمري "حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث" آفاق عربية للنشر والتوزيع، بغداد،ص66)

كما تطرق فريق مزهر الفرعون، أحد قادة ثورة العشرين في كتابه (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة 1920 ونتائجها) الى التركيب القومي لمناطق العراق، فذكر أن الاقلية التي تسكن العراق والتي هي ليست بعربية الأصل والدم، تسكن الشمال وهم أكراد في لوائي السليمانية وأربيل، وأتراك في لواء كركوك وعدد قليل من الأرمن والأثوريين والنساطرة في لواء الموصل.

كما اننا نرى عبدالمجيد حسيب القيسي وهو يصف نفسه في مقال نشرته له جريدة "الحياة" الصادرة في لندن بتاريخ 1 حزيران 2000، في معرض رده على نقد نشر حول كتابه الموسوم (هوامش على تاريخ العراق السياسي الحديث - الأثوريون، مركز الموسوعات العالمية، لندن، 1999) يقول القيسي "بأن اهتمامه بدراسة تاريخ العراق السياسي الحديث قد بدأ قبل نحو خمسين عاما، وأنه يذكر في كتابه المذكور كركوك مدينة تركمانية تعود اصولها الى اصول تركية في حين تسكن بالقرب منها قبائل كردية شديدة البأس."

في حين يورد الكاتب سيار الجميل في معرض التنوع السكاني في العراق وسكان الأقاليم فيما مفاده "أما اللغة التركمانية المنتشرة في أماكن معينة من شمال العراق، فقد استقطبت لها كل من كركوك في شرق دجلة، وتلعفر في غرب دجلة بقراهما ودساكرهما، وتعود هذه الجماعات السكانية في اصولها الى الدول التركمانية التي حكمت اجزاء من العراق".

وبالرجوع الى المؤلف المشهور (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) من تأليف ستيفن لونكريك (الذي شغل منصب الحاكم السياسي البريطاني في كركوك مدة ليست قصيرة، والم بالكثير من أحوال التركمان والقرى التابعة لها)، فانه يتطرق الى مواضع سكن التركمان فيقول: كانت بقايا الهجرات القديمة من التركمان متفرقة في تلعفر، وفي خط طويل من القرى على طريق

الموصل من دلي عباس الى الزاب الكبير، وتمركزت أكثريتهم في كركوك الجميلة لم تتبدل كثيرا في القرنين الأخيرين، كما لم يتبدل خط القرى التركمانية الممتد على الطريق الأعظم، ولا القرى العديدة التي يقوم سكانها بالزراعة الديمية "الديم". وكان نفوذ التركي يتغلغل في الأماكن التي يكثر فيها الدم التركي، وتنتشر فيها اللغة التركية والمذهب التركي ! وقد عمد لونكريك الى التعريف بكركوك في هذا المؤلف فذكر ان لسانها هي التركية.

ولو أمعنا النظر في كتاب أخر للونكريك (العراق الحديث من سنة 1900 الى سنة 1950، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي)، فانه يصف التركمان بالمزارعين من سكان القرى والذين لا يضمهم أي تنظيم عشائري، ويوجدون بأعداد في مدن كركوك وآلتون كوبري وأربيل وكفري، وفي قرى قره تبه، طوزخورماتو وداقوق وذلك على امتداد الطريق المتشعب بين بغداد والموصل، ويوجد عدد منهم في تلعفر في منتصف الطريق بين الموصل وسنجار. ويتطرق لونكريك الى اندماج العنصر التركماني في الحياة العامة عراقيا بعد تسوية قضية الموصل فيقول: لم يحاول التركمان في كركوك وكفري، وفي القرى التابعة لهما أية محاولة للخروج عن نطاق الغموض الذي كان له فائدته، فلم يثيروا أية مشكلة منذ أن تمت تسوية قضية الموصل.

تذكر المؤلفة البريطانية سارة جراهام في كتابها الموسوم

Sanctioning Sadam،(The Politics Of Interverntion In Irak 1999)، ان محاولات تعريب منطقة كركوك وارغام التركمان والأكراد للهجرة من مناطقهم السكنية في كركوك والموصل قد بدأت قبل حرب الخليج الثانية بكثير.

أما ديفيد ماكداول فيقول في كتابه (A Modern History Of The Kurds) فأنه يشير بدون موارية في مقاله المسمى (التعريف بالمنطقة المتنازع عليها) في اشارة الى الخلاف المشهور حول عائدية الموصل الى أن التركمان يشكلون الأغلبية على طول امتداد الطريق الرئيسي التاريخي (ممر الحرير) والذي يمر من جنوب منطقة الموصل وفي أغلب المدن الواقعة عليه مثل تلعفر والتون كوبري وتازة خورماتو وطاووق وطوزخورماتو وكفري وقره تبه.

وفي تقرير آخر يشير الطبقجلي الى مقررات المؤتمر الأول للمعلمين التركمان المنعقد بتاريخ 5-2 شباط (فبراير) 1959 منوها بأن الأكراد لم يكونوا أبدا أغلبية في كركوك بل احتفظوا بوضع الأقلية دائما لحد تاريخه.

ولو أمعنا النظر في الوثائق الرسمية البريطانية نرى الوثيقة المرقمة 134255/371 لوزارة الخارجية البريطانية تشير الى برقية صادرة من السفارة البريطانية في بغداد الى الدائرة الشرقية تذكر فيها كان أهالي كركوك يتكلمون التركية بنسبة بالغة.

كما تشير وثيقة أخرى لوزارة الخارجية البريطانية برقم 371 /134212 والمتضمنة برقية سرية برقم 1286 في 12 آب (أغسطس) 1958 موجهة الى وزارة الخارجية، بأن منطقة كركوك فيها "أغلبية تركية".

أخيرا وليس آخرا نود أن نذكر بأن الموسوعة البريطانية التي لا يشك أحد في جدية المعلومات الواردة فيها والخاضعة للبحث والتمحيص تشير بشكل لا موارية فيه الى أن :

((كركوك في الأساس مدينة تركمانية ولو أن هناك من يتكلم العربية والكردية فيها أيضا)) ولو لاحظنا الطبعات المعدلة من الموسوعة المذكورة لرأينا أنها تشير الى كركوك ونسيجها القومي محتفظة بالتركمان في المرتبة الأولى.

لقد توخينا في هذا البحث اثبات الحقائق المعروفة التي يعرفها كل من سكن المنطقة، وان كانت بعض الجهات تحاول بشتى الطرق اثبات العكس لأسباب سياسية واقتصادية أو نزعات تفردية يعلمها الجميع. اننا نرى الحل الأمثل في تكرار مقولة المواطنين التركمان الذين يدعون الى عراق موحد لا يطغي فيه عنصر على آخر، ولا يغتصب حق لصغير أو كبير وتكون فيه الغلبة للكفاءة واعتماد المنهج الصائب.

الباحث الفلسطيني الامريكي القدير حنا بطاطو

يشهد لتركمانية كركوك، وكذلك لعراقية اربيل

"تقع كركوك، وهي مركز نفطي، على بعد 180 ميلا (280 كيلو مترا) إلى الشمال من بغداد. وكانت مدينة تركية* بكل ما في الكلمة من معنى حتى ماض غير بعيد. وانتقل الأكراد تدريجيا من القرى القريبة إلى هذه المدينة، وتكثفت هجرتهم إليها مع نمو صناعة النفط. وبحلول العام 1959 كان الأكراد قد أصبحوا يشكلون ثلث المدينة، بينما انخفض عدد التركمان إلى ما يزيد قليلا عن النصف. وكان الآشوريون والعرب هم بقية السكان اساساً، الذين يصل مجموعهم إلى حوالي 120 الف نسمة. وشهدت مدن تركية أخرى مثل أربيل، عملية مشابهة. ولقد تكردت (أصبحت كردية) أربيل نفسها الى حد كبير وحصل التغيير سلما.

كتاب العراق - الثالث ص 224

***

حتى طارق عزيز يعترف بالهوية التركمانية لكركوك

في الصفحة 163 من كتاب (طارق عزيز. . رجل وقضية) لحميدة نعنع، يذكر طارق عزيز ما يلي ردا حول سؤالها : يريدون الحاق كركوك في المنطقة الكردية:

"نعم، نحن منذ السبعينات كان موقفنا في القيادة واضحا، وهو أن كركوك لا تدخل ضمن منطقة الحكم الذاتي لأنها لو دخلت ستكون مرحلة للانفصال بحيث تدخل لعبة النفط والمؤمرات الدولية في قضية الوحدة الوطنية. اذا فبقاؤها خارج الحكم الذاتي هي ضمانة أن لا تكون هناك مؤامرات تقسيمية وهذا لمصلحة الجميع. تاريخيا كركوك ليست محافظة كردية. تذهبين الى المدينة فتجدين عربا وأكرادا وتركمانا، والطابع الغالب تركماني".

عن كتاب (طارق عزيز. . رجل وقضية)، حميدة نعنع، بيروت، 2000

* ويقصد تركمانية

تركمان العراق وميراثهم الاصيل

بدايات الشعر التركماني في بلاد النهرين*

ان جهود بعض المثقفين مؤخراً في التعريف بالثقافة التركمانية العراقية، باعتبارها جزءا هاماً من موزائيك الثقافات الأثنية في العراق، تبقى بحاجة إلى التواصل، خاصة، وأنها تهدف في نهاية الأمر إلى تعزيز الانتماء للهوية العراقية الوطنية، وإلى اعتبار منجزات هذه الثقافة رافداً من روافد الثقافة العراقية المعاصرة.

فقدمت الحضارة العراقية على مر العصور، الكثير من المبدعين والنوابغ في مختلف المجالات الفكرية والثقافية. ويكمن سر هذه الديمومة الإبداعية في التنوع الثقافي العجيب الذي ظلت تستقبله أرض الرافدين، وتذيبه في مياه نهريها الخالدين. ومن هذه الينابيع التي لاتزال تنساب، وتسقي حتى الثقافات التي خارج العراق، هي الثقافة التركمانية التي للأسف لم تأخذ حظها من التعريف والتحليل الذي تستحقه من المثقفين العراقيين والعرب. علماً أن تركمان العراق يعتبرون من طليعة ومؤسسي الأدب الناطق بالتركية منذ منتصف القرن الرابع عشر.

منذ ذلك التاريخ يواصل تركمان العراق عطاءهم الثر في كافة المجالات الثقافية والأدبية، لتأسيس ثقافة إنسانية معاصرة وأصيلة قائمة على تراثهم الشعري والثقافي الموروث والمتواصل منذ قرون عديدة على هدى أسلافهم الذين خدموا الثقافة والأدب والفكر الإنساني.

إلا أن ما يدعو إلى الأسف حقاً هو عدم إيصال مساهماتهم في الفكر والثقافة على مر العصور إلى المثقف العراقي خاصة والمثقف العربي عامة بالشكل المطلوب، رغم كونهم جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العراق وشعبه.

إن خصوصية الروح العراقية جعلت الأدب التركماني يتميز، ويبرز في جميع البلدان والمناطق الناطقة بالتركية في أواسط آسيا وتركية وأذربيجان والبلقان. حيث قدم تركمان العراق لهذه الشعوب الناطقة بالتركستانية اثنين من أهم وأبرز شعرائهم هما: سيد عماد الدين نسيمي (1370 - 1417)، وفضولي البغدادي (1494 - 1556).

عماد الدين نسيمي (البغدادي) مؤسس الشعر التركماني

يعتبر الشاعر عماد الدين نسيمي (1370 - 1417) المولود بمنطقة - نسيم - بضواحي بغداد، المؤسس الحقيقي للشعر التركماني ومن أكبر الشعراء في تاريخ ادب الشعوب الناطقة بالتركية إلى جانب كونه شخصية بارزة في الفكر الإسلامي وخاصة بين الشعوب الناطقة بالتركية. كما تكشف قصائده التي كتبها باللهجة التركمانية (وهو أول شاعر يكتب قصائده بها في القرن الرابع عشر) إطلاعه الموسوعي على معارف عصره. ويعتبر نسيمي في الوقت ذاته داعية وشخصية قيادية في المذهب (الحروفي) وهو مذهب صوفي ينادي بوحدة الوجود حيث تعظم وتقدس الحروف والأرقام وتركيب الحروف في الكلمات. وتعتبر (الحروفية) الكون مظهراً للوجود المطلق، حيث الدنيا راسخة في علم الكون، وهذا الرسوخ يُعتبر تجلياً للكائنات. وتتأسس أحكام الحروفية على الحروف الثمانية والعشرين في العربية مضافاً إليها أربعة حروف إضافية (لام، ألف، ميم، فاء) وبذلك يصل عدد الحروف إلى إثنين وثلاثين حرفاً.

على أثر انتشار الحروفية انتقل نسيمي من العراق إلى أذربيجان ومنطقة الأناضول لنشر المذهب الحروفي. وقد ترك الحروفيون في القرن الخامس عشر الميلادي اللغة الفارسية، وبدأوا باستعمال اللغة التركية، حيث كتب نسيمي في هذه الفترة

* هذا الموضوع عن الشعر التركماني في العراق من تأليف صديقنا (نصرت مردان) وقد سبق نشره في الصحافة.

ديواناً مع رسالة (مقدمة الحقائق) شرح فيه تفاصيل المعتقدات الحروفية. كما أثارت قصائده باللهجة التركمانية (وهي خليط من لهجة الأناضول واللهجة الأذربيجانية) أصداء واسعة في صفوف المتصوفة والأوساط الدينية. حيث دعا فيها نسيمي الإنسان إلى معرفة ذاته، على اعتبار إن أسرار الكون وأسرار الخليقة تتجلى فيه.

في الميثولوجيا الشرقية، يمتلك الملك جمشيد الأسطوري كأساً إذا إمتلأت بالشراب ظهر فيها كل ما يحدث في الكون، وكان نسيمي كثيراً ما يطلق على عقل الإنسان اسم كأس جمشيد.

استعمل نسيمي أنماطاً شعرية سائدة في الشعر العربي والفارسي كالغزل والرباعية والمثنوي. وقد تمكن من أن يكون أول شاعر عراقي ينظم باللهجة التركمانية قصائد تضاهي ما هو مكتوب في الشعر العربي والفارسي الكلاسيكي مضيفاً إليها نفحات شعرية تعبر عن إيمانه بالمعتقدات الحروفية.

ظل نسيمي طوال حياته متأثرا بمصير المتصوف الكبير الحلاج مرددا ذكره باحترام وتقدير بالغين. غير مدرك أن القدر يخفي له مصيرا شبيهاً بمصير الحلاج.

يستعمل نسيمي ضمير المتكلم (أنا) في قصائده ليس تعبيراً عن ذاته بل للدلالة على الإنسان بمعناه العام. اضطر نسيمي إلى مغادرة باكو بعد مقتل فضل الله مؤسس الطريقة الحروفية على يد ميران شاه بن تيمورلنك في 1394 م متوجهاً إلى الأناضول حيث اتصل بالحاج بكتاش ولي (مؤسس الطريقة البكتاشية وهي إحدى الطرق العلوية بتركية) حيث وجد استقبالا حارا من مريديه. ويقال إنهم تأثروا بأفكاره الحروفية التي بدأ بنشرها في الأناضول. ولايزال نسيمي إلى يومنا هذا يحظى بمكانة محترمة بين البكتاشيين والعلويين في تركيا حيث يترنمون بقصائده في طقوسهم الخاصة التي ترتل فيها القصائد وتغنى على آلة الساز.

أضطر نسيمي بعد تزايد نشاطاته بين البكتاشيين المعادين لسلطة الدولة العثمانية وخوفه من انتقام السلطان مراد الرابع إلى الانتقال إلى مدينة حلب، حيث أخذ يواصل فيها نشاطاته الحروفية.

تعرض نسيمي في حلب إلى مضايقات وتآمر من قبل أعدائه، حيث قام أحد المتآمرين بتمزيق صفحة من القرآن الكريم ووضعها في خرقته دون علمه. وعندما مثل بعد الوشاية به أمام القاضي الذي قال له (ما الحكم في اليد التي تعبث بالقرآن؟) فكان جوابه تقطع. وهنا قال له القاضي: (هاقد أفتيت لنفسك).

أُتهم بالزندقة، وحكم عليه بسلخ جلده حياً. وعندما بدأوا بالسلخ، شحب وجهه، فقال له القاضي ساخراً: ((إذا كنت الحق كما تدعي فلماذا بدأ وجهك بالشحوب؟)) فرد عليه نسيمي قائلاً: (الشمس تشحب دائماً عند المغيب لتشرق من جديد).

فضولي البغدادي رائد الشعر الصوفي التركماني

ومادمنا بصدد ذكر جزء هام من بدايات الشعر التركماني، فأن موضوعنا لن يتكامل دون التأكيد على الدور الهام للشاعر فضولي البغدادي الذي نشأ في القرن السادس عشر ميلادي. فعلى عادة الشعراء في عصره لقب أمير الشعر التركماني محمد بن سليمان نفسه بـ (فضولي). يقول الدكتور حسين محفوظ أستاذ الدراسات الشرقية في كلية الآداب بجامعة بغداد ((كان فضولي من عشيرة البيات، وهي بطن من قبيلة الغز (اوغوز) التركمانية التي استوطنت العراق قديماً، وسكنت قرب واسط ولها ذيول في الشرق وتركيا. وهم الآن ألفاف من العرب والترك، يقيم فرع منهم بكركوك وبيوتات ببغداد وغيرها من المدن.))

وفي الوقت الذي تختلف فيه الآراء حول ميلاد الشاعر بين بغداد أو الحلة أو كربلاء، يؤكد البحاثة التركماني المعروف عطا ترزي باشي، أن فضولي ولد وترعرع في كركوك بدليل وجود خرائب في حي (ميدان) بمنطقة (القلعة) بكركوك لاتزال تعرف إلى يومنا هذا بين العامة باسم (بيت فضولي). كما يذكر أن فضولي لم يغادر كركوك إلى مدينة الحلة إلا بعد تعيين والده مفتياً فيها.

في إحدى قصائده التي قالها الشاعر في مدح الإمام علي يذكر الشاعر أنه مدح الإمام خمسين عاماً، وهو ما يؤكد أنه بدأ بقرض الشعر وهو يافع. و كان لفضولي الشيعي المذهب مكاتبات ومناظرات شعرية مع الشاه اسماعيل الصفوي الذي يعتبر في

الوقت نفسه من ابرز شعراء الشعر الكلاسيكي التركي (أدب الديوان) حيث كان يكتب قصائده باسم (خطائي) وإليه أهدى الشاعر ديوانه (بنك وباده) حيث شبه السلطان العثماني بـ (بنك - الأفيون) وشبه الشاه الصفوي بـ (باده - الشراب). وعندما استولى العثمانيون على بغداد منهين بذلك حكم الصفويين استقبل فضولي بقصيدة السلطان العثماني سليمان القانوني الذي أمر أوقاف بغداد بصرف راتب شهري للشاعر. إلا أن الأوقاف توقفت عن صرف الراتب الشهري للشاعر، وذلك بعد مرور فترة على مغادرة السلطان بغداد. وقد تأثر الشاعر من هذا الإجراء المتعسف فكتب شكواه إلى السلطان في قصيدته الخالدة (شكايت نامة) ولكن دون جدوى، وهو الأمر الذي دفعه للاعتكاف في كربلاء والتي كان يعتبرها (أكسير الممالك) حيث فوض إليه إسراج المصابيح في حضرة الحسين الشهيد.

وقد توفي الشاعر في هذه المدينة بعد أن أُصيب بمرض الطاعون سنة 963 هجرية حيث دفن بمدينة كربلاء على خطي جنوبي صحن الروضة الحسينية تجاه باب القبلة.

ترك فضولي ميراثاً ضخماً خالداً للأدب التركي خاصة وللأدب الإنساني عامة من الشعر والنثر باللغات التركية والعربية والفارسية في آثار قيمة مثل : أنيس القلب (منظومة في 134 بيتاً)، حديقة السعداء (عن واقعة كربلاء، وترجمة خطب الإمام الحسين خلال الواقعة)، ديوان فضولي (ثلاثة مجلدات ضخمة باللغات الثلاث)، رسائل فضولي، رند وزاهد (منظومة في 850 بيتاً)، ساقي نامة (في 700 بيتاً)، مطلع الأعتقاد (في علم الكلام) ليلى ومجنون (3400 بيتاً) ويعد من أهم نتاجاته الشعرية التي ترجمت إلى مختلف اللغات العالمية أخرها كانت الأسبانية، وقد اختارت صحيفة (أ، ب، س) الأسبانية الديوان ضمن زاويتها (كتاب الأسبوع) باعتباره أهم الكتب المترجمة.

لايزال هذا الشاعر العظيم محط الأوساط الثقافية التركمانية في العراق وأذربيجان وتركيا. وكانت تركيا قد اقترحت في بداية السبعينات على العراق إقامة ضريح مناسب للشاعر يتناسب مع أهميته الشعرية مقابل بناء ضريح مماثل للشاعر العربي امرؤ القيس بعد أن عثر علماء الآثار على مكان قبره بمنطقة (ألما داغ) القريبة من العاصمة التركية أنقرة*. إلا أن المشروع لم ينفذ. وكان أن قامت بلدية مدينة كربلاء بتسوية عشرة أمتار من عمق الصحن الحسيني لتوسيع الشارع الذي يقع عليه، وهو مكان لتجمع الباعة الذين يربطون فيه دوابهم أيضاً. الأمر الذي أدى تسوية قبر الشاعر فضولي. وهو ماذكره الشاعر التركي كمال بيرام في كتابه (موزوبوتاميا) الذي ألفه عن زيارته للعراق بعد دعوته إلى مهرجان المربد الشعري في 1974. وأمام اهتمام الوفود الأذربيجانية بزيارة قبر الشاعر الذي تفخر به لكونه كتب أشعاره باللغة التركمانية والتي تتشابه إلى حد بعيد مع اللغة الأذربيجانية. اضطرت الجهات العراقية إلى تشكيل لجنة لتحديد مكان لبناء ضريح جديد للشاعر في الصحن الحسيني الشريف. لكن اللجنة اختارت مكاناً آخر لبناء ضريح الشاعر فضولي. حول هذا الموضوع يذكر الكاتب الأذربيجاني غضنفر باشاييف في كتابه (ست سنوات على ضفاف دجلة و الفرات) مايلي: ((. .. كان قبر الشاعر حتى السبعينات من هذا القرن موجوداً تحت قبة صغيرة بباب القبلة. .

في عام 1975 تم توسيع الساحة من باب القبلة وهدم الضريح على أثره. .(. ..) في أيلول من عام 1994 تم بناء ضريح جديد للشاعر في غرفة مكتبة ودار المخطوطات التي تقع في الجانب الأيمن من باب القبلة - السياج الخارجي - المحيط بضريح الإمام الحسين، وذلك بمناسبة مرور 500 عام على ميلاده. .

استطاع فضولي أن ينقل نار الشعر إلى الأجيال الشعرية المتلاحقة عبر القرون. لذلك يحتفل التركمان في العراق في منتصف أيلول من كل عام بذكرى شاعرهم الكبير. كما تقام بنفس المناسبة مهرجانات شعرية وثقافية في تركيا وأذربيجان وجمهوريات آسيا الوسطى تكريماً منها لإنجازاته الشعرية الهامة.

* ان هذا الموقف هو تعبير عن العقلية العرقية المحتقرة للانتماء الوطني السائدة في العراق وتركيا. فبما ان امروء القيس عرقيا عربي فان هذا يبرر للعراق ان يتخلى عن شاعره فضولي، ابن ارضه وشعبه لأنه ليس عربياً!!!!

لايزال تركمان العراق فخورين بمؤسسي شعرهم (نسيمي وفضولي) اللذين حملا إلى العالم منذ عصور قصائد خالدة محورها الاعتزاز بالإنسان ومشاعره النبيلة والسامية. ويبقى من حقنا أن نتمنى أن يأتي اليوم الذي يتم فيه الاحتفاء، بهذين الشاعرين العراقيين الكبيرين في وطنهما العراق مثلما يتم الاحتفال بهما في البلدان الناطقة بالتركية.

يشكل التركمان الفئة اللغوية الثالثة بعد الناطقين بالعربية والكردية ويأتي بعدهم الناطقون بالسريانية (مسيحيون آشوريون وكلدان). بسبب غياب الإحصائيات الرسمية فإنه يصعب اعطاء رقم اكيد عن عددهم. لكن احصاء عام 1957 بين انهم يتجاوزون النصف مليون، وقد يبلغ عددهم الآن المليون ونصف، أي اكثر من 6% من سكان العراق. يقطن التركمان خصوصا في المحافظات الشمالية: (كركوك واربيل والموصل وتكريت، بالإضافة الى بغداد لكن تبقى مدينة كركوك هي الأكثر تركمانية حيث تسود فيها لغتهم حتى بين العرب والأكراد. ان مناطق تواجد التركمان تكاد ان تشكل الخط الفاصل بين الناطقين بالكردية والعربية. التركمان هم مسلمون ومنقسمون تقريبا مناصفة بين شيعة وسنة. هذه الخصوصية الدينية المذهبية منحتهم دينامكية خاصة مكنتهم من الإختلاط والتزاوج مع العرب والأكراد. هناك نسبة كبيرة من العوائل والعشائر العراقية "العربية" تعود الى اصول تركمانية او خليطة بين التركمان والعرب واحيانا مع الأكراد.

ابرز هذه العشائر الكبيرة والمعروفة هم البيات ومنهم الشاعر العراقي المعروف عبد الوهاب البياتي. وقد انتجت مدينة كركوك الناطقة بالتركمانية ابرز مثقفي جيل الستينات (جماعة كركوك) مثل سركون بولص وجليل القيسي وفاضل العزاوي، حيث يتقن الكثير من مثقفي كركوك اللغة التركمانية (والتركية) ويقرأون بها. علما بأن اللغة التركمانية تشبه كثيرا اللغة التركية وكذلك الآذربيجانية، لكن الفرق يكمن في ان الأتراك تخلوا عن الأبجدية العربية وتبنوا الأبجدية اللاتينية، بينما تركمان العراق ابجديتهم هي العربية.

الحركة السياسية لتركمان العراق

ان واقع الحركة السياسية التركمانية لا يختلف كثيرا عن واقع الحركة السياسية العراقية بجميع اطرافها واتجاهاتها بما فيها حزب البعث الحاكم نفسه. حيث تعاني هذه الحركة من المعضلتين التاليتين:

- السيطرة المطلقة للعنصر السياسي على قيادة المجتمع والدولة وغياب دور المثقف بسبب تبعيته للسياسيين من خلال القمع والتدجين والكسب الآيدلوجي..

- ضعف الإنتماء الوطني والتبعية السياسية والفكرية لمراكز خارجية: ثقافية واممية وقومية ودينية..

منذ البداية تميزت الحركة السياسية التركمانية بأنها ذات مطالب ثقافية لغوية غايتها الحفاظ على الهوية والخصوصية التركمانية ورفض حملات التعريب التي تقوم بها الحكومة لمناطقهم. أي انها ليست ذات مطالب سياسية مباشرة مثل الحركة الكردية التي ظلت تطالب بإدارة ذاتية وحق تقرير المصير. علما ان للتركمان منذ سنوات طويلة اذاعة محلية في كركوك مع صحف ومجلات خاصة باللغتين العربية والتركمانية.

لكن هذا المطلب الثقافي المعلن، يتناقض مع مطلب آيدلوجي مضمر في التفاصيل، أي فكرة الإنتماء الى ما يطلقون عليه (الوطن الأم تركيا) والأمة التركية العظمى! الخصوصية المهمة التي ظلت تتصف بها النخبة السياسية المؤثرة انها ذات ميول (قومية طورانية) أي مرتبطة مباشرة بالتيار القومي اليميني التركي الذي يجتمع حول فكرة تقديس مصطفى اتاتورك مؤسس الجمهورية التركية والإيمان بقيام امبراطورية مشتركة لجميع الناطقين بالتركية من الصين حتى يوغسلافيا!!

هذا الإتجاه الطوراني جعل النخب التركمانية تبتعد عن الحركة اليسارية العراقية والحركة القومية الكردية ذات الميل اليساري عموما. لم تتشكل بين التركمان تيارات يسارية او شيوعية مهمة. وبسبب عزلة النخب التركمانية عن الحركة اليسارية العراقية جرت الكثير من عمليات الإضطهاد ضد التركمان من قبل الحركات الكردوية المدعومة شيوعيا. وهناك بما يعرف بمجازر كركوك عام 1959 التي جرت يحق التركمان من قبل الجماعات الكردوية والشيوعية.

خلال التسعينات وبعد كارثة الخليج والتغييرات الكبرى التي جرت في المجتمع العراقي والهجرة الكثيفة للعراقيين، برزت ما يعرف بظاهرة الأحزاب العراقية المعارضة والمقيمة في الخارج، ومنها الحركات السياسية التركمانية. يمكن الآن الحديث بشكل تقريبي عن اربعة إتجاهات سياسية تركمانية:

- الإتجاه الحكومي البعثي ويتكون من العناصر التركمانية المستفيدة مباشرة من تعاملها وإنتمائها الى الحزب الحاكم، من خلال نشاطهم في العديد من المؤسسات التي لها علاقة بالوضع التركماني، مثل مديرية الثقافة التركمانية وتلفزيون واذاعة كركوك وقسم التركمان في اتحاد الكتاب والمجلات التركمانية ونادي الأخاء التركماني وفروعه في بغداد والموصل، وغيرها من الجهات التركمانية الحكومية. علما ان هذا التقارب مع البعث له جذوره القديمة بين التركمان. فمن الغريب ان الإتجاه القومي اليميني والعداء لليسار ادى بالكثير من النخب التركمانية الى التحالف مع النقيض التام، أي مع الحركات القومية العربية، مثل التحالف مع حزب البعث عام 1963. طبعا ان هذا الإتجاه البعثي متنكر تماما للخصوصية التركمانية وحتى يبرر عمليات التعريب الجارية.

- الإتجاه الإسلامي والمرتبط مباشرة بالإتجاه الديني الشيعي العراقي. وهو اتجاه مدعوم من قبل ايران والكثير من قياداته مستقرة هناك ايضا. عموما فإن مطالب هذا الإتجاه وطنية عراقية ليس لها علاقة بالطروحات القومية الطورانية.

- الإتجاه القومي الطوراني (التركوي) أي المرتبط مباشرة بالأجهزة المختصة التركية ومعظم قادته من العناصر العراقية المستقرة في تركيا منذ سنوات طويلة والحاملة للجنسية التركية. وهذا الإتجاه هو المسيطر عموما على النشاط السياسي التركماني في الخارج ويجمع العديد من التجمعات السياسية التي تحمل شتى الأسماء: منظمة وحزب واتحاد ورابطة وجبهة وحركة، واسماء عديدة تظهر وتختفي خلال اسبوع واحد، لأن غايتها الأولى هي مغازلة المسؤولين الأتراك لتحقيق اقصى المكاسب المادية الشخصية تحت ستار خدمة سياسة تركيا في المنطقة!

لقد بلغ الأمر بهذه العناصر "التركوية" انها قررت الغاء استخدام الأبجدية العربية في المدارس التركمانية في اربيل وتبني الأبجدية اللاتينية التركية وربط هذه المدراس مباشرة بوزارة التربية التركية! بل بلغ بهم الأمر انهم راحوا يزاودون في صحفهم على تركيا نفسها وحثها على المطالبة بولاية الموصل العراقية (أي كل شمال العراق). علما بأن تركيا نفسها قد تخلت عن مثل هذه الأحلام بسبب عدم واقعيتها وما يمكن ان تسببه لتركيا من مصائب على مصائب.

بوادر الإصلاح

في الاعوام الاخيرة وبعد تراكم خيبات تجارب التبعية للخارج القومي او الديني، بدأ يبرز تيار واقعي وطني لدى عموم النخب العراقية ومنها النخب التركمانية. هذا التيار التركماني الوطني رافض للتبعية لتركيا وضد تيار المستفيدين ودعاة الارتباط المباشر بتركيا.

ان اتباع المجموعة الوطنية الرافضة يطرحون حججاً كثيرة لدعم وجهة نظرهم بخصوص رفض الهيمنة التركية على القرار التركماني. يقولون بانه طيلة اجيال طويلة من التبعية فأننا بالمحصلة النهائية قد خسرنا ولم نربح. وان النتيجة "الإيجابية الوحيدة!" التي جنتها الحركات التركمانية من تبعيتها الى تركيا، هي الأرباح الشخصية الطائلة التي حققتها العناصر القيادية التي ظلت تتاجر بقضية التركمان. يمكن تلخيص طروحات هؤلاء الوطنيين كالتالي:

ان التمسك بالطورانية التركية والانعزال عن الحركة السياسية العراقية كان دائما عاملا سلبيا ومسببا للخسائر للتركمان. فإن تركيا في كل الأحوال تستخدم الورقة التركمانية من اجل مصالحها فقط، ويكفي أي عقد نفطي مع الحكومة العراقية حتى تتخلى تركيا عن التركمان، وهذا ما ظلت تفعله دائما. ان خسائر التركمان لا تحصى بسبب عزلتهم عن النخب السياسية العراقية، وبالذات في علاقتهم مع الأكراد. يلاحظ مثلا، ان عمليات التعريب التي تقوم به الحكومة ضد المناطق الكردية والتركمانية، ظلت مرفوضة ومدانة من قبل النخب اليسارية العراقية. لكن بنفس الوقت، وبسبب التحالف اليساري - الكردي وعزلة التركمان عن اليسار، فإن عمليات التكريد الدائمة للمناطق التركمانية والسريانية في شمال العراق نتيجة الهجرة الكردية المستمرة بسبب

الحروب واستيطان الرعاة، ظلت مقبولة ومبررة من قبل التيار الشيوعي المؤثر في النخب العراقية، ولم يجر التطرق اليها حتى الآن ابدا.

اسطع مثال على الغبن الذي تعرض له التركمان بسبب انعزالهم عن الحركة السياسية العراقية، مسألة التواجد التركماني التاريخي في مدينة اربيل. الكثير من القيادات الكردية بسبب نزعتها القومية التوسعية فإنها تحاول ان تحجم دور التركمان (وكذلك الناطقون بالسريانية) في هذه المدينة لأن وجودهم يكشف عن حقيقة تاريخية منسية: ان اربيل لم تصبح مدينة بأغلبية كردية الا في القرن الأخير، وانها خلال اربعة آلاف عام ظلت مدينة عراقية صميمة يقطنها العراقيون بمختلف تنوعاتهم، آشورية بابلية ثم سريانية مسيحية ثم مع الإسلام اضيف اليهم الأكراد والتركمان، ومع تزايد الهجرات الكردية من الجبال المجاورة اصبحت اربيل فيما بعد مدينة كردية، بل عاصمة لكردستان العراق. بهذه المناسبة يتوجب الاشارة الى اننا لسنا ضد ان تكون مدينة اربيل عاصمة كردية ولكننا ضد ان تحتسب على مشاريع كردستان الكبرى الانفصالية، لانها جزء جغرافي وتاريخي من العراق لا يمكن فصله عمليا ومنطقيا.

مطالب التركمان*

ان هذه المطالب المتعلقة بحقوق تركمان العراق تعتبر مسودة للحوار الديمقراطي المفتوح ليس فقط لكل التركمان بل لكل العراقيين لان حقوق التركمان بالنتيجة هي جزء من حقوق جميع فئات الامة العراقية. ان القراءة العميقة لهذه المطالب تكشف عن انها في جوهرها، لا تمثل (حقوق التركمان) وحدهم بل (حقوق اية فئة عراقية) مهما كانت لغوية او مذهبية او دينية. ان معظم الفقرات الواردة تبقى صالحة لو تغير اسم (التركمان) الى (سريان) او (يزيدية) مثلا. نعم انها مطالب عراقية "تركمانية".

المطالب السياسية:

- تغيير المادة الواردة في الدستور العراقي والقائلة (العرب والأكراد شركاء في الوطن)، لكونها مادة غير وطنية وغير ديمقراطية لأنها تعزز التمييز القومي في العراق، وتبخس حقوق الفئات العراقية المختلفة، كما أنها لم توضع نتيجة استفتاء شعبي أو برلماني بل هي من وضع انظمة عسكرية وقومية متعصبة. ان جميع الدساتير الديمقراطية في العالم تتفق على القول (ان جميع المواطنين مهما كانت اصولهم وطبقاتهم وفئاتهم هم شركاء في الوطن) نعم ان جميع العراقيين شركاء في الوطن، بغض النظر عن اصولهم اللغوية والدينية والمذهبية والمناطقية.

- التأكيد على عراقية كركوك وخصوصيتها التركمانية، ورفض المزاعم الكردية باعتبارها جزءا من كردستان. ان هذا الموقف يقتضي اولا اتفاق العراقيين جميعهم على تحديد ماهية "حدود كردستان" بصورة رسمية وعقلانية نهائية، وعدم ابقائها هكذا معلقة وعرضة لنزوات الادعاءات القومية الكردية التي تتوسع بخارطة (كردستان الكبرى) حسب موازين القوى وطبيعة علاقتها بالنظام الحاكم والقوى العالمية.

- الاعتراف بالوجود التركماني في أربيل رسميا والتأكيد على حقوقهم الثقافية والسياسية المتميزة في هذه المحافظة العراقية، وارجاع حقوقهم المغبونة من قبل الحكومات السابقة من ناحية الاعتراف بتمايزهم اللغوي والثقافي اسوة باخوتهم الاكراد والسريان.

- تمتع التركمان باحقية حصولهم على مناصب قيادية في أجهزة الدولة العراقية بما فيها الجيش والادارات، والتأكيد على اشراك جميع الفئات العراقية في ادارة الدولة والجيش بصورة عقلانية قائمة على العرف والاخلاق من دون اية داع لاستخدام طريقة (التوزيع الطائفي) على الطريقة اللبنانية، المنافية لروح الوحدة الوطنية وحرية المعتقد. يتوجب من اجل هذا تخصيص مراقبة برلمانية شديدة لمنع اية محاولة لاحتكار الدولة والجيش من قبل اية فئة مهما كانت.

* هذه المطالب تمت صياغتها بالتنسيق بين سليم ونصرت مردان.

- توجيه الاهتمام بالمناطق التركمانية المهملة والمهمشة، وايقاف حملات التعريب ومحاولات تكريد هذه المناطق في كركوك وأربيل، وتعويض العائلات التركمانية المبعدة الى جنوب العراق أو الى شماله، واعادة الجميع الى وظائفهم.

- انهاء العملية التي تقوم بها اجهزة الاحصاء الحكومية بإرغام التركمان وباقي الفئات العراقية من غير العرب والاكراد، على تسجيل انفسهم في الوثائق الرسمية، اما كعربي او كردي!!

المطالب الثقافية:

- ادخال اللغة التركمانية كلغة اختيارية للدراسة والاطلاع في جميع مدارس العراق وحتى الجامعات. والتثقيف باعتبار اللغة التركمانية (كذلك اللغتين الكردية والسريانية) كلغة عراقية اصيلة تحمل الكثير من التراث المحلي وتساهم من جانب آخر في تواصل العراق على كافة الأصعدة مع الشعوب الناطقة بالتركية، وتدعيم المصالح الاستراتيجية للعراق مع تركيا واذربيجان وتركمانستان واوزبكستان وقرغزستان وقازاقستان، واعتبارها جسرا للتواصل الحضاري مع تلك الشعوب..

- رد الاعتبار للميراث التركماني العراقي من خلال التعريف بشخصياته الثقافة المهمة مثل فضولي البغدادي ونسيمي، واعتبار هذه الشخصيات وميراثها جزءاً من الميراث العراق وفخرا لجميع العراقيين، وليس للتركمان وحدهم. وفسح المجال لهذا الميراث بالاشتراك مع باقي الميراثات المحلية العراقية لان تعبر عن نفسها في وسائل الاعلام الوطنية والتعريف بها على انها نتاجات وطنية تهم كل العراقيين

- اعادة التسميات التاريخية الى المدن والمناطق والقصبات التركمانية. علما بأن معظم هذه الاسماء هي من اصول عراقية (آرامية) وليست تركمانية، ولكن اعتزاز التركمان بها لانها اصبحت جزءا من تراثهم الثقافي والمشاعري. لنتذكر ان اسم (كركوك) هو اكثر عراقية واصالة تعود لما يقرب الالفي عام، من اسم (التأميم) المصطنع.

بالنسبة للتركمان فان الجدالات الصحفية تتركز على الاخص مع الاكراد حول (كركوك) التي يدعي القوميون الكرديون بأنها (قدس الاكراد) بينما التركمان يعتبرونها مدينتهم الطبيعية ومركزهم السكاني والتاريخي والثقافي المعروف والمعترف به منذ قرون:

شاعر عراقي سرياني يشهد للغة التركمانية

الشاعر العراقي (الكركوكلي) سركون بولص يؤكد في حوار صحفي: نعم التركمانية لغة اهل كركوك حتى من غير التركمان : ((والدتي علمتني العربية النقية والتركمانية تعلمتها بحكم البيئة..

- أنت تتحدث التركمانية قليلا؟ تعلمتها في كركوك؟

- كان علينا أن نتعلم التركمانية بحكم البيئة أولا، وثانيا حتى في المدرسة كان المدرسون يتكلمون التركمانية ويدرسون بالتركمانية في بعض الأحيان.

- وتكتبونها أيضا ؟

لا. . بالنطق فقط.)). صحيفة المؤتمر - 22 كانون الأول 2001

***

الإحصائيات الرسمية تنفي وجود التركمان في العراق!

منذ ربع قرن، اخترع نظام البعث الحاكم بدعة عرقية لا يمكن تبريرها بأي شكل من الأشكال في احتواء استمارة التعداد السكاني على بند يرغم فيه المواطن العراقي المكلف بملء الاستمارة في أن يحدد قوميته بإرغامه بالإجابة على البند السيء الصيت (هل أنت عربي أم كردي ؟) والهدف واضح من هذا الظلم القومي وهو إرغام المواطن أن يضع نفسه إما في خانة الأكراد أو العرب فقط. وكأنه ليست هناك من قومية أخرى في العراق غير العرب والأكراد وبذلك يتم علنا وبشكل رسمي لا لبس فيه إنكار وجود قوميات أخرى في العراق مع سبق الإصرار والترصد وفي مقدمتهم التركمان والآشوريون والكلدان وغيرهم.

لم يكتف النظام بتصفية التركمان وإلغاء وجودهم من السجلات الرسمية العراقية فحسب بل امتدت يده الآثمة إلى مسح كل ما يذكر المرء بالخصوصية التركمانية لمدينة كركوك فغير أسماء الأحياء والأزقة وهدم أحياء سكنية كاملة في قلعة كركوك وشرد أهلها في زمن الحصار والجوع بحجة أنها منطقة أثرية، ولم يكتف بذلك بل طال التعريب حتى أسماء الفرق الرياضية المحلية. أصبح إدامة حملات التعريب اولى مهمات أي محافظ يتولى مهام أعماله في كركوك، بتشجيع سكان المحافظات الجنوبية على السكن في كركوك ودفع امتيازات مالية مجزية لهم في زمن الحصار والجوع والخراب. وقد بدأت هذه الحملة الشرسة بترحيل سكان حي (تسعين) وإحلال الوافدين من الجنوب فيه لإسكانهم في هذا الحي التركماني العريق. ولا أزال أتذكر بأسى كيف حضرت (س.ع) إلى الدوام والتي كانت تزاملني العمل في أحد الأيام وهي تبكي بحرقة وحينما سألتها عن السبب قالت ((اليوم حضر رجل من الجنوب إلى بيتنا برفقة رجال الأمن وقال لنا بكل صلافة أن بيتنا أعجبه ويريد أن يعرف منا متى سنخرج من البيت ثم قال لنا محذرا: ترى لا تشلعون البنكات (المراوح الكهربائية انه أريدها). . تصور هكذا نترك هذا البيت الذي قضى والدي ثلاثين عاما من عمره كعامل في شركة النفط يكد ليل نهار حتى يتمكن من شرائه)! أمام هذا التغييب المخطط لوجود للتركمان على أرض الواقع اضطر البعض منهم وخاصة أولئك الذين يعيشون في اربيل التي تضم اكبر تجمع للتركمان بعد كركوك إلى تسجيل أنفسهم كأكراد بعد إعلان صدام إعفاء الأكراد من أداء الخدمة العسكرية أثناء اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية. ففي الوقت الذي كان فيه معظم العراقيين من مختلف القوميات يتساقطون قتلى بالآلاف في جبهات القتال، كان الأكراد ينعمون بالعيش بعيدا عن صوت المدافع ومطاحن الموت في جبهات القتال. وقد استمر الوضع بالنسبة للأكراد أي الإعفاء من الخدمة العسكرية

لمدة عامين. وحينما تم استدعاؤهم للخدمة بعد استمرار الحرب المجنونة ترك النظام الصدامي باب النجاة لهم باعتبار كل من يلتحق بـ (جحافل الدفاع الوطني) التي كان يشرف عليها رؤساء عشائر متنفذون أكراد معفون من الخدمة العسكرية. لقد اثر منح مثل هذه الحقوق للأكراد فقط إلى أن يتوجه بعض من التركمان القاطنين في داخل مناطق الحكم الذاتي وخارجها إلى تسجيل أنفسهم كأكراد للتخلص من نيران الحرب ومآسيها. ولم يكن الأمر يتطلب منهم سوى الذهاب إلى المختار بحضور شاهدين حيث كان المختار يزودهم بعد دفع رشوة له وللشهود بـ (شهادة) تؤكد بأن الموما إليه هو من اصل كردي. ولم يكن للمتطوع بعد هذا إلا التنازل عن راتبه لرئيسه (رئيس الجحفل) يتم بعده قبوله كأحد أفراد (جحفل الدفاع الوطني).

إزاء هذا الواقع المرير للتركمان كيف يتسنى أن نحدد عددهم سكانيا سواء في عموم العراق أو مناطق الحكم الذاتي؟ وشخصيا لا أصدق على ضوء هذا الواقع المأساوي أن أي عملية للإحصاء السكاني من شأنها أن تسفر عن تحديد عدد سكان التركمان في العراق إلا بإلغاء البند العرقي الذي يرغم سكان العراق من غير العرب والأكراد الإجابة عليه (هل أنت عربي أم كردي؟)

محمد ادهم - جريدة الزمان /العدد 82 - 11 - 2001

***

المؤتمر الوطني العراقي يتآمر على التركمان لصالح الاكراد !

انتهك ما يسمى بـ (المؤتمر الوطني العراقي الموحد) ببيانه الختامي الصادر عن لجنة حقوق الإنسان التابعة للمؤتمر المذكور والمنشور في صحيفة (المؤتمر) بتاريخ 2 نيسان (أبريل) الجاري حقوق التركمان في العراق في الوقت الذي كان يفترض فيه أن يتناسب البيان مع مضمونه. ففي الوقت الذي كان يأمل فيه تركمان العراق (القومية الثالثة سكانيا في العراق والثانية في شمال العراق) أن يقيم القائمون في المؤتمر معاناتهم كقومية يغيبها النظام العراقي إحصائيا ودستوريا منذ أكثر من ربع قرن ويرفعونها كحالة إنسانية صارخة لانتهاكات حقوق الإنسان في العراق ضد نظام ديكتاتوري يرغم التركمان على اعتبار أنفسهم في الإحصائيات السكانية إما كعرب أو كأكراد، لأنه لا يعترف سياسيا إلا بوجود قوميتين في العراق هما (العربية والكردية) وذلك في إنكار واضح لقوميتهم وتاريخهم وتراثهم الممتد إلى عشرات القرون. إلا أن المؤتمر الوطني فوت على نفسه اتخاذ هذه الخطوة في المحافل الدولية والتي كانت ستعزز من مصداقيته السياسية في الدفاع عن حقوق القوميات في العراق، وأثبت المؤتمر الوطني العراقي على العكس من ذلك، في أن نظرته لتركمان العراق لا تختلف في مضمونها عن نظرة النظام العراقي لهم. فالبيان الختامي للجنة حقوق الإنسان للمؤتمر أهمل تماما أي تقييم للتركمان ولم يتطرق إلى حقوقهم بل لم يتوان عن إنكارهم. ولا ندري ما هي المصادر الموثوقة التي اعتمد عليها دعاة حقوق الإنسان في المؤتمر اعتبار أن التركمان يمثلون 1% من مجموع سكان العراق؟ وإذا كان هناك ثمة مصدر لهذا الإجحاف فهو بدون شك مصادر تلتقي مصلحتها مع مصلحة النظام العراقي في إنكار واقع التركمان وتهميش دورهم السياسي والإنساني والحضاري والثقافي والسكاني في العراق..

لقد فات على المسؤولين في لجنة حقوق الإنسان في العراق أن ما لم ينجح فيه النظام العراقي بكل طغيانه ودمويته في تصفية التركمان بتغييبهم دستوريا وإحصائيا، سوف لن ينجح فيه المؤتمر الوطني العراقي في تآمره المفضوح على التركمان، فالشمس لن تحجب بالغربال.

إزاء هذا السلوك المشكوك في مصداقيته للمؤتمر ضد التركمان، نرى أن لجنته الموقرة تصرفت بانحياز وسخاء حاتمي تجاه الأكراد، فهي لم تكتف في بيانها الختامي السيء الصيت باعتبار مناطقنا التركمانية مهد الآباء والأجداد والشهداء وفي مقدمتها (كركوك) كردية، بل طالبت بضرورة استمرار حصة الكيان الكردي من برنامج (النفط مقابل الغذاء) حتى في حالة رفع الحصار على العراق! فكيف يفسر دعاة حقوق الإنسان في المؤتمر هذا التمييز الواضح بين القوميات العراقية: سخاء لا حدود له للأكراد وتبني لطروحاتهم، وانكار واضح لا حدود له لواقع التركمان في العراق؟! لمصلحة من يعمل المؤتمر على تهميش دور التركمان وإنكار واقعهم الإنساني والسياسي والقومي؟. ونود أن يعلم المسؤولون في المؤتمر، أن نظام صدام الذي عجز رغم سياسته التعريبية والتصفوية من القضاء على الخصوصية التركمانية لمدينة كركوك منذ اكثر من ربع قرن، هذه المدينة لن تفقد

هويتها القومية المتميزة ارضاءا لأهواء البعض. بل ستظل كركوك أبدا عصية على دعاة التكريد كما هي الآن مع دعاة التعريب محتفظة إلى قيام الساعة بهويتها الحقيقية كمدينة عراقية ذات خصوصية تركمانية شأنها في ذلك شأن السليمانية المدينة العراقية ذات خصوصية كردية والناصرية كمدينة عراقية ذات خصوصية عربية وغيرها من المدن العراقية.

إن المؤتمر الوطني العراقي الموحد مدعو إلى مراجعة حساباته حول واقع التركمان في العراق، وأن يكون اكثر حرصا على الموضوعية والحياد والروح الوطنية في تعامله مع الملف التركماني في العراق، وان يتجرد من تأثيرات بعض الجهات السياسية في توجهاته ومواقفه تجاه التركمان الذين يواصلون بعددهم الذي يناهز المليونين ونصف المليون نسمة التأكيد على هويتهم العراقية القومية والوطنية رغم تآمر بعض النخب السياسية والإعلامية المغرضة ضدهم.

محمد أدهم / لندن / جريدة القدس /2001/4/24

***

يا إسلاميو العراق وسوريا احذروا الدولارات الطرزانية!

بدأت في الآونة الأخيرة الأطراف الكردوية الإسلامية التحرك نحو الإسلاميين العراقيين والسوريين من اجل جرهم الى مواقف قومجية خطيرة تتناقض مع مبادئ الوحدة الإسلامية التي اعتدنا على سماعها. ففي شهر نيسان الماضي عقد في المانيا ما سمي بالمؤتمر الإسلامي - الكردي الذي استخدمت خلاله الدولارات الطرزانية (الطلبانية - البرزانية) بشكل باذخ من خلال تحضير القاعة وتوفير الدعوات وتكاليف السفر والفنادق والمصاريف والمآدب و"الإكراميات الشخصية"!! والتي ادت نتيجتها بتراخي الكثير من مواقف الإسلاميين السوريين والعراقيين الذين وافق الكثير منهم اخيرا على اعلان تضامنهم التام مع الطروحات القومية الإنفصالية، بل بلغ الأمر ان نسمع لأول مرة من هؤلاء الإسلاميين الموافقة على شعار غربي طنان من نوعية (حق تقرير المصير)، والذي لغرابة الصدفة لا ينطبق الا على البلدان المزعجة لأمريكا وبالذات سوريا والعراق! ولا ندري لماذا اقتنع اسلاميونا بهذه المرحمة الإيمانية بالنسبة للمسلمين الأكراد وحدهم.. فهناك مثلا المسلمون التركمان ايضا في العراق، وهناك القوميات المختلفة في جميع البلدان الإسلامية، مثل الهند التي فيها اكثر من مئة مليون مسلم ثم باكستان وافغانستان التي تتكون من عدة قوميات، وكذلك ايران التي لا يشكل الفرس فيها سوى اقل من 50%. فقولوا لنا يا اخوتنا في الدين، هل الأكراد وحدهم مسلمون يستحقون رحمة الانفصال وحق تقرير المصير، ام لأن الدولارات الطرزانية فعلت فعلها في قلوبكم التقية المؤمنة؟!

ولم يكتف الطرزانيون المتأسلمون بهذا الانتصار، فهاهم يتوجهون الى الإسلاميين العراقيين فأقنعوا (مركز كربلاء) في لندن باقامة (ندوة عن مدينة كركوك) في شهر تموز القادم. وكالعادة فإن الدولارات اخذت الصدارة ايضا، فدفع الطلباني والبرزاني كل منهما (4000) باون، من اجل تمويل الندوة والاستحواذ المسبق على نتائجها التي ستخرج بالتوصيات المطلوبة: ان كركوك المدينة العراقية ذات الخصوصية التركمانية لا بد ان تكون جزءا من مشروع كردستان الكبرى، فهي كما يطبلون في الفضائيات الكردوية (قدس الأكراد)!! فبارك الله بكم يا اخوتنا بالإيمان في (مركز كربلاء). ونقترح عليكم ان تستغلوا هذه المناسبة وتتعاقدوا بنفس الوقت على مستقبل كربلاء والنجف وامكانية ضمهما لمشروع كردستان الكبرى.. فنحن شيعة العراق قد كتب الله علينا ان نعتبر انفسنا اقلية هامشية مهما كانت نسبتنا الغالبة ومهما كانت حقيقتنا العراقية الأصيلة، ولا ينقصنا الآن الا ان نسلم زمام امورنا للقيادات الكردوية، بعد إن تعبنا من صدام وايران!!

ها انتم ايها الإسلاميون تخيبون املنا نحن العراقيين، بعد ان خاب املنا بالمعارضة التي فتك بها الشقاق والفساد والعمالة، وخاب املنا قبلها بدولتنا التي باعت الوطن والناس والكرامة والضمير وتخلت عن شمالنا من اجل عيون امريكا وللحفاظ على السلطة ولا زالت حتى الآن متواطئة مع القيادات الكردوية من خلال الصمت المطبق على طروحاتهم التعصبية التي تريد ان تمزق العراق، وخاب املنا بالمثقفين العراقيين الذين صار شعار غالبيتهم بالمقلوب: (دع السفن تسير بما تشتهي الريح).. فبمن نستجير يا الهي!!

بتول عبد الباقي النجفي - صحيفة القدس - 23 - 5 - 2001

ضابط كركولي يتحدث عن مجزرة كركوك 1959

عزيز قادر الصمانجي

"يمكنني أن أجزم بأن العلاقة بين التركمان والأكراد في المدينة كانت اعتيادية الى حد كبير حتى النصف الأول من الخمسينات ولم يعد للحقد التاريخي القديم أثر في النفوس، أو على الأقل لم يظهر بوضوح خلال التعامل اليومي، فلم تحدث أية حادثة ذات طابع سياسي أو تنافس قومي أو عرقي بين القوميتين خلال الحقبة، بل على العكس من ذلك تماماً، توثقت العلاقات عن طريق المصاهرة التي صارت واضحة وبينة وعلى نطاق واسع، وأن عدداً من الأسر والعوائل في حي إمام قاسم الذي تقطنه الأكثرية الكردية أصبحت مختلطة، أو عدد منهم بدلوا قوميتهم ليس تقرباً من مركز القوة وإنما انسجاماً مع المجتمع التركماني الودود الذي يشهد لهم بذلك كل من عاش في كركوك والمناطق التركمانية الأخرى سواء من العرب أو الأكراد أو الأشوريين أو الأرمن أو غيرهم. إذ لم يسجل التاريخ في هذه الحقبة أية حادثة عدائية تنم عن حقد تاريخي أو سياسي من قبل التركمان ضد أية فئة قومية أو طائفية من سكان المدينة.

وإن ما ينبغي الاشارة إليه هنا، أن ظهور بوادر تزايد سكاني للأكراد النازحين من القرى المجاورة إلى المدينة وإن أثار التساؤل والقلق في أوساط التركمان، حول الوضع الديموغرافي (السكاني) للمدينة والمناطق التركمانية الأخرى وما سينجم عن ذلك مستقبلاً، ولا سيما لجهة المصالح الاقتصادية والبنية الاجتماعية والسياسية والادارية، إلا أنه لم يبد رد فعل ما بحيث يعكر الأمن والاستقرار أو يخدش العلاقة بين التركمان والأكراد، سوى بادرة صدرت من أحد المحامين الأكراد يدعى نجاة خادم سجادة اعتبرت غير ودية، لفتت أنظار التركمان وزادت من قلقهم.. والحادثة باختصار هي ما يأتي:

في آب/ أغسطس من عام 1956 نشر الموما إليه، مقالة مطولة في إحدى الصحف العراقية (لا يحضرني اسمها) اتهم فيها التركمان بالعمالة الى تركيا بشكل سافر، ودلل على ادعائه، بوجود صور فوتوغرافية للسلاطين العثمانيين ومصطفى كمال أتاتورك في معظم المقاهي والمحلات والبيوت التركمانية... الى آخره من الاتهامات.

لا يمكن لأحد أن ينكر وجود مثل تلك الصور في بعض المقاهي أو المحلات أو البيوت الى جانب صور أخرى للشخصيات الإسلامية كالإمام علي، والحسين، كرموز دينية وتاريخية ومن باب الاعتزاز بالانتماء القومي والمذهبي، ولكن الأمر الذي استوجب الاستنكار، اتهام التركمان جميعاً بالعمالة بالاستناد الى مثل هذا الدليل غير المنطقي وغير السليم، حيث إن تعليق صور للشخصيات التاريخية أو الدينية لا يكون دليلاً للعمالة، إذ لا يتعدى مثل هذه الأمور نطاق الاعتزاز والتفاخر بالانتماء القومي والتاريخي.

على كل حال اعتبرت المقالة المذكورة أول بادرة غير ودية تجاه التركمان من قبل شخصية كردية، ولم تعتبر فردية تعبر عن وجهة نظر كاتب المقال الشخصية، وإنما اعتبرت بادرة خطيرة توحي بوجود نهج غير ودي عام، وبمثابة النار تحت الرماد.

كانت ثورة 14 تموز/ يوليو 1958 حدثاً مفاجئاً للتركمان بكل معنى الكلمة، تلقوا الحدث بذهول ودهشة، إذ لم يكونوا مستعدين للتعامل الفوري معها بسبب تخليهم عن ممارسة العمل السياسي وإيثارهم العزلة االسياسية واللامبالاة ازاء تطورات الأحداث العراقية، كما بينا فيما تقدم، وقد أعطى موقفهم هذا انطباعاً مفاده عدم الرضا أو العداء للثورة، أو هكذا كان اتهام الأطراف المنافسة لهم، وذلك تأسيساً على الخلفية التاريخية وبناءً على العلاقات بين الحكم الملكي وتركيا التي كانت تعد جيدة في ذلك الوقت، بسبب مشروع زواج المرحوم الملك فيصل الثاني من (فاضلة) وهي إحدى حفيدات السلطان العثماني، ومن جراء توجهات رجال السياسة العراقيين وتأثرهم بسياسة أتاتورك واقتدائهم بها.

إلا أن تطورات الأحداث ومفرزاتها لم تدع المجال الى المزيد من اللامبالاة والسلبية، لذا فقد نشطت القيادات التركمانية التي ظهرت من بين الشخصيات التركمانية المعروفة، فوجدت نفسها مجبرة على التحرك السريع والدؤوب لمواكبة تطورات الأحداث ومتغيراتها. فباشرت على الفور باتخاذ الخطوات الكفيلة لذلك، فسارعت إلى ارسال سيل من البرقيات التأبينية لعبد الكريم قاسم ورفاقه كما أرسلت وفوداً إلى بغداد للتهنئة والتبريك وإجراء مقابلات مع الزعيم عبد الكريم قاسم والمسؤولين الآخرين.

ولما اقترب موعد احياء الذكرى الأولى لقيام الثورة، نشطت تلك القيادات لإظهار أقصى درجة من الحماس والحرص على المشاركة الفعالة للتعبير عن الفرحة والتأييد المطلق للثورة.. وكان ذلك من جهة أخرى بمثابة التعبير عن العزم والتصميم على الخروج من العزلة السياسية وموقف اللامبالاة ازاء الأحداث العراقية. ولكن ذلك وللأسف الشديد لم يرح بعض الأطراف المنافسة والكارهة لهم من الشيوعيين والأكراد.

في الأسبوع الأخير من تشرين الأول / اكتوبر 1958، مر بكركوك المرحوم الملا مصطفى البرزاني، الذي أعاده عبد الكريم قاسم من منفاه الى الوطن مع اتباعه في الاتحاد السوفياتي. وحل ضيفاً في نادي الضباط بكركوك. وقد حضر لاستقباله أعداد كبيرة من الأكراد من القرى والنواحي والأقضية الشمالية، وفي أثناء ذلك أطلق المندسون الفوضويون هتافات استفزازية، منها ذلك الهتاف المشؤوم "كركوك مدينتنا اتركوها أيها التركمان" الذي لم يكن بالامكان هضمه أو السكوت عليه من قبل التركمان، الى جانب هتافات استفزازية أخرى مثل "يسقط الطورانيون، يسقط التركمان عملاء تركيا، عملاء شركة النفط، تسقط الرجعية.. الخ". لذلك ساد المدينة جوّ من التوتر الشديد.

وكان للشيوعيين دور ناشط في انفجار الأحداث، ولكن كأكراد، لا كشيوعيين. ولم تكن الأهداف التي سعى هؤلاء إلى تحقيقها أهدافاً شيوعية، بل كردية. وكانت شيوعيتهم، في معظم الحالات، شيوعية سطحية. ويبدو أن ما حدث، في الواقع، كان أن الأكراد طوّعوا كل المنظمات المساعدة للحزب الشيوعي لخدمة أغراضهم، أي لخدمة نزاعهم القاتل مع منافسيهم التركمان.

كان الشيوعيون والأكراد أكثر عدداً من الضباط القوميين العرب والتركمان وكذلك الجنود الأكراد بنسبة كبيرة، عدا ضباط الصف الذين كان القوميون فيهم أكثر، وكانت النسبة العددية من الضباط والمراتب متماثلة في جميع وحدات الفرقة تقريباً.

تولى قيادة الفرقة (المسؤولة عن حماية كركوك) وكالة العقيد أسعد بابان (الكردي) قبل التحاق العميد الركن داود الجنابي (الشيوعي) الذي جرى تعيينه قائداً للفرقة.

أصدرت الفرقة قائمة باسم (102) ضابط من القوميين العرب والتركمان من مختلف الرتب احالة إلى مديرية الادارة في بغداد، بذلك فرغت وحدات الفرقة من العنصرين تقريباً، عدا بعض الضباط الذين اعتبروا أقل تطرفاً أو نشاطاً ممن أحيلو إلى إمرة الادارة، ولحاجة الوحدات إليهم لادارة أعمالها وعلى أدنى مستوى. وعليه لقد حقق الشيوعيون والأكراد السيطرة الكاملة على جميع الوحدات وقيادة الفرقة في كركوك والحاميات الأخرى، وحيث أصبح جميع آمري الوحدات من الأكراد والشيوعيين وكذلك المناصب الهامة والحساسة في مقر الفرقة منهم: العقيد أسعد بابان وكيل القائد، والعقيد محمد علي كاظم الخفاجي (الشيوعي) مدير ادارة الفرقة، والعقيد عبد الرحمن القاضي (الكردي) آمر مدفعية الفرقة، والنقيب الركن نزهة القزاز (الكردي) ضابط استخبارات الفرقة، والرائد نشأت السنوي (كردي) آمر انضباط الفرقة، ومعاونه النقيب فخري كريم (الشيوعي المتطرف).

وكما سبق ونوهنا، بأن لجنة كركوك المحلية للحزب الشيوعي العراقي كانت تابعة لفرع كردستان، وهي في يد الكرد. وكان محور ادارة الأمور في المدينة يكاد يكون (معروف البرزنجي) المحامي سكرتير أنصار السلام، ورئيس البلدية، و(عوني يوسف)، رئيس محكمة الاستئناف، وهو عضو سابق مؤسس في الحزب الديموقراطي الكردي الموحد، وذو ماض ديموقراطي يميل للشيوعيين. ومعظم القضاة من الأكراد. ومدير الأمن كردي، ومعظم معاونيه من ضباط الأمن أكراد، و(مهدي حميد) رئيس المقاومة الشعبية عضو في الحزب الشيوعي العراقي.

بدأت عملية التنكيل والاضطهاد ضد التركمان، وقد تم خلال أيام اعتقال ما يقرب من ثلاثة آلاف تركماني في كركوك، شيوخاً وشباباً، رجالاً ونساءً بتهمة (الطورانية) التهمة التي أصبحت شائعة تلصق بكل تركماني قومي.

يقول مدير الشرطة (جاسم السعودي) في رسالته : "وفي حوالي الساعة السابعة، وعند وصول المسيرة إلى الجسر القديم في طريقها إلى جهة القلعة واجهت مظاهرة تركمانية، وتدخلت فاصلاً بين الطريفين. تقدمت المسيرة وأنا على رأسها (والكلام لمدير الشرطة)، ولدى دخولنا شارع الاستقلال رأيت طابوراً مؤلفاً من حوالي 60 جندياً يحملون الحبال ويسيرون بالاتجاه المعاكس. وبناءً لأوامري، حولهم رجال الشرطة إلى الشارع الجانبي لمديرية التربية. وعندما وصلت مقدمة المسيرة إلى أمام مقهى 14 تموز، الذي يتردد التركمان عليه، سمعت أصوات طلقات نارية. ولم يكن ممكناً تحديد هوية مطلق النار، ولكن

المتظاهرين هاجموا التركمان المتجمهرين أمام المقهى، وتبع ذلك شجار، استعملت فيه الحجار وعصي الرايات في البداية، ولكنه سرعان ما تطور إلى إطلاق الجنود ورجال المقاومة الشعبية النار. وقتل عشرون تركمانياً سحلت جثثهم في الشوارع... كان من بينهم الرئيس المتقاعد عطا خير الله، وعثمان الشايشي صاحب مقهى الرابع عشر من تموز، وابنه وابنان للمختار فؤاد عثمان. وبلغ عدد الجرحى 130 وإضافة إلى ذلك فقد نهب سبعون دكاناً ومقهى وكازينو. وكانت هذه الأعمال كلها من فعل الجنود ورجال المقاومة الشعبية. وكذلك، فقد هاجم رجال المقاومة الشعبية مركز شرطة الإمام قاسم واستولوا على أسلحة تخص المقاومة و18 بندقية للشرطة.. وعلمنا وقتها أن هذا الهجوم تم بمبادرة من مفوض الشرطة المتقاعد نوري ولي وجماعته".

وتم ايضاً تدمير بعض الأماكن (سينما العلمين، وسينما أطلس والقلعة) بمدافع الهاون والأسلحة المختلفة الأخرى.

وقد أسفر التحقيق في حوادث الأيام الثلاثة الشنيعة التي ارتكبت فيها أعمال القتل وسحل الأحياء بالحبال بعد ربطها خلف السيارات وتمزيق الجثث إلى نصفين، بإحالة المتهمين إلى المحاكم العرفية التي حكمت على (28) منهم بالاعدام، إلا أن (عبد الكريم قاسم) لم ينفذ حكم الاعدام بحقهم إنما أبقاهم في السجن، وبعد الاطاحة به تم تنفيذ الحكم في 22 حزيران من عام 1963 في عهد عبدالسلام عارف وحكم البعث الأول".

مقاطع من كتاب: التاريخ السياسي لتركمان العراق - عزيز قادر الصمانجي - ص 135 - 180 - دار الساقي - لندن 1999

الفصل الرابع

تاريخ وحقوق السريان*

* ساهم بتنسيق هذا الفصل وكتابة بعض مواضيعه الباحث السوري السرياني شمعون دنحو.

تاريخ السريان

دير مار اوكين السرياني، من القرن الخامس الميلادي، وهو يبعد عن مدينة القامشلي السورية بضعة كيلومترات فقط، وقد ضم الى تركيا بعد اتفاقية سايكس بيكو عام 1916.

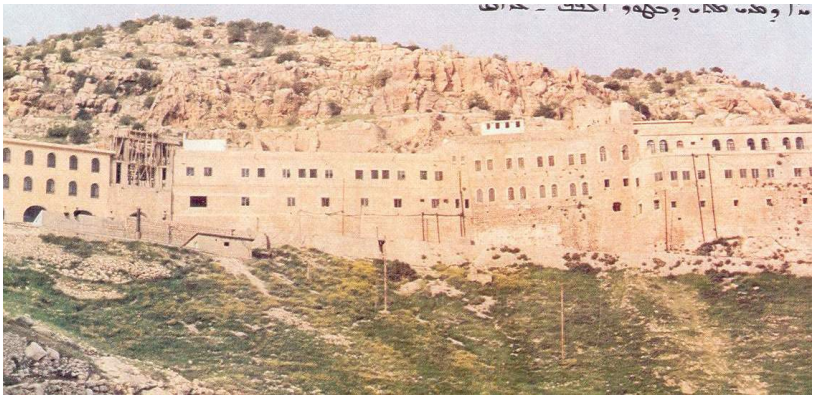

دير مار متى السرياني بالقرب من مدينة الموصل العراقية، من القرن الثالث الميلادي. هذا الدير يضم ضريح المؤرخ والمفريان السرياني الشهير ابن العبري (توفي عام 1286 م)، الذي عاصرغزوات المغول، وهو مؤلف كتاب "تاريخ مختصر الدول".

دير الربان هرمز قرب القوش في شمال العراق، من القرون الأولى للمسيحية . يتبع اليوم الكنيسة الكلدانية. هنا كان يقيم بطريرك الكنيسة السريانية النسطورية (الآشورية)، قبل انتقاله الى جبال هكاري في اعالي ما بين النهرين. هذا الدير (كذلك دير

مار متى) يسجل في صفحات تاريخه ذكريات مؤلمة ومريرة عن الغزوات الفارسية والكردية وخصوصا غزوات وحملات النهب والقتل التي قام بها كل من نادر شاه الفارسي، ومحمد باشا الكردي.

الحديث عن السريان يرتبط بالحديث عن تاريخ منطقة الهلال الخصيب التي تمتد من خليج البصرة حتى غزة عند حدود سيناء، وهي منطقة ما زالت لم تستقر على تسمية واحدة: "الهلال الخصيب، سوراقيا- سوريا العراق". وتنقسم هذه المنطقة إلى إقليمين متمايزين في بعض النواحي الجغرافية والتاريخية:

1- الإقليم الشرقي أي العراق (بلاد الرافدينMesopotamie).

2- الإقليم الغربي أي سوريا الطبيعية (بلاد الشام).

نحن نميل إلى تسمية عموم هذه المنطقة بـ (المشرق) تمييزاً لها عن باقي المناطق التي يتكون منها العالم العربي: منطقة المغرب، ومنطقة النيل، ومنطقة الجزيرة العربية. إذن يستوجب التأكيد هنا أن استخدامنا لمصطلح (المشرق) نعني به فقط بلدان الشام والعراق، ولا نقصد به أيضاً الجزيرة العربية ومصر كما هو شائع.

من المعروف أن (منطقة المشرق) هذه قد شكلت وحدة حضارية - سياسية منذ فجر التاريخ. ظلت الثقافة السامية - العربية بلهجاتها وأديانها وشعوبها المتنوعة هي السائدة حتى الآن. بالإضافة إلى أن هذه المنطقة استوعبت جميع الهجرات غير السامية التي استقرت فيها عبر الغزو والاحتلال أو الاستقرار السلمي وعلاقات الجوار أو جلب جموع الأسرى والمماليك العبيد والجواري: حيثيون، إيرانيون، حوريون، إغريق، رومان، أكراد، تركمان، مغول، صليبيون، سلاف، أفارقة، وأخيراً العثمانيون.

منذ الألف الأول قبل الميلاد بدأت تسود المنطقة لهجة سامية جديدة سميت بـ (الآرامية) نسبة إلى قبائل شمال الرافدين القاطنة في المناطق المرتفعة.

يعتقد أن اسم (الآراميين) هذا مشتق من (أور رمثا) أي الأرض المرتفعة. مثلما أطلق على سكان الصحراء وبادية الشام اسم (عرب) أي سكان (عربا أو غربا) وهي الصحراء التي تقع (غرب) الفرات ومنطقة (غروب) الشمس بالنسبة لسكان الرافدين.

مثلت اللغة الآرامية التقاء اللغة الأكدية العراقية (بلهجتيها البابلية والآشورية) مع الشامية الكنعانية. ثم إن الذي ساعد على انتشارها أنها تبنت الأبجدية الشامية الفينقية السهلة بدلاً من الكتابة الصورية السومرية المسمارية الصعبة، لهذا فإنها تمكنت أن تسود (المشرق) وأصبحت لغة الثقافة الأولى، وصار جميع سكان المنطقة يتسمون بالآراميين (مثلما فعلت اللغة العربية فيما بعد بتمثلها جميع اللغات والحضارات السامية السابقة وصار جميع الناطقين بها يتسمون عرباً). لقد فرضت اللغة الآرامية ثقافتها وأبجديتها الكنعانية (الفينيقية) حتى على الإمبراطوريات الإيرانية والإغريقية التي بدأت تنبثق بعد القرن الخامس قبل الميلاد. ثم إنها كانت لغة السيد المسيح والمسيحيين الأوائل، علماً ان اللغة العبرية تعتبر بالحقيقة لهجة آرامية.

بعد القرن الأول الميلادي تحولت منطقة الرها ونصيبين في شمال الرافدين (خاضعة حالياً لتركيا) إلى مركز ثقافي وروحي لنشر المسيحية. يبدو أن لهجة هذه المنطقة الآرامية تمكنت من فرض نفسها على اللغة الأم (مثلما تمكنت فيما بعد لهجة قريش أن تصبح هي اللغة العربية الفصحى بفضل القرآن والإسلام). إذن تمكنت لهجة الرها ونصيبين هذه من فرض نفسها وصارت تعرف بـ (اللغة السريانية). إن هذه التسمية اشتقت من (آشوريا) نسبة إلى الدولة الآشورية التي كانت سائدة سابقاً في المنطقة. وعندما أتى الإغريق أطلقوا على هذه اللغة تسمية (سريانيا) وكذلك أطلقوا على جميع منطقة المشرق تسمية (سوريا)، بما فيها القسم الشرقي منها الذي سمي أيضاً بـ (ميزوبوتاميا- بين النهرين أو الرافدين). علماً أن الدولة الآشورية قد سقطت عام 612 ق.م وكانت عاصمتهم نينوى (شمال الرافدين)، وهم لا يختلفون عن باقي العراقيين لا دينياً ولا لغوياً ولا عرقياً ولكن تسموا بالآشوريين نسبة إلى مدينتهم المقدسة (آشور) مقر (إله الثور المجنح) رمز القوة والخصب، وعاصمتهم (نينوى) وهي (الموصل) الحالية.

إن هذه اللغة السريانية قد حلت محل الآرامية وصارت اللغة الفصحى لجميع الكنائس المسيحية والمانوية البابلية في جميع منطقة المشرق من خليج البصرة حتى سيناء. بل إن هذه اللغة كانت أيضاً لغة القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية واستقرت في (الحيرة - أي الحارة) قرب الكوفة وامتزجت بالسكان الاصليين الناطقين بالآرامية، وفي الحضر وبصرى وتدمر، ثم إنها كانت لغة كنيسة نجران في جنوب الجزيرة العربية، وكذلك انتشرت في منطقة الخليج المعروفة بـ (البحرين) و(قطرايا) أي قطر الحالية. وتمكنت هذه اللغة أن تصبح لغة الثقافة الأولى في الأمبراطورية الإيرانية الساسانية ومنحت أبجديتها إلى اللغة البهلوية الإيرانية. إن الثقافة السريانية انتشرت مع النسطورية والمانوية البابلية في الكثير من مناطق آسيا حتى حدود الصين، ولازالت حتى الآن بقايا الطائفة النسطورية في الهند، ولازال مسيحيو الصين محتفظين بوثائقهم الدينية السريانية. لقد اشتق التركمان كتابتهم الأولى (الأغورية) من السريانية بفضل المبشرين المسيحيين والمانويين. ويعتقد أن السبب الأول لتعلق القبائل التركمانية و(المغولية) بالقدوم إلى منطقة المشرق وأرض الرافدين يرجع إلى علاقتهم القديمة وتأثرهم بالثقافة السريانية (النسطورية والمانوية)، وهذا أيضاً يفسر سهولة انتشار الإسلام فيما بعد بين تلك الشعوب. أما تأثير السريانية على العربية لغة وحضارة فأمر غني عن التعريف، يكفي القول أن لغة العرب وثقافتهم ما هي بالحقيقة إلا شكل جديد للغة والثقافة السريانية، مثلما كانت السريانية شكلاً جديداً للغة والثقافة الآرامية السامية. منذ القدم وقبل الفتح العربي الإسلامي كانت الآرامية ثم السريانية تضخ بمعارفها في القبائل العربية من خلال التجارة والامتزاج العرقي والحضاري بين العرب والسريان. أما بعد الفتح العربي لمنطقة المشرق، فإن الثقافة العربية بدأت تتخذ طابعها الحضاري العربي الإسلامي المعروف بفضل اعتناق الأغلبية الساحقة من السريان الإسلام وتبنيهم للعروبة، وبالتالي ضخهم في العربية جميع ماورثوه من حضارات أسلافهم السومريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والآراميين. حتى السريان الذين بقوا على المسيحية والصابئية والمانوية لعبوا دوراً كبيراً في نقل علوم الأسلاف وترجمة علوم الإغريق إلى العربية. من السريانية (النبطية) أيضاً اشتق الخط العربي وكذلك قواعد النحو العربي.

لقد أطلق العرب على السريان تسمية (النبط) أي الناس الذين (استنبطوا) الأرض واستقرو فيها، على خلاف تسمية (عرب) أي الناس الرحل المتنقلين. بعد الفتح العربي الإسلامي، أخذ السكان السريان يتخلون بالتدريج عن مسيحيتهم ويعتنقون الإسلام ويمتزجون بالقبائل العربية الفاتحة ويحملون أسماءها ويتبنون لغتها، خصوصاً أن القرابة العرقية واللغوية بين العرب والسريان لعبت دوراً أساسياً في تسهيل هذه العملية. وكانت عملية الأسلمة والتعريب تحدث أولاً في المدن والحواضر بينما بقيت معظم أرياف العراق والشام على (نبطيتها) حتى العصر العثماني. وشكلت المناطق المرتفعة وشبه الجبلية مانعاً طبيعياً أمام الإسلام والتعريب، فتحولت هذه الموانع إلى ملجأ للسريان والقبائل العربية المسيحية والشيعية والخارجية المتمردة على مراكز الخلافة في دمشق وبغداد، جبال لبنان والعلوية والدرزية وغيرها. لكن أكثر المناطق التي تمكن فيها السريان من الحفاظ على مسيحيتهم، هي منطقة (شمال الرافدين - أي الجزيرة) بسبب طبيعتها شبه الجبلية ومحاذاتها للمناطق الجبلية من كردستان وأرمينيا وطوروس (الأناضول). رغم انتشار العربية فإن السريانية (النبطية) بقيت نشيطة في المشرق حتى القرن الثالث عشر. وازدهرت خصوصاً في العصر العباسي، لكن شعلتها بدأت تنطفئ بعد الغزو المغولي للعراق والمشرق وسقوط بغداد، ثم قضي عليها تقريباً في الفترة العثمانية، رغم بقائها حية في بعض كنائس المشرق وكذلك في الكثير من مناطق الرافدين وبلدان الشام. وبدأت نهضة جديدة للثقافة السريانية في أواخر القرن الماضي، ومن معالمها صدور الصحف الناطقة بالسريانية والعربية، وبواكرها الأولى صحيفة (مرشد الآثوريين) وصدرت في الجزيرة عام 1908. ثم صحيفة (كوكب الشرق) عام 1910 في دياربكر للمناضل المعروف نعوم فائق. ولا زال الاهتمام بهذه اللغة ينمو ويجذب الكثير من المؤسسات الرسمية والعلمية العربية والأجنبية.

شمال بلاد النهرين (منطقة الجزيرة)

لقد كانت (الجزيرة - شمال الرافدين) منذ القدم مقطونة بالجماعات السامية الممتزجة طبعاً مثل كل سكان الرافدين بالكثير من الجماعات الآسيوية المجاورة والقادمة من القفقاس (منبع دجلة والفرات) وهضبة الأناضول وجبال زاغاروس الكردية والهضبة الإيرانية بل حتى من هضبة آسيا الوسطى التركستانية. وظلت نينوى (شمال العراق) طيلة القرون مركز شمال الرافدين ومقر السلالة الآشورية التي استمرت تنافس السلالة البابلية على حكم العراق. خلال القرون الأولى للإسلام ظلت هذه المنطقة بغالبية سريانية وعربية، قبل أن تصبح بغالبية كردية في القرون المتأخرة.

لقد قسم العرب منطقة "المشرق" إلى ثلاثة أقاليم متداخلة ومتغيرة التبعية والحدود حسب الظروف: إقليم (الشام)، ويضم عموماً جميع بلدان الشام الحالية. إقليم (السواد)، وهو الجزء الأسفل من الرافدين، ابتداءً من بغداد والأنبار حتى خليج البصرة. ثم أقليم (الجزيرة) ويضم جميع شمال الرافدين من تكريت وسامراء جنوباً حتى حدود جبال أرمينيا وطوروس شمالاً. يبدو أن تسمية (الجزيرة) هي تعريب لكلمة بين النهرين - ميزوبوتاميا (لأنها محاطة بدجلة والفرات. وكان يطلق عليه أحياناً (إقليم آقور أو آثور) وهو اللفظ العربي لـ "آشور" حسب ياقوت الحموي.

إن إقليم الجزيرة هذا كان يضم ثلاثة مناطق، سميت بحسب القبائل العربية التي فرضت سيطرتها على المنطقة منذ ما قبل الإسلام، والكثير من هؤلاء العرب اعتنقوا المسيحية ونطقوا السريانية: ديار ربيعة في الجزء الجنوبي وتشتمل على شمال العراق الحالي من تكريت وسامراء والأنبار حتى سنجار والموصل. ديار مضر في الوسط وتشتمل على الرها والرقة ورأس العين ومركزها حران، ثم ديار بكر التي تشتمل على ميافارقين وملطية وجزيرة ابن عمر ومركزها (آمد) ديار بكر. ظلت منطقة الجزيرة عموماً مرتبطة بدمشق في زمن الأمويين وكذلك في زمن العباسيين. كانت مدينة الموصل هي عاصمة الجزيرة في أغلب الأوقات.

وكانت هذه المنطقة مركزاً للثورات الشيعية والخارجية ضد الخلافة في دمشق وبغداد. وفي زمن آخر الخلفاء الأمويين مروان الثاني، انتقلت عاصمة الخلافة من دمشق إلى الجزيرة (مدينة حران المعروفة والتابعة لتركيا حالياً). وكانت الجزيرة أيضاً ساحة للمنافسة بين القيسيين وبني تغلب الذين أسسوا الدولة الحمدانية الشيعية في الموصل وحلب. ظلت هذه المنطقة ساحة للصراع بين الدول والإمارات المتنافسة في المنطقة: عباسيين وفاطميين وبويهيين وسلاجقة وأتابكة ومغول وتركمان وأكراد وإيرانيين وعثمانيين. خلال العصر العثماني، كان الجزء الجنوبي من الجزيرة "ديار ربيعة" الذي يشمل كل المحافظات الشمالية العراقية الحالية باسم "ولاية الموصل" جزءاً من العراق المقسم إلى ثلاث ولايات: بغداد والموصل والبصرة.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية، انقسمت منطقة الجزيرة إلى ثلاث مناطق تابعة كل منها لدولة:

- الجزء الجنوبي، أي ولاية الموصل (كل شمال العراق) وظلت كما كانت دائماً جزءاً من العراق.
- الجزء الوسط، أي محافظات الحسكة والرقة وأقسام من حلب وديرالزور، وقد تبعت سوريا.
- الجزء الشمالي، وهي مقطاعات ماردين وديار‌بكر والرها، ولقد اقتطعتها فرنسا من سوريا ومنحتها إلى تركيا بعد الحرب العالمية الأولى.

المتغيرات السكانية

إن منطقة الجزيرة هذه كانت منذ القدم عرضة لانسياح القبائل القاطنة في المناطق الجبلية المجاورة: جبال زاغاروس الكردية من الشرق وجبال أرمينيا وطوروس من الشمال.

الحقيقة أن بلاد الرافدين بأجمعها كانت على ممر التاريخ عرضة لانسياح القبائل القاطنة في المناطق الجبلية من الشرق والشمال. تاريخ سومر وبابل وآشور شهد مرات عديدة مثل هذه الحالات، حيث سيطر سكان الجبال لعدة قرون متقطعة على الرافدين: غوتيون، كوشيون، حوريون، حيثيون، ومختلف الأقوام الإيرانية، بالإضافة إلى الأقوام القادمة من تركستان في وسط آسيا. يعتقد علماء التاريخ أن بعضاً من هذه الأقوام الجبلية هم من أسلاف الأكراد الحاليين، ربما الكوشيون الذين كونو سلالة بابلية معروفة خلال أربعة قرون (1570- 1158 ق.م). كذلك (الحوريون - الميتانيون) الذين سيطروا على شمال الرافدين لأكثر من قرن بين (1300 - 1200 ق م). ولكن في جميع هذه الحالات كان هؤلاء الجبليون من أسلاف الأكراد والإيرانيين والتركمان

وغيرهم، رغم سيطرتهم السياسية، فإنهم سرعان ما كانوا يذوبون بسكان الرافدين والمشرق الأصليين ويتبنون اللغة والحضارة السامية السائدة. لقد استمرت هذه الاجتياحات (الجبلية والآسيوية) حتى بعد الإسلام والقرون الحديثة، فكانت انسياحات شعوب الهضبة الإيرانية وأكراد جبال زاغاروس ثم أتراك ومغول آسيا الوسطى وصولاً إلى العثمانيين الذين سيطروا على المنطقة حتى الحرب العالمية الأولى.

إن منطقة الجزيرة (شمال الرافدين)، قد تعرضت أكثر من الجزء الجنوبي لانسياح القبائل الرعوية. يعود هذا الأمر إلى أن هذه المنطقة محاطة بالجبال من جانبين، من الشرق حيث جبال زغاروس الكردية والأذربيجانية، ومن الشمال حيث جبال أرمينيا وطوروس الأناضول. بالإضافة إلى منابع دجلة والفرات والأنهار التي تصب فيها تأتي من هذه الجبال، وهذا الأمر ساعد دوماً قبائل الرعاة الجبلية على الانحدار السهل نحو مراعي وادي الرافدين وأراضيه الخصبة. لقد أدرك العرب (الأمويون والعباسيون) خطورة هذه المنطقة الجبلية على أمن الرافدين، لذلك جعلوها إقليماً مستقلاً ولكن تابعاً للعراق باسم (إقليم الجبال - أو العراق الأعجمي).

إن العنصر الكردي (كذلك اللور وبختيار) القاطن في هذه الجبال هو جغرافياً وحضارياً أقرب العناصر الجبلية لبلاد الرافدين، لهذا فإن الاكراد وأسلافهم شكلوا على مر التاريخ جزءاً فعالاً من سكان الرافدين، وامتزجت دماء الاكراد وأسلافهم بدماء أهل الرافدين عبر آلاف الأعوام من الجوار والغزو والعيش المشترك. بعد الفتح العربي الإسلامي ودخول الأكراد في الإسلام وتبعيتهم السياسية للخلافة العربية في دمشق وبغداد، فإن هذا الامتزاج العرقي والثقافي تنامت قوته وتوسعت مجالاته حتى صار من الصعب التفريق بين تاريخ الأكراد الحضاري وتكوينهم القومي عما هو عليه في بلاد الرافدين، خصوصاً بالنسبة للمناطق الكردية المجاورة للرافدين، وبالذات الجزئان اللذان يشكلان حالياً ما يسمى بـ (كردستان العراق وكردستان تركيا). بل يمكن الافتراض بناءً على قراءة التاريخ، أن جزءاً كبيراً من دماء أهل الرافدين الحاليين بما فيهم العرب والسريان، تحمل نسبة كبيرة من الدماء الكردية، ونفس الشيء ينطبق على الأكراد.

الجزيرة السورية ما بين الحقيقة والتطرف*

يحاول البعض من غلاة الاكراد حشر وضم منطقة شمال شرق سوريا (منطقة الجزيرة)، ضمن خارطة كردستان، ويسمون هذه المنطقة بـ (كردستان الغربية) اسوة بشمال العراق الذي سمي من قبل البعض الاخر بـ (كردستان الجنوبية). والمتابع لوسائل الاعلام الكردية اضافة الى شبكة الانترنيت سيلاحظ مدى التشويه والتزوير الذي يلحقه هؤلاء الاكراد بتاريخ الجزء الشمالي السوري الذي يعتبرونه "مقتطعا" من (كردستان المقسمة)؟!! أي بمعنى اخر، ان الاعلام الكردي وبعض المثقفين الاكراد يصورون سوريا وكأنها دولة "اغتصبت" جزءاً مهما من ارض الاكراد "كردستان"؟؟!!

ومن المعلوم ان توسيع خارطة كرستان لتبتلع مناطق سورية لا يخدم الاكراد وقضيتهم بتاتا، بل يزيدها تعقيداً، ويسيء الى مصداقية الحركة التحررية الكردية في كردستان الحقيقية الواقعة شرق العراق داخل دولة ايران الحالية يضاف اليها منطقة السليمانية الكردية التي ضمت الى العراق عن طريق صفقة غير عادلة! وللعلم أيضاً، ان النخب السورية المثقفة تؤيد الاكراد وقضاياهم بقدر ما تبتعد طروحات ومطالب الاكراد عن الغلو والتطرف. ولهذا نقول ان ما يطرح ويتردد في وسائل الاعلام الكردية تحت شعار (كردستان الغربية او كردستان سوريا)، يعتبر محل خلاف مع كل السوريين وطبقاتهم المثقفة... وهذا الطرح المتطرف (كردستان سوريا) والذي تفوح منه رائحة الطمع والاغتصاب والظلم..، ربما سيجلب الضرر والضمار لكل أبناء البلد (كما حدث ويحدث الان ما بين العراقيين والاكراد في شمال العراق)، في وقت نحن فيه بأمس الحاجة للحمة الوطنية وبالتالي تجنب مثل هذه الطروحات والشعارات الرنانة التي لا تخدم أحدا وتضر بمصلحة الوطن وسكانه بمختلف صورهم واديانهم ولغاتهم ومن ضمنهم الأشقاء الاكراد. وتوضيحاً للحقيقة الغائبة، والمعتم عليها، علينا تسليط الضوء على المنطقة التي تعرف تاريخيا بـ (إقليم الجزيرة)، وهي مصدر الخلاف والنزاع الجاري ما بين الحركات والاحزاب الكردية من جهة، ودول المنطقة: سوريا والعراق وتركيا من جهة أخرى.

اقليم الجزيرة

يقع اقليم الجزيرة التاريخي الذي يطمح الاكراد الي تأسيس دولتهم عليه (كردستان)، ما بين نهري دجلة والفرات، وهو حاليا موزع ما بين تركيا والعراق وسوريا، والجزيرة تشكل الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين المعروفة في المصادر الاغريقية بـ (ميسوبوتاميا)، وعرفت في العهد العربي بـ (الجزيرة) وايضا باقليم (آشور). وهنا قامت الحضارة الاشورية/الارامية وبعدها الحضارة العربية الاسلامية. وما زالت أغلبية مدن اقليم الجزيرة تحمل أسماء سريانية تعبر عن هويتها الوطنية (العراقية والسورية). ويندر ان تتواجد مدينة واحدة في الجزيرة تحمل اسماً كرديا، لأن الاكراد هم اخر من قطن بعض

* كتب هذا الموضوع شمعون دنحو، وسبق ان نشر على شكل مقالتين منفصلتين في بعض الصحف العربية والسريانية.

هذه المناطق. ونذكر من اشهر مدن إقليم الجزيرة، في العراق: الموصل (نينوي)، اربيل، نوهدرا (دهوك)، زاخو وكركوك... وفي تركيا: الرها (اورفا)، آمد (ديار بكر)، ماردين، حران، سعرت، ميافارقين ونصيبين... وفي سوريا: نصيبين الجديدة (القامشلي)، ريش عينو او ريش عينا (رأس العين)، دير الزور والرقا. اثر اتفاقية (سايكس بيكو 1916) سلخت مناطق مهمة من الجزيرة العليا العراقية مع لواء اسكندرونة السوري وضمت الي تركيا. اشتهرت هذه المنطقة بمدارسها واكاديمياتها السريانية العلمية مثل جامعة (نصيبين) و (الرها) و(ريش عينو)، حيث شكلت حلقة وصل ما بين الحضارة الاسلامية والغرب.

ويذكر المؤرخون ان العرب قد سكنوا اقليم الجزيرة قبل الاكراد بعكس ما تروج له بعض الاوساط الكردية! فمثلاً، مدينة حران الشهيرة في الجزيرة العليا كانت مقر قبائل بني تغلب، ومن اشهر رجالها (غياث بن غوث) والمعروف في المصادر العربية بالاخطل الشاعر الذائع الصيت (710 م). وكان هناك في مدينة (تل موزل – تركيا) وتدعي اليوم (ويران شهر) ديرا من القرن الخامس الميلادي يدعى (دير العرب). اما المنطقة المحصورة ما بين نصيبين والموصل فتدعي في المصادر السريانية بمنطقة (باعربايا)، اي ما ترجمته (منطقة العرب). وتحكي لنا مصادر كنيسة المشرق السريانية، عن أسماء المطرانة الذين عينوا لادارة ابرشية القبائل العربية في برية نصيبين قبل دخول هؤلاء في الديانة الاسلامية. وقد كتبت الرحالة البريطانية الليدي آن بلنت التي زارت الجزيرة السورية عام 1878م بان هذه المنطقة يحكمها شيوخ القبائل وعلي رأسهم عشيرة الشمر.

ومن المهم أن نذكر أيضاً، أن اقليم الجزيرة ظل حتي فترات متأخرة مرورا الى عام الابادة *1915 (سيفو)، مقطونا باغلبية سريانية (سورية عراقية)، وخاصة في جبال طورعبدين وهكاري وماردين وامد وضواحي نصيبين "داخل الحدود السورية الحالية" ونوهدرا وريف اربيل وسهل الموصل...، الي جانب تجمعات مهمة للارمن والعرب واليزيد والتركمان ومؤخراً الاكراد الذين قطنوا بعض المدن الرئيسية بعد ازاحة السريان والارمن عنها...

حملات التكريد

ان حملات تيمورلنك الشرسة (1336 – 1405) كانت نهاية الفصل الاول من فصول حملات الابادة التي استهدفت السريان (الكلدوآشوريون) في اقليم الجزيرة، بعد ان عاش هؤلاء في استقرار مقبول في ظل الخلافة العربية الاسلامية. ومنذ معركة جالديران (23 آب 1514) التي وقعت احداثها في تركيا الحالية حيث انتصر الاتراك علي الفرس، بدا الفصل الثاني لمعاناة السريان، اذ اعتبر العثمانيون الاكراد حلفاءهم في نزاعهم ضد الفرس لاعتبارات دينية لسنا بصدد سردها هنا. وكان السلطان العثماني سليم الاول (1512 - 1520). يفضل الاكراد علي غيرهم من الاقوام في امبراطوريته الواسعة الاطراف، وقام بتوطينهم علي الشريط الحدودي ما بين الدولتين الفارسية والعثمانية، اي في الشمال الشرقي للعراق الحالي وارمينيا التركية. ومن نتائج هذا التحالف (العثماني - الكردي).

اولا: والقول هنا للباحث العراقي هرمز ابونا: (نزوح أعداد هائلة من القبائل الكردية من ايران الي بلاد آشور والجزيرة العليا حيث لدينا سجلات تبين أسماء هذه القبائل والمناطق التي نزحت منها في ايران وتلك التي استقرت فيها). ولعل من اشهر هذه العشائر الكردية الايرانية التي نزحت الي العراق نذكر اسرة البارزاني المعروفة (المصدر: معجم الشرق الاوسط ص 69). وتعد العشيرة الكردية (الهركية) - وايضاً عشيرة الشكاك- من العشائر المهمة التي لعبت دورا كبيرا في ازاحة السريان واليزيد والتركمان عن قراهم ومدنهم التي كانت منتشرة بكثافة ما بين منطقة (اورميا) في شمال غرب ايران وحتي الموصل في العراق. وكان العثمانيون عاجزين عن وضع حد لسطوة واعتداءات تلك العشيرة (وغيرها) علي السكان المحليين بحكم شراستها وتحصنها في الجبال المنيعة؟! والغريب ان هناك مجموعات كردية كبيرة قد نزحت من كردستان (بلاد فارس) باتجاه بلاد ما بين النهرين هربا من جبروت وظلم وتعسف قبيلتي الشيكاك والهركية!؟

---

* من غرائب التاريخ ان التيار العلماني الغربي التركي هو الذي قضى على الوجود المسيحي في تركيا وحولها الى مسلمة 100% بينما الدولة العثمانية المسلمة كانت تتعايش تماما مع الطوائف الغير مسلمة بحيث ان الوجود المسيحي في اسطنبول كان يتجاوز الوجود المسلم!! والسبب يعود الى هيمنة الصهيونية على التيار القومي التركي لمحاربة الوجود المسيحي في الشرق!.

ثانياً: قيام امارة كردية صغيرة (امارة بوتان) تابعة للعثمانيين، كان مقرها في مدينة (جزيرة ابن عمر) الواقعة في قلب موطن السريان "الجزيرة" او ما يعرف اليوم بـ (المثلث العراقي السوري التركي)، وتحت اقدام جبل جودي. والامير بدرخان بك الذي تسلم قيادة هذه الامارة سنة 1821، يعتبر من أشهر امراءها، وهو الذي قام عام 1843، بشن حملات دموية شرسة وفظيعة لاخضاع القبائل السريانية (الكلدوآشورية) المستقلة في جبال (هكاري وطورعبدين)، واتباع الديانة اليزيدية المنتشرين علي طول وعرض ارض الجزيرة وخاصة في سهول نينوي العراقية. والمذابح المروعة التي قام بها بدرخان ما بين اعوام (1843 - 1846) ساهمت بتغيير الخارطة الاثنية والدينية وحتى اللغوية للمنطقة لصالح الاكراد علي حساب الاقوام الاخرى بعد ازاحتهم عن مناطقهم التاريخية او تكريدهم. وقد دون عالم الاثار الانكليزي الذائع الصيت (هنري لايارد) الذي عاين بأم عينيه مسرح الاحداث، تفاصيل المذابح الفظيعة والدموية التي قام بها بدرخان وأعوانه، وقد نشرها في كتابه الذي طبع لاول مرة في لندن عام 1849. تحت عنوان (نينوي وبقاياها). ويذكر لايارد بان (بدرخان) قام بابادة الالاف من السكان العزل من السريان النساطرة، واتباع اليزيدية. وقد كتب ايضا عن معاناة السريان ومذابحهم المبشر الانكليزي وليم ويكرام في كتابه (حليفنا الصغير 1920)، الخ. الابادة التي ابتدأها بدرخان عام 1843 لم تتوقف من بعده الا عام 1937.

ومن المعروف ان حملات بدرخان لم تكن بتحريض عثماني مباشر، فحالما اعلن عن مشروعه باقامة دولة (كردستان) ابتدأ اولا بالقضاء علي تجمعات السكان المحليين من السريان (الكلدوآشوريون) واليزيد في اقليميي هكاري وطور عبدين وباقي اطراف الجزيرة؟!! ومن المهم ذكره، ان رغبة بدرخان بالقضاء على السريان تطابقت وتزامنت مع رغبة السلطان العثماني بتصفية القبائل السريانية النسطورية التي كانت قد اعلنت تمردها عليه اكثر من مرة. فحالما انتهي بدرخان من حملاته التي استهدفت الابرياء، شن العثمانيون عليه حملة شرسة وقاسية اثر تمرده عليهم، وتم القضاء علي عنجهيته وظلمه. اما ماذا كان عقاب (بدرخان)؟ فاكتفي العثمانيون بنفيه خارج تركيا، لا لكونه اباد السريان بل لأنه تمرد على سلطة الباب العالي؟؟!! هكذا كان عقاب الطاغية على اول ابادة وعملية تطهير عرقي ترتكب في التاريخ الحديث!! اما بدرخان فيتحول عند بعض الغلاة من الاكراد الي رمز من رموز الحركة الكردية المعاصرة!!

اما الفصل الثالث (والاخير في الجزيرة التركية) من حملات الابادة والتطهير العرقي فكان اثر اعلان تركيا قرارها بابادة الارمن علي اراضيها في (24 نيسان (ابريل 1914)، وطرد السريان والارمن من وطنهم في العام التالي (1915)، في ابشع واطول حملات تطهير عرقي يشهدها التاريخ الحديث، وقع ضحية التطرف الديني والقومي مليون ارمني ونصف مليون من السريان (الكلدو آشوريون)، في حقبة يتفق فيها اغلبية المؤرخين والمستشرقين والرحالة ان عدد الاكراد في ذاك الزمان لم يتجاوز الثلاثة ملايين نسمة في كل بلاد فارس واراضي الامبراطوريتين العثمانية والروسية!

الجزيرة السورية أم كردستان الغربية ؟

بالنسبة للقسم السوري من الجزيرة، والتي يدعي الاكراد بانها قسم من (كردستان المقسمة او كردستان الغربية او كردستان سوريا)، فهي ارض سورية (آشورية ارامية وعربية)، وهي امتداد طبيعي وحضاري للجزيرة العليا التي ضمت الى تركيا اثر تآمر دولي. وكل المكتشفات الاثرية وكتب التاريخ تدل علي ذلك. فمثلاً، كان تل ليلان الواقع بالقرب من مدينة القامشلي، عاصمة للدولة الاشورية في عهد الملك شمشي حدد (1750ق.م) وتل براك كان عاصمة الملك الشهير نارم سين. اما ما بعد الميلاد، فمعروف تاريخ مدينة (نصيبين) الشهيرة عاصمة الثقافة والادب وهي التي انجبت للعالم النابغة السرياني وعالم الرياضيات الذائع الصيت في الغرب والشرق ساويرا سابوخت 667 م ومن مدينة (رأس العين)، التي ترجمت تسميتها عن السريانية (ريش اينا)، اشتهر رئيس الاطباء والكاتب السرياني (سرجيس دريش اينا 536 م). ومدينة ديرالزور الواقعة علي نهر الفرات كانت بالاصل ديرا للرهبان السريان، وتسميتها سريانية وتعني (الدير الصغير). وهناك في محافظتي الحسكة وديرالزور العشرات من التلال والاثار المتناثرة التي كلما حفرنا فيها تأكد لنا تاريخها السوري "السرياني"، وعلي رغم وجود

كميات هائلة من الوثائق والكتب والآثار الموزعة في سوريا واغلبية متاحف ومكتبات العالم الدالة والشاهدة علي تاريخ المنطقة السوري الرافدي، نلاحظ ان اخوتنا الاكراد يتجاهلون هذا، ويعتبرون هذه الارض (كردية) وجزءاً مهماً من (كردستانهم)؟!

ومن المؤكد اليوم ان العرب والسريان والارمـــن يشكلون الاغلبية في الجزيرة السورية، اما الاكراد فهم يسكنون في تجمعات مهمة في مدن: المالكية والدرباسية وعامودا بعد تكريد هذه الاخيرة! اضافة الى اطراف مدينة القامشلي ويشكلون (اي الاكراد) على ابعد تقدير 25 الي 30% من مجموع سكان الجزيرة السورية، ويعود تواجدهم في منطقة الجزيرة السورية الي عام 1925 اثر فشل ثورة الشيخ الكردي سعيد النقشبندي في تركيا.

القامشلي أم نصيبين* الجديدة!

من أشهر مدن السريان هي (نصيبين) التاريخية المعروفة بدورها الحضاري السرياني المسيحي الشهير الذي امتد حتى العصر العباسي، وفيها أيضاً قبر القديس مار يعقوب النصيبي (توفي عام 338م)، الذي اقترن اسمه بالدفاع عن المسيحية والتصدي للفرس إثر اجتياحهم للمنطقة. واشتهرت هذه المدينة بمدارسها العلمية السريانية واليونانية التي امتد تأثيرها حتى العصر العباسي عندما قدمت (مع مدينة الرها المجاورة) الكثير من المبدعين السريان (صابئة ومسيحيين) مثل (ثابت بن قرا) و(مار افرام السرياني). لكن للأسف أن هذه المدينة العريقة قد منحها الفرنسيون لتركيا بعد رسم الحدود إثر اتفاقية سايكس بيكو (1916/5/16). إن سكان هذه المدينة خوفاً من مذابح المتعصبين الأكراد المحميين من تركيا قد اجتازوا الحدود التركية نحو أشقائهم السوريين وقطنوا مدينة (القامشلي) التي لا تبعد عن (نصيبين) غير بضعة أمتار فقط. . نعم فقط على مبعدة بضعة أمتار وليس كيلومترات تقع مدينة القامشلي السورية السريانية. هكذا شاءت يد القدر أو قل الخيانة أن تقسم تلك المدينة العريقة إلى قسمين، تاريخي تبع الأتراك بعد أن أصبحت مدينة كردية خالصة، وقسم حديث بقي في سوريا. لكن الخطأ الذي وقع فيه الأولون أنهم قد أطلقوا تسمية القامشلي على المنطقة الجديدة. وكان من الأصح الحفاظ على تسمية ((نصيبين الجديدة)) وعدم التخلي عن هذا الاسم العريق وحتى المقدس حيث ارتبط به تاريخ المسيحية السورية وحضارة السريان. والكثيرون يتذكرون ان املاك واراضي وقرى الكنيسة السريانية في نصيبين التاريخية كانت تمتد الى داخل حدود الاراضي السورية الحالية. ونستغل هذه المناسبة لكي ندعوا المسؤولين الرسميين والدينيين في سوريا إلى التفكير الجدي من أجل اتخاذ القرار التاريخي بإعادة تسمية ((نصيبين الجديدة)) بدلاً من القامشلي.

بعد ضم نصيبين التاريخية إلى تركيا انتقلت مطرانية السريان إلى مدينة الحسكة السورية الواقعة أيضاً في منطقة الجزيرة عام 1933 وسميت بأبرشية الجزيرة والفرات. وهنالك مدن ومناطق عديدة في الجزيرة السورية، عريقة بتاريخها السرياني مثل (ريش عينو او ريش اينا - رأس العين)، و(الرقا) و(عين ديوار) وتل دارا قرب مدينة المالكية الحالية، وبارا بيت و(قصرو) التي لازالت فيها حتى الآن الكتابات الآثارية السريانية التي ثبتت قدمها وعراقتها وسوريتها..

إن الأطراف القومية الكردوية من أجل تبرير ادعاناتها بكردستانية الجزيرة السورية تشيع بأن السريان قد قدموا إلى المنطقة بعد أعوام 1918 - 1919 أي بعد المذابح التي تعرضوا لها على أيدي الأكراد والأتراك! صحيح أنه قد هرب الكثير من سريان الجزيرة التركية (طورعبدين وهكاري) نحو شمال سوريا وشمال العراق، لكن هذا لا ينفي أبداً حقيقة أن الجزيرة السورية ظلت مقطونة بالسريان منذ آلاف السنين. وقد تعود السريان خلال قرون الاضطهاد وغزوات المغول والتتر ومن ثم الأكراد والاتراك، أن يلجؤوا إلى مناطق أشقائهم الأكثر أمناً.

وقد أعاد السريان بناء بعض هذه القرى مرة أخرى بعد أن رحلوا عنها قبل العشرينات من القرن الماضي. لقد اكتشفت البعثة الأثرية التابعة لجامعة سانت لويس في أمريكا في عام 1997 ديرا قديماً في تل تنينير على نهر الخابور، لا زالت فيه الكتابات السريانية. وقد بقي هذا الدير مسكوناً بالرهبان السريان السوريين حتى عام (1401م)، أي حتى اجتياح تيمورلنك

* نصيبين، تسمية سريانية وتعني الغرسة او النبتة.

المنطقة الذي قام بحرق الدير والقرى المحيطة به. وهناك فكرة إعادة ترميم الكنيسة والدير لتبقى شاهداً إلى جانب الآثار الآشورية الآرامية الأخرى على قدم تواجد السريان في الجزيرة. ثم إن الجزيرة السورية الحالية إلى جانب الجزيرة العليا والتي تقع حالياً في جنوب شرق تركيا بعد اغتصابها من قبل الأتراك كانت وما زالت مسكونة من السريان السوريين التابعين كنسياً إلى عاصمتها أنطاكيا السورية الشهيرة التي أيضاً اغتصبتها تركيا مع لواء الإسكندرونة.

النزوح الكردي نحو الجزيرة السورية

رغم عمليات الاضطهاد والتكريد المستمرة للسريان حتى أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين فقد ظلوا يشلكون غالبية سكان الجزيرة السورية. وحسب مصادر مختلفة ومنها وثيقة لجنة الدفاع عن الجزيرة بلغ عدد سكان الجزيرة السورية في الأربعينات مئة وخمسين ألفاً نصفهم من السريان الذين سكنوا المدن بشكل تجمعات كبيرة مشكلين أغلبية فيها. أما باقي السكان فكانوا من العرب والأكراد والأرمن. لازالت هنالك قرى سريانية عديدة كانت تتبع سابقاً أبرشية نصيبين او ازخ، مثل قرى ليلان وتل أريون وبرا بيت وتل دارا وتل خاتون وكرشامو بيازا وقصرو وغيرها من القرى السريانية.

منذ أعوام العشرينات والثلاثينات بدأت الموازين السكانية تميل نحو التكريد بعد موجات الهجرة الكردية القادمة من الجزيرة التركية بعد فشل التمرد الكردي بزعامة الشيخ سعيد عام 1925. بتشجيع من الفرنسيين الذين كانوا ناقمين على السريان لرفضهم اعتناق الكاثوليكية وبقاء معظمهم على مذهبهم السرياني السوري (اليعقوبي)، قام الأكراد بتشكيل عصابات كان شاغلها مهاجمة السريان المسيحيين في قراهم ونهب ممتلكاتهم بغية ترويعهم وتهجيرهم. لهذا فإن الكثير من السريان اضطروا إلى الهرب مرة أخرى بسبب تهديدات الأكراد الجدد، نحو مختلف المناطق في الشام ولبنان ونحو الخارج. بعد تفاقم أعمال السلب والقتل والتخريب اضطر الفرنسيون في 5 آب سنة 1926 إلى التدخل لوقف مثل هذه الأعمال التي بدأت تخرج عن سيطرتهم. ويذكر المؤرخون نموذجاً سكان قرية (حلوا) التي تبعد عن القامشلي ثلاثين كيلومتراً والتي تعرض سكانها للقتل والتشريد في هذه الحقبة. ومن أشهر أبناء هذه القرية المطران إيشوع صاموئيل الذي اكتشف مخطوطات دير قمران (البحر الميت) الشهيرة في فلسطين.

حادثة عامودا ودورها في طرد السريان من الجزيرة!

عامودا هي ناحية صغيرة يقدر عدد سكانها حالياً بحواي 70 ألف نسمة غالبيتهم من الأكراد بعد طرد سكانها السريان، وتكثر القرى العربية بالقرب منها. تقع الناحية في شمال شرق سوريا نحو ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من مدينة القامشلي. وعامودا منطقة غنية بالمياه الجوفية. وكان عدد سكانها (عدا قراها) في الثلاثينات سبعة آلاف نسمة، وفي الخمسينات أصبح 15 ألف نسمة، أغلبهم من السريان بطوائفهم المختلفة. يلاحظ أن هنالك تشابهاً كبيراً بين عامودا والقامشلي، لأن هذه المدينة أيضاً قد حلت محل مدينة أخرى هي (ماردين) السورية التي استولت عليها تركيا وسلمتها للأكراد بعد طرد العرب والسريان منها.

تكمن أهمية مجزرة مدينة (عامودا)* التي جرت في عام 1937، ليس في عدد ضحاياها بل بحجم الرعب الذي سببته للسريان. لقد قتل في هذه الحادثة العشرات من السريان السوريين على أيدي الأكراد. وكانت كالضربة القاضية لتواجد السريان في تلك البقعة وخطوة أخرى في طريق إفراغ الجزيرة السورية من السريان، بعد إفراغ القسم التركي، وبالتالي تكريد المنطقة والتمهيد لضم الجزيرة إلى مشروع (كردستان الكبرى). بعد تلك المذبحة التي جرت في عامودا تأكد للسريان بأن الحكومة الوطنية في دمشق وقوات الانتداب الفرنسي عاجزون عن حمايتهم من هجمات الأكراد. ولهذا نرى نزوح الآلاف من سريان

* نشرت الجريدة اليومية السويدية (افتون بلاديت) في عددها (216) الصادر عام 1937 م، خبرا مطولا ومفصلا حول المذبحة التي استهدفت السريان في عامودا السورية. وأيضاً، يمكن العودة الى مجلة (الجامعة السريانية)، التي كان يصدرها الاديب السرياني الشهير فريد الياس نزها.

الجزيرة مع القوات الفرنسية إثر انسحابها من سوريا. وما زال الكثير من هؤلاء وأحفادهم متواجدين في مرسيليا وليون وباريس وبقاع اخرى من العالم.

عن حادثة عامودا هذه جاء في وثيقة القضية السورية، (1936 - 1937 الحقيقة عن حوادث الجزيرة. اللجنة العامة للدفاع عن الجزيرة العليا) ما يلي: ((رأى مسيحيوا عامودا "السريان" أنهم مهددون من جانب الأكراد، مع أنهم كانوا قد وقعوا مع الوطنيين برقيات يعلنون فيها ولاءهم لحكومة دمشق. ووقعت على الأثر عدة مناوشات كان من نتائجها أن هربت خمسون عائلة مسيحية إلى القامشلي والحسجة، منذ 26 تموز سنة 1937 . خوفاً من توالي الاعتداءات عليها. وإزاء هذه الوضعية نظمت السلطة المنتدبة في عامودا، يوم 28 تموز، مناورة عسكرية كان القصد منها، على ما يلوح، وضع حد لحماسة البعض، وتهدئة مخاوف البعض الآخر. وفي اليوم التالي نظم أكراد عامودا بدورهم مناورة أخرى تقلدوا فيها ثياب الجيش الفرنسي، بقصد إرهاب السكان... وفي 8 آب1937 عاد بعض الأكراد في القطار، فعقدوا عدة اجتماعات في منزل زعيمهم سعيد آغا. وفي صباح اليوم التالي هاجموا المسيحيين بالرصاص في حيهم، بينما كان سكان القرى الكردية المحيطة بعامودا يسدون الطرقات في وجه الهاربين، ويمنعون الانتقال عليها ذهاباً وإياباً، ويوقفون السيارات فيسلبون ركابها..)). في 10 آب هجم الأكراد بقيادة سعيد آغا الكردي* زعيم عشائر المرسينية على عامودا وسلبوا ونهبوا المحلات التي يملكها المسيحيون. وعندما انتهى الهجوم وجد ما بين الخرائب 15 جثة. أما المهاجمون فقد تراجعوا عندما تدخلت القوات الفرنسية التي أعادت النظام لمنطقة عامودا. وكان الأكراد قد أسروا ثلاثة من المسيحيين منذ بدء الهجوم واحتفظوا بهم كرهائن. ولكنهم عادوا فذبحوهم بصورة وحشية وشوهوا أجسادهم ثم رموها طعماً للنار.

لقول الحق فإن الأكراد مثل كل الجماعات البشرية لم يكن كلهم ضالعين بمثل هذه الجرائم، بل هنالك دائماً حتى بين الأغوات من قام بالدفاع المستميت عن السريان وحفظ أملاكهم وأعراضهم. ومن هذه الأسماء الطيبة الذكر في حادثة عامودا: الأغوات عبدي آغا ونواف آغا وأحمد آغا، الذين أنقذوا حياة الكثير من السريان. لكن للأسف إن مثل هذه المواقف الإنسانية الشريفة لم تستطع أن توقف مسلسل الرعب الذي عاشه السريان والذي أدى بالتالي إلى هجرتهم وتكريد بعض مناطقهم.

فالأكراد (ونقصد المتطرفين منهم وليس كلهم)، لم يكتفوا بعد مذبحة عامودا، إذ اجتمع بعض زعماء عشائرهم بعد الحادثة لحبك مؤامرة جديدة (فاشلة) غايتها القضاء على سريان الجزيرة السورية. حاول المجتمعون هذه المرة إقناع العشائر العربية بالمشاركة في إبادة السريان إلا أنهم رفضوا وخاصة عشيرة طي. بل قام زعماء طي بتحذير السريان من احتمال تعرضهم للإبادة مثلما جرى للسريان في تركيا. وأعاد الأكراد الكرة مرة أخرى وأثمرت اجتماعاتهم. ففي عام 1941 قامت العشائر الكردية بمحاولة جديدة لإبادة السريان ولكن هذه المرة في مدينة المالكية. وحسب ما جاء في كتاب (أزخ أحداث ورجال) قام القس جبرائيل جمعة الأزخي السرياني بتنظيم السريان وحثهم على حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم. كما قام البطريرك مار أفرام برصوم بالاتصال مع المسؤولين الفرنسيين والضغط عليهم واحراجهم لإرسال قوات إلى المالكية. وهكذا تم إفشال مخططات الأكراد!

السريان ما بعد الاستقلال

بعد جلاء القوات الفرنسية عن سوريا (17 نيسان 1946)، استمرت الجزيرة السورية مأوى للعصابات الكردية التي كانت تتنقل بين طرفي الحدود الجديدة (السورية – التركية) وظلت تنغص وتعكر حياة السريان وتذكرهم بمذابح عام 1914 - 1915. وهكذا استمرت الهجرة إلى باقي مناطق الشام وإلى بلدان الغرب.

بقي الخوف والرعب في نفوس السريان المتبقين حتى سيطرة حزب البعث على مقاليد السلطة في 8 آذار عام 1963. كانت سياسة هذا الحزب تقوم على الشدة بفرض الأمن وتطبق النظام في جميع أنحاء سوريا، مما ساهم بوضع حد للعصابات

---

* راجع (القضية السورية، "1936 – 1937" الحقيقة عن حوادث الجزيرة. اللجنة العامة للدفاع عن الجزيرة العليا)، ومجلة الجامعة السريانية.

الكردية* والقبضايات. لكن مقابل هذا التغير الإيجابي الذي حدث لصالح السريان، هنالك تغير سلبي حدث ضدهم، ويتمثل بالسياسة العروبية الضيقة الأفق التي تعتبر أية ثقافة غير عربية مناقضة للهوية السورية. لقد قامت الأنظمة العروبية بغلق المدارس السريانية التي كانت منتشرة في أرض الجزيرة ومنع تدريس اللغة السريانية كلغة أم وإغلاق جميع الأندية والجمعيات الثقافية التي كان من أشهرها نادي الرافدين الرياضي الذي يعتبر أول فريق رياضي في تاريخ سوريا. وشارك في عدة مباريات دولية. ويعتبر نادي الجهاد الرياضي الحالي في مدينة القامشلي امتداداً لذلك الفريق العريق، طبعاً بعد تحويل اسمه من الرافدين إلى الجهاد، وكأن الرافدين أمسى أجنبيا أعجميا طارئا !!

أما سنوات الوحدة السورية المصرية وقيام الجمهورية العربية المتحدة (1958 - 1961) فقد كانت تأثيراتها سلبية ووخيمة على السريان خصوصاً وعلى عموم الشعب السوري. حتى الآن يتذكر الكثيرون الزيارة الشهيرة التي قام بها الزعيم المصري جمال عبد الناصر إلى مدينة القامشلي. يبدو أنه أبدى تخوفاً من الوجود السرياني النشط في القامشلي، فبعد الزيارة مباشرة شنت السلطات الناصرية حملة واسعة لتعريب السريان في الجزيرة. أما في الثمانينات فقد أتت الأزمة الاقتصادية لتساهم في ازدياد وتيرة هجرة السريان.

هذه الأسباب مجتمعة فاقمت من هجرة السريان الذين لم ينالوا الاعتراف بخصوصيتهم ووجودهم العريق في سوريا وأنهم الفئة الحاملة لميراث الشعبين السوري والعراقي، لغوياً وثقافياً ودينياً. من المضحك والمبكي أن حزب البعث الذي نجح نوعاً ما في تعريب السريان وتعريب تاريخهم فشل فشلاً ذريعاً في تعريب منطقة الجزيرة السورية، إذ حدث العكس تماماً: أن إضعاف الوجود السرياني فتح المجال لتكريد مناطقهم وليس تعريبها!! وهذا ما حصل تماماً في شمال العراق، عندما ركزت الحكومات العراقية المتعاقبة على إضعاف التركمان والسريان واليزيد في شمال العراق ودفعهم للهجرة من مناطقهم التي تتحول تلقائياً إلى كردية. ونفس المعادلة تكررت في مناطق السريان في جنوب شرق تركيا حيث تحولت الى كردية ولم تصبح تركية!!!

هذه مفارقة التاريخ: إن العروبيين قدموا أكبر الخدمات للقوميين الأكراد في العراق وسوريا، رغم الصراع المعلن بين الطرفين !! وهذه حسنة كبيرة لصالح العروبيين على الكردويين أن لا يتناسوها..

الخلاصة!

لكي لا يساء فهمنا، نؤكد ان حصول الاكراد او السريان ... على حقوقهم الطبيعية غير مرتبط بعدد السنوات التي اقاموا فيها داخل سوريا، بل تتعلق القضية كلها بكيفية حل مسالة التنوع الأقوامي واللغوي والديني في عموم سوريا. ونأمل من القيادة السورية الحالية انها ستعمل على اغلاق هذا الملف الشائك من خلال حله بشكل سليم وصحيح وذلك لمصلحة الوطن ومستبقله وتلافيا لاي نزاع قد يحدث مستقبلاً. كما ان سردنا لهذا التاريخ المدون والموثق والمؤلم لا يعني ابدا جرح مشاعر الاكراد او الدعوة الى طردهم لأنهم لم يقطنوا منطقة الجزيرة السورية قبل غيرهم، أو لعدم وجود أرض كردستانية في سوريا. فالوطن يسع الجميع وهو ملك للجميع، اذا ترفع أبناؤه عن النزعات الانفصالية المتطرفة، وفتح المجال لسير العملية الديمقراطية نحو الامام والابتعاد عن التطرف الديني!

ان محاولات تسيس وتشويه التاريخ، وزعزعة استقرار المنطقة من خلال اطلاق مصطلح (كردستان الغربية او كردستان سوريا) على أراضي هي تاريخيا سورية (أو حتى عراقية)، يعد بمثابة تطرف وظلم وتجني واغتصاب من قبل الاكراد لحقوق عموم السوريين والعراقيين. كما ان تجاهل حقوق الاكراد الثقافية والادارية والسياسية في البلدان التي يتواجدون فيها هو تعدي على حقوقهم الطبيعية. أما مشكلة الاكراد في كردستان الحقيقية في ايران ومنطقة السليمانية التي ضمت للعراق، فتلك قضية

---

* نحن نقصد عمليات السرقة والقتل التي حدثت منذ الربع الأول من القرن العشرين حتى الستينيات منه. اذ توقفت هذه العمليات فيما بعد والحمد لله، وبدأت اجواء المحبة والتفاهم تسود ما بين اقوام الجزيرة السورية، ولا سيما ان الثقافة بدأت تتغلل الى صفوف الشبيبة الجزراوية. وقامت الاجيال الجديدة بطي صفحة المذابح التي جرت، على امل ان الاكراد والاتراك سوف يعترفون بها يوما ما لكي تبقى دروسا وعبر يتعلم منها الاجيال القادمة، وفي سبيل فتح صفحات وعلاقات اخوية جديدة ومتينة بين كل أبناء المنطقة!

أخرى، ومن حق الشعب الكردي الشقيق اختيار الصيغة المناسبة لـه (حق تقرير المصير او الفيدراليـة) او ايـة صيغة تصب في مصلحة الاكراد.

***

حقوق السريان وتنوع الناطقين بالسريانية

إن الحركات السياسية المدافعة عن حقوق الجماعات السريانية تعاني من مشكلة تبدو ثانوية ولكنها في الممارسة معقدة وتثير بعض الإشكالات والحساسيات بين مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية، ونعني بهذا مشكلة التسمية الموحدة. المطلع على أدبيات هذه الحركات يكتشف مدى عمق هذه المشكلة، فالبعض يقول "السريان" والبعض الآخر يقول "آشوريون" وآخرون يقولون "آثوريون" وهناك من يقول "الكلدان"، ثم يحاول البعض الأكثر واقعية استخدام تسمية "الكلدو – آشوريون". والحقيقة أن هذه التسميات المختلفة متأتية من أسباب تاريخية أخذت شكل الانقسام الطائفي. منذ القرن الخامس الميلادي إثر مجمع أفسس المسيحي سنة 341 م انقسم سكان المشرق المسيحيون السريان إلى طائفتين:

- أتباع كنيسة الشرق "الرافدين" ومقرهم في "طيسفون – المدائن" أي كنيسة بابل، وسموا بالنساطرة نسبة إلى القديس نسطور السرياني.
- أتباع كنيسة الغرب "سوريا" وهم الأرثوذكس وتسمو "باليعاقبة" نسبة إلى "يعقوب البرادعي السرياني"، ومقرهم في أنطاكية وانتشر مذهبهم في عموم سوريا وكذلك في مصر حيث أصبح الكنيسة القبطية، بالإضافة إلى الكنيسة "الملكية" وكذلك الكنيسة "المارونية" قبل ان تتحول الى الكاثوليكية.

وهذه الكنائس عموما انتشرت كذلك بين القبائل العربية، وامتزج خلالها السريان بالعرب، ومع الزمن تبنت بمعظمها اللغة العربية في طقوسها الدينية.

ظلت المنافسة خصوصاً بين الطائفتين النسطورية واليعقوبية (على غرار السنة والشيعة في الإسلام) طيلة قرون، ثم أضيفت لها تعقيدات جديدة بعد القرن الخامس عشر مع نشاطات البعثات التبشيرية الغربية حيث تحول الكثير من النساطرة إلى "كاثوليك" وتسمو "بالكنيسة الكلدانية" وبعضهم حمل اسم "الكنيسة السريانية"، أما الذين بقوا على نسطوريتهم فأطلق عليهم "الآثوريون".

إذن فان التسميات التاريخية القديمة حملت معنىً طائفياً جعل من الصعب تجاوزها نحو تسمية موحدة بسبب العقبة الطائفية. هناك ميل قوي لدى بعض النخب والحركات السياسية لاستعمال تسمية "آشوريون"، لكن هذه التسمية تتعارض مع تسمية "كلدان وسريان". رغم هذه الفروق في التسميات والفروق بين الطوائف فإن هناك عنصراً أساسياً يوحد كل هذه الجماعات: إنهم رغم تبنيهم للعربية في الكثير من نشاطاتهم، فإنهم جميعاً يعتبرون اللغة السريانية لغة كنسية مقدسة ويتحدثون بلهجات مختلفة بقربها وبعدها عن السريانية الفصحى. وهذا الانتماء إلى الثقافة السريانية يخلق لدى الكثير من النخب والجماعات شعوراً بالانتماء المشترك لتاريخ بلاد الرافدين وسوريا، أي الانتماء لعموم بلاد المشرق وحضاراتها (السومرية - البابلية -الآشورية) والكنعانية والآرامية. خلاصة القول إن اطلاق تسمية "السريان" تبدو الأكثر معقولية رغم نواقصها. إن هؤلاء السريان بجميع تنوعات مسمياتهم يشكلون جزءاً متميزاً من الشعبين العراقي والسوري، بل يصح القول إن "السريان" هم أسلاف شعوب "منطقة المشرق" مثلما الأقباط هم أسلاف الشعب المصري، والبربر هم أسلاف شعوب المغرب، والنوبيون هم أسلاف الشعب السوداني، وكل هذه الانتماءات المتنوعة تجتمع في الانتماء إلى عالم عربي كبير وثقافة وتاريخ عربي مشترك.

نتيجة الأوضاع السياسية المعقدة وعمليات الاضطهاد القومي والديني التي تعرض لها سريان منطقة الجزيرة فإن الكثير منهم هجروا قراهم ومدنهم بحثاً عن مناطق آمنة. ان السريان بجميع طوائفهم وتسمياتهم الكلدانية والآثورية وغيرها، يتوزعون حسب التالي:

- العراق: مليون ونصف المليون، نصفهم في بغداد والباقون في الموصل وأربيل ودهوك وكركوك والبصرة.
- سوريا: ربع مليون، أغلبهم في منطقة الجزيرة وحلب بالإضافة إلى دمشق.

- لبنان: عشرون ألف أغلبهم في بيروت.
- تركيا: عشرة آلاف أغلبهم في إسطنبول وماردين.
- أكثر من مليون منتشرون في جميع بقاع العالم، أوربا الغربية والقارة الأمريكية وأستراليا وإيران وروسيا.

طبعاً هذه الأرقام تقريبية لأنها تعود لأعوام الثمانينات، مع التغيرات المستمرة المتعلقة بالهجرة وتنقل الجاليات وزيادة السكان.

إن معظم السريان في سوريا والعراق تمكنوا من الاندماج في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلدين ولعبوا دوراً بارزاً في النشاطات السياسية والثقافية لهذين البلدين ووصل بعضهم إلى مراكز قيادية ومتميزة. في السنوات الأخيرة برزت بعض المراكز السياسية والثقافية والدينية الخاصة بالسريان، وخصوصاً بين الآثوريين "النساطرة" الذين تعرضوا أكثر من غيرهم للمذابح والتشريد من مناطقهم الأصلية، ومن أبرز هذه الحركات:

- نوادي "بيت النهرين" وهي منتديات اجتماعية ثقافية منتشرة بين جميع الجاليات الآثورية (السريانية) في العالم. وتشرف كذلك على نشر المجلات والكتب باللغة السريانية والعربية.

- الكنائس المتنوعة الخاصة بالطوائف السريانية المختلفة، والمنتشرة أيضاً بين الجاليات المهاجرة. وعموماً تتبع هذه الكنائس مراكزها في سوريا والعراق.

- الحركات السياسية المطالبة بحقوق السريان، مثل المنظمة الآثورية الديمقراطية التي تأسست عام 1957. والحركة الديمقراطية الآشورية التي تأسست عام 1979، بالإضافة إلى الحزب الوطني الآشوري في شمال العراق.

المطالب الاساسية

إن "مسألة حقوق السريان" التي طالما تم تجاهلها من قبل شعوب المنطقة وحركاتها السياسية، تقع أولاً وقبل كل شيء على عاتق الشعبين العراقي والسوري بحكم انتماء السريان التاريخي والسياسي لهذين الشعبين. بالإضافة إلى أن هذه القضية تتطلب تفهماً من قبل الحركات القومية الكردية وبعضاً من روح التضامن مع شعب شقيق وجار للشعب الكردي.

إن الحركات والنخب في العراق وسوريا يمكنها أن تتبنى المبادئ التالية في التعامل مع حقوق السريان:

1- الاعتراف بأن السريان بجميع طوائفهم الأرثوذكسية والنسطورية والكاثوليكية والبروتستانتية هم أشقاء وأسلاف للشعبين العراقي والسوري، رغم أنهم جزء متميز دينياً ولغوياً عن هذين الشعبين. وهذا يتطلب جهداً خاصاً من أجل كتابة جديدة للتاريخ الرسمي والمدرس والتربية الوطنية.

2- أن يتم اعتبار اللغة السريانية لغة ثانية وتاريخية في جميع مدارس بلدان المشرق العراقي الشامي على اعتبارها الأساس الثقافي والحضاري الذي انبثقت منه اللغة العربية، وهذا يشبه تماماً تدريس اللغة اللاتينية في مدارس أوربا على اعتبارها الأساس التاريخي والحضاري للغات الأوربية.

3 - اعتبار مناطق شمال الرافدين "الجزيرة" التي اقتطعتها تركيا (ماردين وديار بكر والرها) بالإضافة إلى لواء الاسكندرونة السوري، هي جزء جغرافي وتاريخي من العراق وسوريا، وأن السريان والعرب القاطنين في هذه المناطق هم سكان عراقيون وسوريون. ويعني هذا أن يتم التثقيف وإشعار الحركات الكردية والحكومة التركية بهذا الموقف. وبالتالي الدفاع عن الحقوق الثقافية والتاريخية لهؤلاء الأشقاء. وهذا الموقف يشمل أيضاً السريان القاطنين في مناطق غير رافدية أي تابعة تاريخياً لكردستان العراق وإيران وتركيا (مثلاً في السليمانية والعمادية وأورميا). وهذا الموقف لا يعني أبداً التدخل بالشؤون الداخلية لهذه البلدان، وإنما نوعاً من التضامن مثلما تتعامل جميع الشعوب مع جالياتها المقيمة في أوطان أخرى.

4 - أن يتم التعامل مع الجاليات السريانية (حتى من ذوي الجنسيات غير العراقية والسورية) المقيمة في المهجر الأوربي والأمريكي والأسترالي على اعتبارها جاليات عراقية سورية، وأن يتم منح الجنسية لجميع الراغبين، ومنحهم حق المشاركة

والتعبير والإقامة في العراق وسوريا مثل جميع المهاجرين من البلدين. (لقد قامت الحكومة السورية بخطوات إيجابية في هذا المجال وخصوصاً ناحية الاتصال بهذه الجاليات ودعوتها لزيارة سوريا).

5- إن منح الجنسية وحق العودة لسريان البلدان الأخرى لا يعني أبداً أن يتم الأمر على حساب السكان الذين توطنوا في هذه المناطق السريانية التاريخية، ونعني بهذا خصوصاً المناطق والقرى التي يقطن فيها حالياً أكراد في العراق وسوريا. بمعنى أوضح أن "حق العودة" لا يعني أبداً "حق الطرد" على الطريقة الصهيونية العنصرية والمعادية للإنسانية.

هذه بعض من المبادئ التي يمكن أن يتعمق حولها الحوار بين جميع المهتمين بحقوق السريان وقضية خلق "هوية تاريخية أصيلة" تحترم جميع الخصوصيات والتنوعات الدينية والمذهبية واللغوية لبلدان "منطقة المشرق".

كما هو موضح سلفا، فان مشكلة السريان (مثل التركمان واليزيدية)، تتأتى من ناحيتين، اولهما الاطرف الحكومية المدعومة بالعقلية السياسية والثقافية السائدة في المنطقة والتي تتجاهل الخصوصيات اللغوية والدينية باسم القومية وغيرها، ثم الناحية الثانية هي الاطراف القومية الكردوية التي تحت شعارات "الحقوق القومية" (كردستان الكبرى) تهضم حقوق الفئات المحلية المجاورة للاكراد وبالذات التركمان والسريان واليزيدية بالاصرار على تكريدهم مثلما تصر الحكومات على تعريبهم! هنا نسجل بعضاً من هذه المقالات والتعقيبات التي نشرها السريان مشاركة في الجدال الدائر في الصحافة:

اكراد بوتان ومذابح السريان

في جزيرة ابن عمر (بازبدي - ازخ) قامت امارة كردية بدعم عثماني مباشر، مقابل دعم كردي للعثمانين في حروبهم ضد الفرس. ولهذه الامارة يعود الفضل في تكريد المناطق السريانية في اقليم الجزيرة. وبعد قضاء العثمانيين على هذه الامارة في منتصف القرن التاسع عشر، بقي الاكراد الذي استقروا في الجزيرة يضمرون العداء للسريان المسيحيين، وكان لهم دور مهم في مذابح 1915، كما جاء في كتاب "ازخ احداث ورجال":

((مدة أربعين يوماً من 1 تموز لغاية 10 آب، لم يتمكنوا (أي الاتراك والاكراد) من فتحها والقضاء على أهل بلدة أزخ، بعد ذلك قرروا القضاء على السكان المسيحيين في مدينة جزيرة ابن عمر ذاتها في الثامن والعشرين من شهر آب سنة 1915. قبضوا على المطرانين - يعقوب عيون السود وميخائيل ملكي - وعلى القسوس الستة والاسقف موسى فرموهم في سجن خان الجمال - خاني دفا.

وفي اليوم التالي قبضوا على كل الرجال المسيحيين من جميع الطوائف وسجنوهم في الكنائس أو في بعض البيوت الحصينة. وشددوا عليهم الحراسة دون رحمة للضعيف أو المريض ومنعوا عنهم الطعام والماء حتى (1) ايلول أي مدة ثلاثة أيام.

وفي الأول من أيلول قبضوا على جميع النساء والاطفال وشكلوا منهم قافلة ساروا بها إلى جنوب جزيرة ابن عمر، ثم اخرجوا الرجال من الأماكن التي سجنوهم فيها والحقوهم بقافلة النساء والاطفال. وكان يحيط بالقافلة العساكر وهم مسلحون طبعاً، وآلاف من رجال جزيرة ابن عمر ومن عشائر المنطقة، وهم أيضاً مسلحون بالبنادق والسيوف وبالخناجر والفؤوس. ساروا بالقافلة جنوباً حتى وصلوا إلى وادي "جم سوس" على بعد أربعة كيلو مترات من الجزيرة (ويقع الوادي اليوم في الاراضي السورية شمال عين ديوار بطريق الجسر الروماني)، وهناك قتلوهم رجالاً ونساء أطفالاً وشيوخاً مبيدين إياهم إبادة جماعية.

وبعد عودة القتلة من "جم سوس" وتنفيذ عملية الابادة البشعة جاء بعض الرجال إلى المطرانين والقسوس فقضوا عليهم في سجنهم ثم رموهم في نهر دجلة جثثاً هامدة فقد كان النهر قريباً من السجن وخاتمة للجريمة.

رغم الابادة الجماعية نجا من القتل المطران بهنام عقراوي الذي ابقاه أهل آزخ عندهم منذ شهر حزيران سنة 1915 فأقام هناك، وبذلك لم يكن في الجزيرة أثناء قتل اهلها المسيحيين.

أما باقي سكان الجزيرة المسيحيين وتعدادهم (1250) عائلة فلم ينج منهم سوى ما يقرب من خمسين نفساً، خبأهم بعض الآغوات في بيوتهم إما لنزاهتهم ليعملوا خدماً بين الحريم وعبيداً بلا اجر أو لحاجتهم إلى خبرتهم الفنية ومهاراتهم في البناء والنسيج والطب الشعبي وما شابه ذلك)).

هذا المقطع نقل عن كتاب (ازخ – أحداث ورجال، تأليف: يوسف القس و الياس هدايا) ونشر في مجلة حويودو- السويد – ايلول 2002

***

الآشوريين في شمال العراق

منذ قيام برلمان للأكراد في شمال العراق، وهم يروجون ويطبلون لتجربتهم (الديمقراطية) الجديدة والفريدة من نوعها في تاريخ المنطقة. ويبدو أن إخوتنا الأكراد في العراق لهم عقدة من تسمية (منطقتهم) بشمال العراق. وأصبح مؤخراً محرماً على العراقيين إطلاق تسمية العراق على شمال وطنهم بدل تسمية (كردستان)، ومن تجرأ على ذلك فتهم التطرف والعنصرية ومعاداة حقوق الأكراد كلها تهم جاهزة ومحضرة لإلصاقها به. ومن هذه الزاوية أعتقد أنه حان الوقت لمراجعة موضع الخلل والعتمة في التجربة الكردية من أجل إضاءتها وعلى وجه الخصوص البنود والفقرات المتعلقة بالآشوريين الكلدان، ومنها:

1 - إعادة النظر بقانون البرلمان الكردي، كونه لم يرق إلى مستوى الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة لسكان المنطقة الأصليين (الآشوريون) وإقرار هذا الحق دستورياً. حيث أن القانون المذكور لم يضمن أصلاً حق التمثيل الآشوري الصريح في البرلمان. بل إن أقصى ما تضمنه هو حق الترشيح، الحق الذي جاء بصيغة قرار استثنائي للقيادة السياسية للجبهة الكردستانية وخاص بالدورة الأولى لعام 1992 فقط. هذا يعني أن القرار ليس ملزماً للدورات اللاحقة. وأسباب استصدار، هكذا قرار كانت بغية امتصاص غضب الآشوريين (واستعمالهم كورقة إعلامية) لحين تصفيتهم وتخليهم عن المطالبة بحقوقهم. فمن أصل (150) الف آشوري لم يتبقّ في (المنطقة الآمنة) سوى (50) ألفا، يعيشون في رعب وخوف بسبب عمليات التصفية والقتل التي تمارس بحقهم وبدون رادع قانوني للقتلة والمجرمين، وللعلم أن الإدارة الكردية قامت مؤخراً بحرمان الآشوريين من حقهم القومي والشرعي في انتخابات مجالس البلديات لشهر أيار المنصرم. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على إظهار علانية رغبة الأكراد في حرمان الآشوريين (وأيضاً التركمان واليزيدية) من حقوقهم الطبيعية في حال جرت انتخابات برلمانية جديدة، وهذا ما يفسر عدم اعتراف الأكراد بالآشوريين دستورياً حتى هذه الساعة، مع العلم أن حكومة بغداد الديكتاتورية تعترف بالأكراد دستورياً !؟

2 - حث المسؤولين في المناهج التربوية في الحرص كل الحرص على تهميش الفترات المظلمة في التاريخ، تلك التي من شأنها إثارة الأحقاد والقلاقل التي عفى عليها الزمن. ونقصد هنا ما تحتويه المناهج الدراسية الرسمية في الشمال العراقي من تعظيم وتبجيل لدور بعض الزعامات الكردية التي لطخت أيديها بدماء الأبرياء. وإجبار الطلبة الآشوريين واليزيديين والتركمان على دراسة تاريخ الطاغية الكردي بدرخان بك كرمز وليس كطاغية. ومن المعروف أن بدرخان هذا قام بإبادة الآلاف من الآشوريين واليزيديين العزل في شمال العراق وجنوب شرق تركيا، ما بين أعوام (1843 - 1846). ومذابح هذا الطاغية كانت نقطة الفصل في تاريخ الجزيرة العراقية لصالح الأكراد، الذين أزاحوا سكانها القدامى وأطلقوا عليها تسمية (كردستان) !

عليه ندعو الأطراف الكردية وبمختلف أحزابهم إلى إعادة النظر في سياستهم تجاه السكان المحليين للشمال العراقي من آشوريين وتركمان ويزيديين وإعادة النظر في المنهاج التربوي المقررفي المدارس والمعاهد الرسمية، مع مراجعة علمية دقيقة ومنصفة للمؤثرات التاريخية التي تعقدت كثيراً بسبب التدخلات الخارجية، وأيضاً بسبب تعاون بعض الأكراد مع العثمانيين في ابادة الآشوريين واليزيديين ومن ثم تكريد مناطقهم التاريخية مثل أربيل وزاخو ودهوك وغيرها. إن إعادة كتابة التاريخ وممارسة الحرية والديمقراطية مع الذات ومع الآخر المغاير تحتاج إلى ديمقراطية وشجاعة فهل يتحلى بهما الأكراد وهم الذين يدعون بتعرضهم على مر السنين لظلم العرب والأتراك والفرس، وهل يمكن أن يكون الظالم مظلوماً !؟

سركون بار معنو، جريدة القدس 2002/12/31

***

المجمعات القسرية .. ما بين صدام والبارزاني

دأبت سياسة النظام العراقي منذ استلام حزب البعث للسلطة عام 1968 على اتباع سياسة القهر والظلم بحق أبناء الشعب العراقي عموماً. هذه السياسة كانت نتائجها وخيمة وقاسية على الكلدوآشوريين باعتبارهم الحلقة الأضعف في السلسلة العراقية. وما يزيد معاناة الكلدوآشوريين أنهم يتعرضون إلى ظلم مركب، مرة من قبل النظام في بغداد، وأخرى من قبل بعض الأطراف الكردية في الشمال. نعطي هنا أمثلة على ما نقول.

نذكر من الممارسات التعسفية التي اتبعتها حكومة بغداد تجاه الشعب الكلدوآشوري التي قلما تحدث عنها أحد، بناء المجمعات القسرية، حيث قام أتباع النظام بتجميع ومن ثم ترحيل سكان العديد من القرى المنتشرة في مواقع من الشمال العراقي وقرب حدودي إيران وتركيا، وبالتالي إسكانهم في مستوطنات خاصة أقيمت لهذه الغاية، تحت ذريعة توفير المستلزمات الحياتية والشروط الصحية والرعاية الاجتماعية والأمنية لهؤلاء بشكل أفضل من السابق ! ومن المعروف أن إنشاء مجمعات "بيكوفه وبيرسفي" في قضاء زاخو ومجمع "كوماني وديرالوك" في قضاء العمادية ومجمع اتروش وعقرا وشقلاوة وعشرات المجمعات الأخرى، كان بهدف تغيير ديمغرافية المنطقة ووضع حد للمشكلة الكردية المتفاقمة في الشمال، والأهم من كل هذا ضرب القوى الوطنية العراقية المعارضة للنظام في بغداد.

إن نتائج هذه السياسة اللاعقلانية واللاإنسانية من قبل النظام العراقي لم تصب مطلقاً في أهداف النظام أي القضاء على معارضيه أو تعريب الشمال العراقي بل أدت إلى تكريده ولكن على حساب الكلدوآشوريين. فالكثير من تلك المجمعات القسرية قد شيدت على أراضٍ تابعة لأبناء الشعب الكلدوآشوري (بالاتفاق مع اللجان الكردية!)، فكان من الطبيعي أن لا يصمد أبناء تلك المناطق أمام الأكراد القادمين من القرى والمناطق النائية. ونذكر على سبيل المثال أن منطقة نوهدرا (دهوك) والتي كانت قضاءً تابعاً لمحافظة نينوى تحولت منذ نهاية الستينات من القرن الماضي إلى منطقة ذات أغلبية كردية، وأصبح الشعب الكلدوآشوري أقلية فيها بعد أن كان أغلبية !

ومنذ انتفاضة الشعب العراقي عام 1991 التي هدفت إلى التخلص من براثن الدكتاتورية، ومن ثم إقامة (المنطقة الآمنة) في الشمال، من قبل دول الغرب، سارت بعض القيادات الكردية الحالية على نفس نهج صدام تجاه العراقيين من غير الأكراد. فبعد فترة وجيزة من (انتخاب) أول برلمان للأكراد عام 1992. وتشكيل أول حكومة للإقليم الشمالي، تم اغتيال أول عضو برلماني كلدو آشوري (فرنسيس يوسف شابو).. وليس آخر عضو برلماني (فرنسو حريري)، من قبل متطرفين أكراد قاموا حتى اليوم بتصفية العشرات من أبناء الكلدوآشوريين الأبرياء بهدف ترويعهم وإجبارهم على خيار الهجرة، والجدير ذكره هنا أنه لم يمثل أمام العدالة أي من القتلة والمجرمين على رغم معرفة هويتهم ؟؟

أما ما يخص عملية المجمعات القسرية والتي بدأها صدام فقد أكملها السيد مسعود البارزاني ولكن على طريقته الخاصة، حيث قام بجلب الآلاف من اللاجئين الأكراد من إيران وتركيا وبعض المناطق العراقية الأخرى وأسكنهم في قصبات سرسنك وبدرش واينشكي بغية تكريد هذه المناطق الآشورية العراقية وبالتالي فرض سياسة الأمر الواقع على الطريقة الصهيونية. ولم يكتف البارزاني بهذا، فقد قام ببناء مجمعات جديدة للأكراد ما بين قريتي كوماني وديري، وهكذا نتيجة القتل والترويع وسياسات التكريد تم المضي قدماً في عملية تغيير الخارطة الإثنية لمنطقة الجزيرة العراقية لصالح الأكراد. فمن أصل (150) ألف كلدوآشوري كانوا يقطنون (المنطقة الآمنة)، إبان انتفاضة آذار 1991. لم يتبقّ منهم اليوم سوى (30) ألفاً على أبعد تقدير ! فبالأمس كان القاتل والمجرم يقدم إلى المحاكمة لينال جزاءه، أما اليوم ومع (ديمقراطية) الإدارة الكردية أصبح القتلة مجازين ومحميين بالسلاح تحت شعار الديمقراطية. وبدأ إخوتنا الأكراد بعد أن انتهوا بنجاح من تكريد مدن وضواحي أربيل ودهوك (نوهدرا) وزاخو وبالتالي ضمها إلى مشروع (كردستان)، يطالبون (وبهدف تكرار المأساة) بمحافظتي كركوك ونينوى !؟

نمرود حنا (أبو كلكامش) - جريدة الزمان العدد 1113 - 2002

***

مشكلة التسمية لدى السريان

تلقينا العديد من الرسائل من الاخوة الملتزمين بالفكر السياسي القومي (الآشوري) الذين يعتبرون ان تسمية (آشوري) هي التي يجب ان تطلق على السريان لأنها تربطهم بصورة مباشرة بالحقبة الآشورية من تاريخ العراق. يعتب علينا هؤلاء الاخوة لاختيارنا تسمية سريان، وكأننا نحن من ابتدع هذا الخلاف بالتسمية. لكن العارف بالوضع السرياني يعلم جيداً بأن المشكلة قديمة ومستمرة، وهذا المقال لأحد الاخوة السريان يؤكد حقيقة هذه المشكلة:

التسمية الفضلى لشعبنا العريق

قرون طويلة من الابتعاد والافتراق والتشتت بعد سقوط نينوى وبابل، وبعد سلسلة من الإنشقاقات التي حصلت في الكنيسة المسيحية، وفي مقدمتها تحريم تعاليم نسطوريوس وبروز الشقين الروماني والنسطوري في صلب كنيستنا الشرقية.

ان الجدل القائم منذ زمن مديد حول التسمية الأنسب لشعبنا، ترتبط بالماضي وتتخذ من الحاضر وجهتها نحو المستقبل، ليس ضرورياً فحسب بل معقد في آن واحد، ويتطلب الوصول إلى النتائج توخي الدقة والبحث العميق، والصبر الملازم لذلك المجهود المتعدد المصادر والغايات قبل الإعلان النهائي.

قبل عدة أعوام طرحت الموضوع بصيغة تسائل "هل نحن آشوريون أم كلدان؟"، أظهرت حيرتي في الإجابة، ثم توصلت إلى فكرة مفادها، أن الحسم النهائي في التسمية هو في وطن أجداد هذا الشعب، بعد انتهاء ليل الدكتاتورية الطويل وبزوغ فجر الحرية والديمقراطية فيه.

في هذا المقال الجديد وفيه تحصيل حاصل من المناقشات والأفكار التي تكتب بين الحين والآخر، ولا أبالغ القول بأنها تمتص جهداً كبيراً من قبل مثقفي هذا الشعب وبالتالي يجعلون العامة يوجهون أنظارهم بهذا الاتجاه، والذي لو تم التخفيف منه لجرى تسليط الضوء على مسائل آنية اكثر اهمية واجدر بالمتابعة والدراسة منها: وقف سيل الهجرة، إيجاد الحلول لمعاناة الناس في الداخل، الحفاظ على الهوية الوطنية في بلدان الاغتراب، ايجاد مراكز عالمية تجلب انتباه الرأي العام إلى ثقافتنا، تاريخنا، وقسطنا الهام في الحضارة الانسانية.

اقول يجب أن ينتسب شعبنا إلى أرضه، إلى وطنه الذي ولد من صلبه وانطلق ليعرفه العالم بأسره، فليسم بأرضه: "بيث نهرين" وهو شعب بيث نهرين، وعلى الاختصاصيين بعلم اللغات تصريف واشتقاق هذا المصطلح الرائع الصيت "بيث نهرين" والتوسع به سواء باللغة الآرامية أو العربية أو اليونانية، ليكون شاملاً ويفي بكل الاغراض.

على نفسي أقول: بيث نهريني ولغتي هي بيث نهرينية، وباللغة العربية أنا رافديني ولغتي هي الرافدينية وباللغة اليونانية اقول انا من Mesopotamia ولغتي هي Mesopotamian.

مع الزمن ستعتقد مجاميع متزايدة من العراقيين بأنهم رغم اختلاف أديانهم ولغاتهم في الوقت الحاضر، من أصول واحدة سومرية، أكدية، آشورية، وبابلية ترجع إلى أرض مشتركة واحدة هي بيث نهرين أو بلاد الرافدين.

نبيل دمان - مجلة حويودو السريانية في السويد - عدد ايلول 2002

***

فرانسوا حريري شهيد الكلدوآشور والحركة الوطنية العراقية

إلى الرأي العام العراقي والعربي..

فجعت الأوساط الوطنية الكلدوآشورية قبل فترة باغتيال المناضل فرنسوا حريري الذي نذر نفسه منذ أربعة عقود لخدمة الحركة الكردية وعموم الحركة الوطنية العراقية. وقد تحمل من أجل ذلك كل أنواع القهر والملاحقة، فإن جبال كردستان شاهدة على صلابة نضاله وتضحياته في سبيل هذه القضية أكثر من أولئك المتخاذلين الانتهازيين من الكرد الذين يحصدون اليوم ثمار تضحيات الحريري بعد أن كانوا حتى الأمس القريب في خدمة نظام البعث.

إن (الرابطة السريانية العراقية في فرنسا) بعد التحقيق والتداول مع مصادر موثوقة مقربة من الأجهزة الكردية في الإقليم المحمي، تود أن تعلن وتؤكد بأن الأيادي الآثمة المرتبطة بمخابرات الحزب الديمقراطي الكردستاني الحاكم تقف وراء عملية الاغتيال الأثيمة التي راح ضحيتها المناضل الكلدوآشوري فرانسوا حريري. بعد أن ضاقت هذه الأوساط الشيفونية المتطرفة بالانتقادات التي بدأ يوجهها الشهيد ضدهم معلناً للجميع رفضه للطروحات القومية العنصرية والانفصالية، وتأكيده الدائم على أن كردستان جزء طبيعي تاريخي من العراق وأن مصلحة الشعب الكردي تكمن في النضال مع باقي القوى الوطنية الديمقراطية من أجل تحقيقه مطالب الأكراد وكل العراقيين بالديمقراطية والفدرالية. وقد ظل مصراً على رفض الدخول في متاهات الطروحات

الانفصالية والاستعلائية التي تفقد الحركة الكردية مصداقيتها الوطنية لدى القوى الوطنية العراقية والعربية وتثير مخاوف حكومات وشعوب إيران وتركيا. إلا أن هذا الرأي الوطني الصادق لم يرق لدعاة الانفصال والتكريد فكان أن دفعهم حقدهم على الشهيد إلى اغتياله في وضح النهار وهو في طريقه إلى البرلمان الكردي.

لقد سبق لرابطتنا ومعها الكثير من العناصر والمنظمات الكلدوآشورية في داخل الوطن وخارجه أن اشتكت للشهيد فرانسوا حريري من استفحال الطروحات القومية الحقودة لدى القوى والأجهزة الكردية المهيمنة على الإقليم والتي تدعو صراحة إلى تكريد تاريخ شمال العراق والإلغاء التام لكل الميراث الحضاري العريق للقوميات الأخرى الموجودة في المنطقة من سريان وتركمان ويزيدية، بالإضافة إلى زرع الحقد والاحتقار لدى الأكراد ضد الشعوب الشقيقة المجاورة من عرب وأتراك وإيرانيين. وقد اعتاد الشهيد الذي كان يفتخر بانتمائه الكلدوآشوري إلى نقل هذه الشكاوى المشروعة إلى القيادة الكردية، الأمر الذي أقلق بعض المتعصبين المتنفذين في أجهزة الحزب الديمقراطي الكردستاني، وهو ما عجل بقرار اغتياله. لقد استهدف المجرمون التي تلطخت أيديهم الآثمة بدماء الشهيد الطاهرة، إلى التخلص من الشهيد ودوره الوطني وكذلك توجيه إنذار إلى جميع العناصر والجهات الرافضة للطروحات الشيفونية الكردية.

إن رابطتنا، الرابطة السريانية في فرنسا تدعو القوى الوطنية العراقية إلى استخلاص الدروس والعبر من عملية اغتيال الشهيد فرنسوا حريري، وإدانة مثل هذه الممارسات الدكتاتورية التي لا تختلف عن ممارسات نظام البعث، وفضح تلك الطروحات القومية الشيفونية التي لا تكل عن بث الحقد والاحتقار لدى الجماهير الكردية ضد كل ما هو غير كردي، واعتباره عنصراً مشكوكاً به ومناقضاً لأحلامهم القومية التي تفوق أحلام هتلر همجية وجنوناً.

إن هذه العملية الجبانة الغادرة تأتي ضمن مسلسل الجرائم العديدة التي ارتكبها المتعصبون الأكراد ضد شعبنا ابتداءً من عمليات التصفية العرقية والتكريد والتشريد التي جرت خلال قرون لشعبنا ومناطقنا في شمال النهرين، مروراً باغتيال الشهيد فرنسيس شابو عام 1992 وهو أول شهيد في برلمان شمال العراق، ثم الشهيدة هيلينا ساوا عام 1991. إن هذه الجرائم الفاشية لا تزيدنا إلا إصراراً على مواصلة نضالنا الشاق والدؤوب مهما بلغ ظلم الطغاة. وإن الشعب الكلدوآشوري الأبي الذي حافظ على كيانه وتاريخه رغم الأنظمة الدموية، لقادر على أن يواصل بهمة وإصرار نضاله نحو أهدافه المشروعة ومقاومة تكريد تاريخه وواقعه ورد كيد أعدائه إلى نحورهم.

الرابطة السريانية في فرنسا - نيسان 2001.

الفصل الخامس*

تاريخ وحقوق اليزيدية

* شاركنا بكتابة هذا الفصل الباحث العراقي واامير الطائفة اليزيدية انور معاوية الاموي.

تاريخ اليزيدية

منطقة سنجار حيث جبل سنجار الواقع على الحدود مع سوريا (مركز الغالبية اليزيدية في شمال العراق). لاحظ ان سنجار تقع غرب الموصل ومنفصلة عن المنطقة الكردية العراقية بمحافظة الموصل. وان ضمها الى الحكم الكردوي يعني تلقائياً ضم الموصل او على الاقل ضم اجزاء من شمال شرق سوريا التي يطالب بها الكردويون!!

ان تاريخ اليزيدية يكتنفه الكثير من الغموض، بسبب كونهم طائفة صوفية منغلقة على ذاتها لم يحتك بها الباحثون والمؤرخون الا في القرن التاسع عشر، بالاضافة الى منع هذه الطائفة على ابنائها من تعلم القراءة والكتابة بحيث ان حتى كتبهم المقدسة ليست مكتوبة بل محفوظة عن ظهر قلب (هذا المنع قد تم تجاوزه في الاجيال الاخيرة وانتشر المتعلمون بين ابناء الطائفة). بعض المؤرخين والباحثين اعتبروهم من الاكراد بسبب تبنيهم للغة الكردية بالاضافة الى العربية مع بعض السريانية. مهما كانت لغتهم فانهم بالحقيقة "عراقيون" بكل معنى الكلمة. بصورة أدق انهم يمثلون افضل نموذج للجماعات العراقية الاصيلة التي تطبعت مع الثقافة المهمينة في كل حقبة جديدة ، ابتداءا بالاكدية الآشورية ثم السريانية ثم العربية واخيرا الكردية التي تسربت اليها في القرون الاخير بحكم التزاوج الذي حدث مع بعض العشائر الكردية النازحة من جبال زاغاروس والتي اعتنقت اليزيدية وتزاوجت معهم. ان اليزيدية يشبهون في وضعهم هذا بعض القبائل العربية - الكردية الموجودة في العراق، مثل بعض أفخاذ الجبور وربيعة والبيات وغيرهم، إذ يحملون الثقافتين والانتمائين العربي - الكردي بآن واحد. يتكلم اليزيديون العربية والكردية ويرتدون الأزياء الرجالية العربية والازياء النسائية السريانية. لهم كتابان مقدسان لم يتم تداولهما او اطلاع الباحثين عليهما، بل يقال انهم يتداولوهما شفاهيا، بسبب تحريم الكتاب لديهم في المراحل السابقة. الكتاب الاول هو "كتاب الجلوة" يعود الى المتصوف الشامي "عدي بن مسافر" وكتاب حديث اسمه "مصحف رش" أي "الكتاب الاسود". انهم يعتقدون ان اسمهم "اليزيدية" يعود الى "يزيد بن معاوية" الخليفة الاموي، الذي ربما تم تقديسه بعد سقوط الدولة الاموية كرد فعل على تقديس "علي" من قبل "العلوية" والشيعة المجاورون لهم. ثم انهم يقدسون متصوفاً عراقياً معروفاً هو "الحسن البصري". ان سلالة جميع شيوخ اليزيدية يجب ان يكونوا منحدرين من هذين الامامين "عدي بن مسافر البعلبكي، والحسن البصري". من الناحية

المعتقدية فيعتقد بأن اليزيدية من بقايا طائفة "الكلدان الحرانيين" الذين بقوا على ديانتهم الآشورية. وقد تحدث عنهم المؤرخ العراقي (ابن النديم) في كتابه الشهير (الفهرست).

من دلائل أصالتهم السريانية، مثلاً انهم في سنجار يقدسون دير "مار عدي" أحد حواري السيد المسيح، ويحتفظون فيه بأقدم مكتبة كلدانية مكتوبة على رق الغزال باعتبارها مكتبتهم المقدسة.

من ناحية تكوينهم الديني، فان المؤرخين والفقهاء لم يحسموا قضية انتماء اليزيدية للإسلام أم لا. لقد أسيء فهم الفكرة السائدة عنهم بأنهم يعبدون الشيطان: انهم يهابون "الملاك طاووس" رمز قوة الشر (الشيطان) لا حباً به ولكن تجنباً لشره. يشبهون معظم الطوائف "الغالية" التي حاولت ان تغطي معتقداتها العراقية الشامية الأصلية بتلاوين مسيحية واسلامية، مثلما فعل العلوية والدرزية والاسماعيلية والشبكية وغيرهم. ان اليزيدية تمثل خلاصة الدين العراقي القديم القائم على تقديس الكواكب السبعة المعروفة، والذي تأثر واضطر لتقبل المعتقدات السامية الجديدة التي انبثقت في المنطقة بعد سقوط بابل: المسيحية ثم المانوية البابلية ثم الاسلام. أي ان اليزيدية هم من بقايا المجاميع العراقية السريانية التي فرض عليها التاريخ، للحفاظ على دينها الأصلي، ان تتقبل بعضاً من معتقدات الأديان الجديدة. بل ان ديناميكية اليزيدية اضطرت كذلك لتقبل ثقافات الأقوام الجديدة التي فرضت نفسها على المنطقة، أي ثقافة العنصر العربي أولاً ثم ثقافة العنصر الكردي الذي هيمن في القرون الأخيرة.

رغم تكتم اليزيدية ومحاولة ابتعادهم عن اثارة الطوائف الإسلامية والمسيحية المحيطة بهم، فانهم تعرضوا لحقبات من الاضطهاد والمذابح المعروفة خصوصاً في زمن الدولة العثمانية. في القرن التاسع عشر قام العثمانيون بتحريض بعض الاغوات الاكراد من اجل شن حروب ابادة ضد يزيديي جزيرة ابن عمر في منطقة الجزيرة وكذلك تم ذبح الآلاف في جبل سنجار لاجبارهم عن التخلي عن دينهم. في عام 1847م حاولت الحكومة العثمانية إجبارهم على الخدمة العسكرية باعتبارهم طائفة إسلامية، وبعد مذابح كثيرة اضطر الكثير منهم للجوء للكنائس وإعلان مسيحيتهم للتخلص من الاضطهاد الكردي العثماني. وتكررت المذابح كذلك في عام 1872 لنفس السبب. حاولت البعثات التبشيرية الأوربية كسبهم الى المسيحية دون ان تحقق نجاحاً ملحوظاً. يبدو انهم قد لعبوا دوراً مميزاً بالتحالف مع السريان في ضم الموصل الى العراق في عام 1925.

عدد اليزيدية ربما يبلغ الآن اكثر من 300 ألف في العراق، 85% منهم يقطنون في جبل "سنجار" غرب الموصل، والباقون في قريتي "الشيخان" و"باعذرى" شرق الموصل. بعض اليزيدية موجودون أيضاً في سوريا وفي تركيا وفي أرمينيا.

رغم ديمومة تداول اللغة الكردية مع العربية في نواحي اليزيدية فان هناك شعوراً متنامياً لديهم باصولهم السريانية الرافدية. في عام 1919 اشتركوا مع الآشوريين بوفد موحد بقيادة الجنرال آغا بطرس في مؤتمر السلام في باريس للمطالبة بحقوقهم. لقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط في /24 - 2 - 1993/ برقية من شيخ اليزيدية الأمير معاوية يقول فيها: "انه ليس لمسعود البرزاني ولا جلال الطلباني - القادة الاكراد - الحق بالادعاء بانهما يمثلان اليزيديين والآشوريين". ثم نشرت مجلة "حويودو- الوحدة" السريانية (عدد 43-1994) بياناً للأمير معاوية يتحدث فيه عن: "نبتة أجدادنا أيام الامبراطورية الآشورية..... اننا فهمنا تاريخنا باننا والآشوريين من أصل واحد....."

ان من يطلع على تاريخ اليزيدية يكتشف ان هذه الطائفة تمثل خلاصة رائعة لتاريخ منطقة شمال الرافدين (منطقة الجزيرة). يمكن اعتبار اليزيدية أشبه بقصر تاريخي مظهره إسلامي مزين بنقوش عربية وعبارات كردية. لكن لو أزلنا هذه الاصباغ الخارجية عن الجدار لأكتشفنا تحتها طبقة من نقوش مسيحية بأيقونات ملونة وصلبان منحوتة. ولو تعمقنا اكثر بالحفريات لأكتشفنا طبقة ثالثة من جداريات آشورية ورسومات آلهة النهرين وكتابات مسمارية. ولو تعمقنا في الحفريات سنصل الى أعماق تاريخ المنطقة وجذورها البدائية المنسية. الحقيقة ان جميع طوائف واديان العراق وسوريا تتشابه في هذه الطبقات الأثرية المخفية، لكن اليزيدية من بين الكل هي اقل الطوائف التي نجحت بإخفاء طبقاتها التاريخية، بحيث تبدو وكأنها موزاييك رائع للتراث الديني والاقوامي لبلاد ما بين النهرين. يمكن ملاحظة هذا التنوع العجيب في اليزيدية من خلال الأمور التالية:

- إعتقادهم بأنهم من نسل آدم وليسوا من نسل حواء، وإنهم أتوا بعد الطوفان.

- إعتقادهم بالكواكب السبعة المقدسة لدى العراقيين، لكنهم غيروا أسماء الآلهة البابلية بأسماء الملائكة السريانية المسيحية: يودائيل وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل وشمنائيل ونورائيل، أما زعيم الملائكة الاكثر قدسية فهو عزرائيل "الملك الطاووس"، الذي تصوره البعض على أنه "الشيطان". ويمثل هؤلاء الملائكة سبعة شيوخ مقدسين مثل الشيخ عدي والشيخ حسن وأبو بكر.

- يحتفلون بأول أربعاء من شهر نيسان بهبوط الملاك "طاووس" الى الأرض، مثلما كان يحتفل العراقيون في بابل وآشور بشهر نيسان أول أشهر السنة حسب التقويم البابلي، لأنه شهر الربيع والخصب والميلاد والبداية. وهو عيد الاله (تموز). ويبدو جليا ان هناك تشابها بين اسمي (طاووس وتموز). نفس هذا الشهر أيضا كان يحتفل المانوية البابليون بيوم صلب "ماني البابلي" وخلوده في الأبدية، وكذلك هو عيد الفصح وعودة المسيح للحياة.

- إنهم اقتبسوا من المانوية مسألة تناسخ الأرواح وانتقال البشر بين حيوات عدة.

- إنهم يشتركون مع المسيحيين في الكثير من المناسبات والأعياد مثل عيد الفصح والقيامة وكذلك التعميد بالماء وقطع الخبز، ثم زيارة الكنائس والحج لمزار الشيخ عدي المقدس أيضا لدى المسيحيين في العراق.

- إنهم يشتركون مع المسلمين بالصيام والختان وتقديس القرآن وبعض رجالات الدين.

- إنهم يحتفلون بعيد "القربان" أي عيد الاضحى حيث ضحى النبي إبراهيم بولده إسماعيل.

- إنهم يعتمدون التقويم الشمسي الشرقي الذي كان يعتمده من قبلهم اهل النهرين في بابل وآشور.

إنهم يمتلكون تنظيما دينيا هرميا مثل نظام الكنيسة المسيحية والمانوية وكذلك الشيعة الجعفرية. بالإضافة الى تقديسهم أحفاد عدي والحسن البصري مثلما يقدس الشيعة أحفاد الأمامين علي والحسين.

امير الطائفة يدافع عن عراقية طائفته*

((يمكن إعتبار اليزيدية اشبه بقصر تاريخي مظهره اسلامي مزين بنقوش عربية وعبارات كردية. لكن لو ازلنا هذه الأصباغ الخارجية عن الجدار لإكتشفنا تحتها طبقة من نقوش مسيحية بأيقونات ملونة وصلبان منحوتة. ولو تعمقنا اكثر بالحفريات لاكتشفنا طبقة ثالثة من جداريات آشورية ورسومات آلهة النهرين وكتابات مسمارية. ولو تعمقنا في الحفريات سنصل الى اعماق تاريخ المنطقة وجذورها البدائية المخفية. ان اليزيدية من بين الكل هي اقل الطوائف التي نجحت بإخفاء طبقاتها التاريخية، بحيث تبدو وكأنها موزاييك رائع للتراث الديني والأقوامي لبلاد النهرين)).

ان هذا المقطع الوارد في كتاب (الذات الجريحة) للمفكر العراقي (سليم مطر) هو في اعتقادنا افضل ما عبر عن تاريخ تطور اليزيدية وجذورها الدينية. ان تاريخ الطائفة اليزيدية يشبه كثيرا تاريخ باقي الطوائف الباطنية الموجودة في المنطقة، مثل الدروز والعلوية. انها كانت في الأساس طوائف قديمة منعزلة في المناطق الجبلية، ومن اجل ان تحافظ على نفسها كانت تتقبل تأثيرات الثقافات واللغات والأديان الجديدة المهيمنة على مناطقها.

صحيح ان اليزيدية لها جذورها العراقية القديمة، الا انها إتخذت طابعها واسمها (اليزيدي) الأموي المتميز بعدما دخل فيها الجنود الأمويون الشاميون (12 الف مقاتل) والذين استقروا في شمال العراق بعد هزيمتهم في معركة (الزاب الأعلى) بقيادة آخر خليفة أموي (مروان الثاني) في 750م.. لكن هذا التأثير بقي من الناحية البشرية وسببا لوجود العوائل الأموية في طائفتنا، لكن التأثير الأكبر حدث بعد مجيء (عدي بن مسافر) (رض) في القرن 12 م، وهو متصوف شامي اصله من (بعلبك) في لبنان، ومن

* كتب هذا المقال الامير انور معاوية وتم نشره في عدة صحف في لندن والسويد.

السلالة الأموية. قام هذا الشيخ الجليل بتجديد ديانتنا النابعة من شمال وطننا العراق بميراثه الآشوري البابلي، وتأصيلها مع ديانة سيدنا (ابراهيم الخليل).

حول بعض التشويهات والخرافات

ان طائفتنا مثل كل الطوائف الباطنية المغلقة، كانت عرضة للتقولات والإشاعات المغرضة التي تبرر إضطهادها. تتمحور هذه التقولات المعادية حول فكرتين: اننا من عبدة الشيطان، وإننا كذلك متعصبون للأصل الأموي ومعادون للشيعة..

بالحقيقة ان تهمة "عبادة الشيطان"، هي تهمة باطلة تم إصطناعها من قبل الأطراف العثمانية والكردية المجاورة التي ارادت تبرير إضطهاد اليزيدية والاستيلاء على قراهم. لقد تدعمت هذه التهمة الباطلة لدى كثير من الناس لأنهم يشاهدون الإنسان اليزيدي يتأفف ويغضب عندما يسمع عبارة: (لعنة الله على الشيطان..). والسبب بغضب اليزيدية من هذه العبارة ليس له اية علاقة بتقديس الشيطان، بل لأنه يعرف بأن الناس تقولها من اجل إغاضته. فمن المعلوم اننا نحن اليزيدية نعبد ألله الواحد الأحد ومن بعده جبرائيل (طاووس ملك) ونؤمن بالنبي ابراهيم الخليل الذي نعتبره جدنا الأكبر بعد آدم، ونقدس ايضا يزيد بن معاوية باعتباره رمز سلالتنا الأموية، وكذلك عدي بن مسافر باعتباره باني طريقتنا الروحية وجامع كتابنا المقدس (الجلوة والأسود).

اما بالنسبة لموقفنا السلبي من الشيعة، فهذه ايضا فكرة ليس لها اساس من الصحة. اكبر دليل على احترامنا للإمام علي وابنائه، ان اسماء علي وحسن وحسين منتشرة بكثرة بين ابناء طائفتنا، حتى ان اسم جدي الرابع هو (الأمير علي بك) والذي منح اسمه لـ (شلال كلي علي بك) في شمال العراق. واحد ابنائه اسمه حسن. ونحن شخصيا تشرفنا بزيارة المراقد المقدسة في النجف وكربلاء ونعتبر السلالة العلوية ابناء عمومتنا وليس لنا علاقة بالمأساة التي حدثت للشهيد الحسين، ونعتبر الصراع الذي دار هو خلاف بين عائلة واحدة، وكما قال شيخنا عدي بن مسافر (رض): ان معاوية وعلي إمامان مجتهدان، ولكن المصيب بينهما هو علي.

تاريخ مقاومة وتضحيات

ان طائفتنا خلال القرون الطويلة قد تعرضت لحملات إضطهاد عديدة ادت الى تقليص وجودها في مناطق شمال العراق وعموم منطقة الجزيرة في سوريا وتركيا. من المعروف ان منطقة شمال الرافدين هي واحدة من اكثر المناطق توترا في العالم طيلة التاريخ، بسبب كونها مركز التقاء اربعة اقطاب حضارية جبارة ومتنافسة: العراق وسوريا وايران وتركيا.. ويبدو ان القبائل الكردية في القرون العثمانية مرت بموجة انفجار سكاني جعلها تهبط من جبال زاغاروس بحثا عن الكلأ وللاستفادة من مغريات العثمانيين لمشاركتهم في حروبهم للسيطرة على المنطقة. لهذا قام الأغوات الأكراد بتكوين الفرق الحربية (عرفت فيما بالفرق الحميدية) المسلحة والممولة من قبل العثمانيين بشن حروب الإبادة العرقية وفرض الديانة الإسلامية والمذهب السني العثماني على كل الجماعات المختلفة التي تعيش منذ قرون طويلة في المنطقة: الأرمن والسريان واليزيدية والتركمان العلوية.. طائفتنا مثل الطوائف الأخرى تعرضت دائما لحملات ابادة وأسلمة وتكريد بحجة محاربة (اتباع الشيطان)، حتى تم القضاء على مناطق بكاملها كانت معروفة بطبيعتها اليزيدية. من الأحداث المعروفة للمؤرخين تلك المذابح التي جرت في اواسط القرن الماضي والتي قام بها الأمير الكردي بدرخان في منطقة بوتان وحكاري وشمال الموصل، ضد اليزيديين والسريان المسيحيين. كذلك مذابح امير سوران الكردي (محمد باشا الراوندوزي) ضد القرى اليزيدية العزلاء في مناطق شيخان ونهر دجلة وجبل القوش وسهول الموصل، حيث تم إغتيال جدي (علي بك) الذي منح اسمه لشلال كلي علي بك. وقد نجحت حملات الإضطهاد هذه بالقضاء على الوجود اليزيدي بين كركوك والزاب الأعلى وتحويل المنطقة الى كردية.

كانت هنالك الكثير من القرى اليزيدية في داخل المناطق الكردية لكنها كلها انتهت اما هربا او اجبرت على إعتناق الإسلام. ثمة حقيقة ساطعة لا يمكن لأي انسان ان يتنكر لها: ان اليزيديين صمدوا وحافظوا على هويتهم الدينية في المناطق العراقية الخالية من الأغلبية الكردية، مثل سنجار الواقعة على خط الحدود العراقي السوري! يمكن التذكير بأنه في بداية القرن وحده قد

قام الأغوات الأكراد بعملية ذبح وتشريد اكثر من مليون ارمني ومئات الآلاف من السريان واليزيدية. ان الجزء الأكبر مما يسمى الآن بكردستان تركيا وكردستان العراق لم يكن بأغلبية كردية حتى اواخر القرن 19، لكن استمرار التصفيات العرقية والدينية ضد الأرمن والسريان واليزيدية وضد التركمان العلوية هي التي ادت الى تكريد هذه المناطق.

مشكلة الإنتماء القومي

هنالك للأسف بعض الجهات الحزبية الكردية التي تحاول بشتى وسائل الإغراء والضغط وشراء الذمم من اجل فرض الهوية الكردية على طائفتنا وسلخنا من هويتنا العراقية، بحجة ان قسما من ابناء طائفتنا يتكلم الكردية. من المعلوم ان طائفتنا تضم مؤمنين من مختلف الأقوام التي عاشت وتعيش في شمال الرافدين (منطقة الجزيرة) بقسمها العراقي خصوصا (ولاية الموصل) وكذلك قسميها السوري والتركي. هنالك في طائفتنا ذوو اصول كردية وعربية وسريانية وحتى ارمنية وتركمانية. ونحن نعتقد انه من الخطأ الحكم على هوية طائفتنا من خلال اللغة وحدها، بل يتوجب الأخذ بنظر الإعتبار الشروط الأخرى، وهي التاريخ وطبيعة المكان وكذلك طبيعة ميراثنا وتقاليدنا. فمثلا إن تكلم بعض اليزيدية باللغة الكردية لا يعني ابدا انتمائهم "العرقي القومي" للأكراد، فليس كل الناطقين بالعربية هم عرقيا عرب. وهذه حالة عالمية معروفة فليس كل الناطقين باللغة الاسبانية هم اسبان ولا كل الناطقين بالأنكليزية هم انكليز، لأن اللغة تفرض وتنتشر لعدة عوامل منها الهيمنة السياسية وعلاقات الجيرة والتزاوج.. هنالك مثلا في شمال العراق الكثير من المسيحيين الأرمن والسريان من يتكلم الكردية. علما بأن مناطق تواجدنا الحالية كلها تنطق بتاريخ عراقي واضح ومعروف، ولا زالت كلها تحمل اسماء آرامية مثل سنجار وشيخان وباعذري.

في كل الأحوال نحن نعتز بأخوتنا الأكراد ونفتخر بأن هنالك قسما من ابناء طائفتنا يتكلمون الكردية، لكن هذا لا يمنعنا بأن نفتخر بإنتمائنا العراقي وان طائفتنا تمثل خلاصة تاريخ شمال العراق وعموم منطقة الجزيرة من النواحي الدينية والحضارية واللغوية. لهذا فأن الأغلبية من ابناء طائفتنا يرفضون هذه الضغوطات الحزبية الكردية من اجل اقحامنا في اللعبة السياسية الخطرة وزيادة عذابات طائفتنا وتعريضها لمخاطر المشروع الغربي الصهيوني الأمريكي لبلقنة العراق وعموم منطقة الشرق الأوسط. ونحن نعتقد ان الحل الأفضل الذي نتمسك به، ان كل قسم من طائفتنا ينتمي للبلد الذي يعيش فيه، فنحن عراقيون في العراق، ونحن سوريون في سوريا، ونحن اتراك في تركيا. علما بان هذا ليس موقفا خاصا بنا ، بل هو عموما موقف جميع الطوائف الدينية في انحاء العالم.

التهديدات الحزبية

من المعلوم انه في اوربا وبالذات في المانيا هنالك جالية يزيدية كبيرة قد تبلغ عشرات الآلاف، وهم بأغلبيتهم الساحقة مهاجرون من تركيا، وهنالك الكثير منهم متعاطفون مع حزب العمال الكردي المدافع عن الاتجاه التكريدي لليزيدية. بالحقيقة ان هذه ليست المرة الأولى التي يتعاطف بها بعض ابناء طائفتنا الى جانب حزب معين. علما بان اليزيديين الذين هاجروا من تركيا هربوا اساسا من اضطهاد الأكراد لهم باعتبارهم خارج ملتهم. ان هذا مثبت في إفادات اليزيديين الهاربين من مناطقهم وفي سجلات المحاكم المختصة الألمانية.

لكن بسبب الحملات الإعلامية الجبارة المدعومة من شتى الجهات العالمية الغربية وحتى الصهيونية التي تدعي الحيادية والعلمية، بالإضافة الى سياسة الترغيب والترهيب التي تستخدمها بعض الأحزاب الكردية وبالإعتماد على حجة ان اللغة الكردية موجودة بين طائفتنا.. اضافة الى اننا عانينا من تجاهل الأحزاب العراقية لنا بسبب وضعنا الطائفي الخاص، ولم يتجه الينا في السنوات الأخيرة غير هذه الأطراف الكردية، كل هذا ادى للأسف ان تتغلغل بين شبابنا في الخارج هذه التيارات القومية الكردية المنافية لخصوصيتنا الدينية وانتمائنا الوطني.

لقد نجحت المؤسسات العالمية الاستشراقية والفضائيات الكردية ان تخلق لنا تاريخا وتراثا آريا ايرانيا كرديا ونفي كل ما هو عراقي واموي في تاريخنا، بل انهم يصرون على جرح مشاعر ابناء طائفتنا وتغيير اسمهم من "يزيدية" الى "أزدية" لكي يتلائم مع ادعاءتهم القومية.

لكننا نظل نقاوم مثل هذه الضغوطات والمنزلقات الخطرة، وبدعم الكثير من الشباب اليزيدي المثقف وخصوصا من المقيمين في الوطن، رغم محدودية إمكانياتنا المادية لأننا لم نتلقى الدعم من اية جهة، لا حزبية ولا حكومية ولا عالمية. اننا بالتدريج نحقق النجاحات بتدعيم الوعي بخصوصيتنا الطائفية واستقلاليتنا عن المشاريع القومية الكردية واصالة إنتمائنا للأمة العراقية ولتاريخها العريق. ونأمل بهذه المناسبة ان تبادر الأحزاب العراقية والنخب الوطنية الواعية الى تفهم ابعاد ومخاطر هذه الحملة العالمية الجبارة من اجل تكريدنا وفصلنا عن عراقيتنا. نتمنى ان تبادر هذه الجهات والنخب المثقفة العراقية الى القيام بحملة وطنية مضادة من اجل التضامن معنا ومساعدتنا على التمسك بهويتنا الوطنية المهددة من كل الجهات.

يزيدية أم إزيدية

هنالك للأسف دعوة من قبل بعض القوميين ذوي الميول الآرية الى رفض تسمية (يزيدية) لتحل محلها تسمية (إزيدية)، باعتبارها هي التسمية الإيرانية الكردية الأفضل. رغم ما في هذا التحريف للتسمية من تجريح واستخفاف بمشاعر ابناء طائفتنا.

ان دعوة تسمية اليزيدية بتسمية جديدة (ازيدية) هو امر خاطئ ليس له أي اساس من الصحة. هذه الدعوة التحريفية نشأت منذ عدة اعوام اولا بدفع من الأحزاب الكردية الموالية لإيران وللنزعة العرقية الآرية الشاهنشاهية، ثم امتدت ثقافيا الى الأحزاب الكردية العراقية والتركية. وملخص هذه النزعة الآرية المدعومة غربيا، هي محاولة إرجاع كل التاريخ والميراث الديني والحضاري للمنطقة الى اسس عنصرية آرية معادية للشعوب السامية والتركستانية.. مثلا بخصوص إدعاء تشابهنا مع الزرادشتية ، اجتمعنا نحن في دبي عام 1991 مع بعض شيوخ الديانة الزردشتية (المجوسية) القادمين من الهند، وبعد نقاش طويل اقتنعنا بأن ليس هنالك اية تشابهات ايمانية او طقسية ونحن نختلف عن بعضنا مظهرا وجوهرا ، وهذا يدحض كل ادعاءات التكريد التي تصر على ارجاعنا الى الديانات الإيرانية والهندية الآرية.

ان كتاب (الذات الجريحة) يشرح بالتفصيل كيف ان هذه النزعة الآرية الغربية جعلت مثلا كل مصادر الحضارة العربية (آرية: اغريقية ايرانية هندية)، كذلك تم اعتبار كل التاريخ الحضاري العراقي في العصر الإسلامي ومعه الشخصيات العراقية المعروفة، كلها اعجمية ايرانية، باعتبار الناطقين بالعربية عرب بدو منقطعين عرقيا وحضاريا عن الميراث والتاريخ العراقي السابق للفتح الإسلامي! يبدو ان حملة التفريس والتعجيم والتكريد هذه قد شملت برحمتها في السنوات الأخيرة طائفتنا اليزيدية، ليس تاريخها وميراثها فحسب، بل حتى اسمها الذي تعتز به منذ قرون طويلة.

ان هؤلاء السادة القوميين يجب ان يعرفوا بأن اسم الطائفة ليس موضة معينة يمكنهم تبديلها حسب الأهواء ومصالح الأحزاب السياسية. فنحن (يزيدية) ونبقى (يزيدية)، ونعتز بإصولنا الدينية العراقية. ان اليزيدية في كل انحاء العالم مكان حجهم ومركز ديانتهم المقدس منذ الأمبراطورية الآشورية البابلية هو جزء من منطقة نينوى، وان اليزيدية مرتبطة بأرض العراق دينا وارضا وشعبا.

ان جميع الإستكشافات الأثرية التي جرت في مناطق سنجار والشيخان، وكل الآثار والمسكوكات واللقى الأثرية التي تم العثور عليها في مناطقنا، جميعها بابلية آشورية ولم يعثر حتى الآن على قطعة اثرية واحدة تدل على وجود ميديين او زردشتية او مجوسية او أي شيء يخص الحضارة الإيرانية. حتى الكتابة اليزيدية التي استخدمها اليزيديون لتدوين كتبهم المقدسة (الجلوة والكتاب الأسود)، مكتوبة بنوع من الخط الآرامي، وهي موجودة في متاحف اوربا.

علما بأن هذا التوجه المتأخر نحو طائفتنا لم يكن بأسباب علمية ولا دينية، بل بأسباب استراتيجية تتعلق بالمشاريع الخطيرة التي يتم طبخها في الكواليس الغربية والصهيونية بخصوص بلدنا العراق وعموم منطقة الشرق الأوسط.

بهذه المناسبة نحن نتمنى وندعو جميع المثقفين العراقيين وجميع الجهات الحريصة على وحدة العراق وشعبه بكل فئاته، وبالتنسيق مع المثقفين اليزيديين، من اجل تكوين المؤسسات الثقافية واللجان الدراسية الجادة والوطنية التي تحترم خصوصيتنا اليزيدية وهويتنا العراقية، من دون مزاودات قومية مهما كانت كردوية او عروبية.. فنحن يزيديون عراقيون وكفى..

***

الخلافات حول زعامة الطائفة

لتكملة المعلومات عن ماضي وحاضر اليزيدية نورد هنا مقطعا من حوار صحفي سبق وان اجريناه مع امير الطائفة يوضح به مسألة الخلاف حول زعامة الطائفة:

- ماهي قصة الخلاف حول إمارة الطائفة، فمن المعروف ان هناك فئتين متنافسين حول امارة الطائفة، أنتم شخصيا حيث تقيمون في المانيا منذ اعوام وكذلك هنالك ابن عمكم الأمير تحسين المقيم في سنجار في العراق..؟

ان هذه قصة يطول شرحها. تعود جذور الخلاف الى زمن والد جدي المرحوم (الأمير عبدي بك) الذي اوصى بالإمارة من بعده الى ولده إسماعيل بك، وهو جدي المباشر. ولأنه كان حينذك قاصرا ولم يبلغ سن الرشد فقد استلمت الإمارة اخته الكبرى (ميان خاتون) كوصية مؤقتة. ولكنها رفضت فيما بعد تسليم الإمارة الى اخيها وفضلت تسليمها الى إبنها (سعيد بك). بعد استفحال الخلاف انقسمت الإمارة الى إتجاهين، كل منهما مع طرف. انصار جدي (إسماعيل بك) في سنجار وانصار (ميان خاتون) في الشيخان حيث سيطرت على مزار (الشيخ عدي). بعد الحرب العالمية الأولى وسيطرة الإنكليز وقيام الحكومة الملكية تم دعم جدي ومناصرته بسبب رفضه للمطالب العثمانية بولاية الموصل. أخيرا تم الإقرار بأن يستلم جدي الإمارة الدينية والدنيوية، وان تكون لمنافسه (سعيد بك) حق الإشراف على المزار المقدس، وان يتم تقاسم عائدات المزار. ولكن الخلاف بالحقيقة لم ينته تماما، بل إنتقل الى ولديهما من بعدهما (بايزيد بك بن اسماعيل بك) و(تحسين بك بن سعيد بك). في اعوام السبعينات تدخل الرئيس صدام حسين شخصيا لحل الخلاف حتى توصلت المداولات في عام 1980 الى صدور مرسوم جمهوري موقع من الرئيس يقرر فيه تعيين عمي (بايزيد بك) اميرا للطائفة. وبعد وفاة عمي انتقلت الإمارة الى ابي (الأمير معاوية) ومنه انتقلت اليّ عام 1991. اما الأمير تحسين بك، فانه لا زال حيا ويشرف على مزارنا المقدس. وهو رغم مطالبته بالإمارة فإنه لا يمتلك اية وثائق رسمية بذلك.

مطالب وحقوق اليزيدية

يمكن اعتبار هذه المطالب والحقوق الخاصة باليزيدية، نموذجا للتعامل المطلوب مع باقي الفئات العراقية المختلفة. ان المبدأ الذي يتوجب اعتماده من قبل النظام الوطني الديمقراطي المقبل في التعامل مع الفئات العراقية، يتلخص بالتالي:

- من ناحية، يتوجب الاعتراف بخصوصية كل فئة عراقية سواءا لغويا او مذهبيا او دينيا، ورعايتها رسميا واعلاميا وثقافيا. يجب عدم التخوف من الاعتراف بالخصوصيات الفئوية والمحلية لأنها دليل غنى وخصوبة الأمة العراقية.

- ومن ناحية ثانية مكملة للاولى، يتوجب تجنب المغالاة والتطرف في التأكيد على هذه الخصوصيات الفئوية لحد اعتبارها متناقضة مع حقيقة الانتماء المشترك للعراق وتاريخه وميراثه الغني المتنوع. نعم ان المغالاة بالخصوصية كثيرا ما ادى الى تبرير طروحات التخلي عن الهوية العراقية والانتماء الى هويات اقوامية ودينية خارجية وتمجيد الطروحات القومية الانفصالية وما يسمى بحق تقرير المصير، وغيرها من الشعارت التي يدعو الغرب الى تطبيقها علينا وهو نفسه الرافض لتطبيقها على اوطانه!

نعم ان مبدأنا في التعامل مع الفئات العراقية مثل كل المبادئ الاخرى التي نؤمن بها، قائم على اساس "المنهج الوسطي" الذي يعني اختيار "الموقف الوسط" بين موقفين متطرفين: بين انكار الخصوصيات ومحاولة الغائها .. والمغالاة بتضخيم الخصوصيات وجعلها منافية للهوية الوطنية.

اما بالنسبة للمثال اليزيدي، فان الذي يميز هذه الطائفة عن باقي الفئات العراقية انها لا تمتلك مطالب فئوية خاصة بها، بل ان مطالبها هي جزء من مطلب الديمقراطية والحقوق المدنية التي تشمل عموم الشعب العراقي. ولكن مع هذا يمكن تسجيل المطالب التالية التي تمكنا من تحديدها من خلال متابعتنا لطروحات اليزيدية والحوارات التي اجريناها مع مختلف الشخصيات المعنية:

1 - اليزيدية يطالبون الدولة العراقية باعادة اراضيهم التي صادرتها اوائل الثمانينات في مختلف انحاء محافظة نينوى وخصوصا في الشيخان وسنجار. الغريب ان الاجهزة المعنية سبق لها ان قيدت اليزيدية في السجلات الرسمية بانهم "عرب"، لكنها مع هذا ظلت تشكك بنقاوة دمائهم! لهذا راحت بين حين وآخر تصادر املاك العشائر اليزيدية لتمنحها لعشائر "اكثر نقاءا" من الناحية العروبية! من الجدير بالذكر ان الكثير من العشائر العربية المجاورة مثل الجبور والدليم والبومتوت قد رفضت بكل شيمة هذه السياسة العنصرية وابت الاستيلاء على اراضي اشقائهم اليزيدية.

2 - اليزيدية يطالبون الاحزاب والحركات القومية العروبية منها او الكردوية او الآشوروية، بالكف عن حشر طائفتهم في طروحاتهم القومية العرقية، وتشويه تاريخهم من خلال اضفاء الصبغة القومية العرقية المتعصبة التي تفصل اليزيدية عن التاريخ الوطني العراقي. ان اليزيدية بحاجة الى الاعتراف بهم كفئة دينية عراقية اصيلة تجتمع في داخلها كل تنوعات الأمة العراقية لغويا ودينيا وتاريخيا، فهم لغويا يجمعون التأثير السرياني والعربي والكردي ، ودينيا يجمعون الميراث الديني العراقي بكل تنوعاته ومراحله: عبادة الكواكب العراقية ثم المسيحية والمانوية البابلية ثم التصوف الاسلامي. انها ديانة عراقية رافدينية اصيلة بكل ما للكلمة من معنى.

3 - اليزيدية يطالبون الدولة والمؤسسات العراقية المعنية وكذلك الاحزاب برفع الحصار الثقافي والاعلامي المفروض على طائفتهم منذ اجيال طويلة من دون باقي الطوائف، ومن اجل التعريف بهم اعلاميا وثقافيا باعتبارهم فئة عراقية مثل باقي الفئات. ان تاريخ اليزيدية للاسف مليء بالمعاناة وحتى المجازر التي قامت بها بعض الاطراف الدينية والاغوات الاكراد المدفوعين من قبل العثمانيين من اجل الاستيلاء على اراضيهم واملاكهم بحجة انهم كفرة يعبدون الشيطان. لهذا فان اليزيدية الآن هم اكثر من باقي الطوائف العراقية بحاجة الى عناية خاصة من قبل المؤسسات والاحزاب للتعريف بهم ورفع الغبن التاريخي عنهم وابعاد التشويهات والمواقف السلبية التي لفقتها العقليات المتعصبة والطامعة باملاكهم. ويتضمن هذا المطلب، عدا التعريف بميراثهم وطقوسهم واحتفالاتهم في الصحافة والراديو والتفزيون، ان يتم كذلك السماح لهم، مثل باقي الفئات العراقية، بتكوين المنتديات الاجتماعية والمؤسسات الثقافية الخاصة بهم من اجل التعريف بأنفسهم وبحقيقة معتقداتهم ومن اجل تعزيز التقارب والتعايش والحوار مع الفئات العراقية المختلفة.

4 - اليزيدية يطالبون مثل باقي الفئات العراقية، بان يتم تمثيلهم في النظام الديمقراطي المقبل في مختلف مؤسسات الدولة والجيش والبرلمان، طبعا من دون اللجوء لنظام المحاصصة على الطريقة اللبنانية، بل بطريقة عرفية على النمط السائد في باقي الانظمة الديمقراطية.

5 - اليزيدية يطمحون ان تتحول بغداد الى عاصمة (دينية - ثقافية) لليزيدية العراقيين وباقي يزيدية العالم. ويعني هذا المطلب ان يقام في بغداد (مركز ثقافي - ديني) خاص بالعناية بشؤون اليزيدية من كل النواحي الدراسية والدينية والاجتماعية والتنظيمية. بالحقيقة ان هذا المطلب الوطني يأتي بالانسجام مع الفكرة المطروحة بالتأكيد على تحويل بغداد الى عاصمة وطنية (دينية - ثقافية) لجميع الطوائف الدينية العراقية، مثلما كانت ايام عصرها الذهبي في الفترة العباسية، ومثلما كانت قبلها (بابل) التي فيها "تبلبلت" الالسن وتنوعت الافكار والاديان.

مقالات وتعقيبات صحفية عن اليزيدية

نورد هنا مقاطع من مقالات وتعقيبات خاصة بموضوع اليزيدية. والمقطع الاول هو جزء من مقال موسع عن تشويه التاريخ العراقي من قبل القوميين الاكراد. وهذا المقال واحد من عدة مقالات كتبناها واثارت العديد من ردود الفعل الايجابية والسلبية مع تعقيبات عشرات القراء والكتاب، كلها تتمحور حول عراقية او كردوية اليزيدية:

تشويه تاريخ اليزيدية*

نعم إن الحديث عن التاريخ والتراث يفقد تماماً براءته العلمية عندما يصبح جزءاً من مشروع سياسي قومي امبراطوري..

لايهم أن يتم اعتبار الطائفة اليزيدية كردية وأن كلمة "يزيد" هي "أزد" الإيرانية وكل تراث هذا الدين أصله آري فارسي، بل ليقولوا إن العراق كله أصله آري أو صيني، ففي كل الأحوال كل شعوب العالم لها أصل ما من خارج الوطن قبل قرن أو قبل مليون عام.. ولكن أن يقال كل هذا من أجل أن يتم تبرير ضم سنجار وكل الموصل وكركوك وشمال العراق، بل حتى جزء من الوسط ابتداءً من الكوت فما فوق إلى مشروع ((كردستان الكبرى))، فإن الأمر يصبح مختلفاً ويتطلب التدقيق والحذر..

أنا شخصياً، لو أتى الأكراد وأقنعوني بأني أنا وعشيرتي أصلنا أكراد، سوف يكون الأمر طريفاً بالنسبة لي وسبباً لإغناء خيالي الأسطوري وميراثي الشخصي. لكن رد فعلي سوف يختلف وينقلب تماماً عندما أكتشف بأن الهدف من إقناعي بكرديتي هو ضم منطقتي إلى مشروع كردستان الكبرى!

دعهم يقولون إن كركوك تاريخياً وجغرافياً كردية، فنحن نوافق حتى أن يقولوا عن بغداد ومدينة الثورة وعن النجف، بأنها كردية.. ولكن أن يتباكوا ليل نهار في صحافتهم وفضائياتهم العالمية على كركوك ويطلقوا عليها (كركوك السليبة) و(قدس الأكراد) فإن الموضوع يصبح مختلفاً..

إننا لا نبالغ أو نصطنع الكلام. اتصلوا بأي طرف سياسي كردي، مهما ادعى العراقية وردد شعار "الحفاظ على وحدة العراق" واطرحوا عليه السؤال التالي:

- ماهي كردستان الكبرى التي تناضلون من أجل استقلالها وتوحيدها ؟

يجيب على هذا السؤال السيد (مامو عثمان) من خلال رده في هذه الجريدة (6 - 12- 2000)، إذ أطلق بكل بساطة على ولاية الموصل، أي شمال العراق كله، تسمية (كردستان الجنوبية). وهذه مقتطفات حرفية من كلامه:

((ولاية الموصل في الجزء الجنوبي من كردستان.. أما كردستان الجنوبية التي كان يشار إليها بولاية الموصل.. الأكراد في ولاية الموصل بعد إلحاقها في العراق.. الحقائق التاريخية التي تؤكد على كردية سنجار الأصلية، حالها حال المناطق الكردية الأخرى كركوك وخانقين وشيخان والتي يحاول النظام العراقي قسراً بترها من الجسد الكردستاني وما محاولة السيد مطر إلا خدمة لمحتلي كردستان)) !!

نعم إن كردستان محتلة من قبل العراقيين مثلما كان الفرنسيون يحتلون الجزائر.. نعم العراقيون مستعمرون مثل أي مستعمر آخر.. ولكي نتبرأ من هذه التهمة الاستعمارية الخطيرة علينا أن نتخلى عن ثلث العراق من الكوت حتى سنجار والمسمى بـ ((كردستان الجنوبية)).. فلا ندري في أي محل من الإعراب يمكن وضع شعار: ((الحفاظ على وحدة العراق..)) إنه ضحك على الذقون.. أليس كذلك ؟

---

* عن هذا المقال راجع جريدة الزمان اللندنية (3 – 1- 2001). الجدير بالانتباه ان صاحب هذه الجريدة السيد البزاز هو من الموصل وهو ايضا احد كبار اعمدة الاعلام العروبي الرسمي في العراق، ولكن في لندن تحولت جريدته للاسف الى مركز اعلامي اساسي للبرزانيين الداعين الى اعتبار ولاية الموصل جزءاً من كردستان الكبرى؟!!

إن هذا ليس كلام أقلية كردية متطرفة، بل هو كلام كل الأطراف الكردية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. لكننا نحن وأحزابنا لا نريد أن نثير مثل هذه الأمور، لأنها "أمور شخصية ومخدشة للحياء"، لا يمكن سوى الهمس بها تحت الطاولة وفي الأحلام الليلية.. فهذه عادتنا منذ أجيال وأجيال، كل مشاكلنا الحقيقية غير مسموح سوى الهمس المؤدب بها.. أما الدرس والبحث والحوار العلني والصريح فهذه أمور متروكة للسادة (الآريين) في العالم الغربي الكريم..

لقد احتجنا إلى سبعين عاماً من الانتظار كي يأتينا باحث أمريكي فلسطيني اسمه (حنا بطاطو) ويقنعنا بالأرقام والأسماء والبحث الدقيق الذي استغرق أكثر من عشرين عاماً، بأن هنالك في العراق مشكلة سياسية خطيرة اسمها (الدولة الطائفية). أما أحزابنا ونخبنا فللأسف إنها كانت مشغولة بالتحضير للمشاريع العالمية القومية والأممية والدينية الكبرى..

اليزيدية.. ايرانية هندية ام موصلية عراقية*؟!

سبق لنا في كتابات سابقة عديدة أن كشفنا بالتفصيل عن عملية التشوية الشاملة التي تعرض لها التاريخ العراقي بكل مراحله وتفاصيلة الثقافية والدينية والسياسية والإجتماعية. وكانت عملية التشوية هذه التي بدأت منذ بداية النهضة الحديثة في القرن الماضي، مدفوعة بنوعين من التأثيرات. اولها غايات غربية استشراقية من اجل تهشيم الهويات الوطنية لشعوب المنطقة وتقسيمها الى قوميات وطوائف متناحرة لتبرير المشاريع الإستعمارية والصهيونية. وثانيها دوافع طائفية عثمانية من اجل تقزيم التاريخ العراقي واعتبار العراقيين من اصول بدوية ومنفصلين قوميا وعرقيا عن ميراثهم الحضاري بأكمله، واعتبار كل الأعلام والمصادر الحضارية اعجمية فارسية، او في كل الأحوال قادمة من خارج العراق!!

وطبعا هذا التشوية شاركت به النخب المثقفة العراقية بكل حسن نية نتيجة التأثيرات القومية والطائفية والاستشراقية على العقل العراقي. ويمكننا ان نسمع ونقرأ هذا التشوية في كل حديث وفي كل كتاب وفي كل يوم.

التشويه العرقي للتاريخ

يبدو ان هذا الميل التشويهي التغريبي للتاريخ العراقي جذب في الأعوام الأخيرة الكثير من المثقفين الأكراد. صحيح ان هنالك عددا مهما من المثقفين لا زال يعتز بعراقيته وكرديته، لكن للأسف ان السيطرة والصوت العالي المدعوم دوليا وداخليا هو للمثقفين المتنكرين تماما لكل ما هو عراقي مهما كان واقعيا وحقيقيا. وحجتهم الكبرى هي الرغبة ببناء هوية قومية وتاريخ كردي متميز عن التاريخ العراقي.

رغم كل النوايا الحسنة ودعوات الوحدة الوطنية التي تعلنها القيادات الكردية، الا انه في التفاصيل ومن خلال ما نسمعه ونشاهده ونقرأه في الإذاعات والتلفزيونات والصحف الكردية، نندهش من هذه الحملة الجبارة القائمة على قدم وساق من اجل التمايز عن كل ماهو عراقي. بل يبلغ الأمر حد تفضيل اعتبار اي ميراث كردي قادم من الصين ومن ايران ومن كل بقاع الأرض الا ان يكون قادما من العراق او من أي بلد عربي آخر. وتدعم هذا الإتجاه القومي التغريبي جهات ومؤسسات غربية وصهيونية تدعي الحيادية والأكاديمية والتضامن مع حقوق الأكراد، لكنها في الحقيقة تمهد لمشاريع طويلة الأمد من اجل الإعداد الثقافي والتربوي لحروب قومية ودينية ومذهبية سوف تفوق بكثير ما عاشته المنطقة من قبل..

العماء الآيدلوجي

يمكننا ان نتخذ من المقابلة التي اجرتها جريدة الزمان في (20 - 10 -2000/ ص18) مع الباحث (مامو عثمان) نموذجا ساطعا وقريبا على هذا التعصب الرافض لكل ما هو عراقي. اصر الباحث منذ اول المقابلة حتى آخرها (وهي تقريبا نصف

* نشرنا هذا المقال الرد في الزمان (25 – 11 – 2000).

صفحة من الجريدة!) على اعتبار الديانة اليزيدية (ايرانية هندية!!) بصورة منافية تماما لكل الوقائع التاريخية والدينية والأنثربولوجية، المعروفة والمتداولة.

انه من خلال هذه المقابلة الطويلة اختصر الديانة اليزيدية كالتالي:

((ان تسميتها متأتية من (يزدان) الفارسية.. وانها فلسفة دينية جاءت مع مجموعة فلسفات اخرى اهمها المترائية (الإيرانية).. ان المؤرخين اتفقوا على انها اصل الديانة الكردية وفلسفتها قدمت من الهند قبل الفي عام قبل الميلاد.. وانهم يقدسون العجل الذي هو عجل الإله مترا الذي هو الشمس.. الى آخره))..

بعد قراءة تلك المقابلة، فإن أي قارئ صاحب عقل وضمير، حتى لو كان جاهلا تماما بتاريخ اليزيدية، من المنطقي جدا ان يطرح التساؤل التالي:

- ان عدد اليزيديين في العراق يزيد عن الربع مليون (مع عدد اقل بكثير منتشرين في سوريا والقفقاس)، 90% منهم يقطنون في سنجار، وهناك اقلية في قريتي شيخان وباعذرى الواقعتان ايضا في الموصل لكن في شمالها الشرقي. جبل سنجار يقع غرب الموصل عند حدود سوريا، ويشارك اليزيدية فيه الكلدان والتركمان والعرب وغيرهم من العراقيين. وجبل سنجار هذا محاط من كل النواحي بمناطق ناطقة بالعربية، وان محافظة الموصل تشكل حاجزا جغرافيا شاسعا بين سنجار وكردستان. أي ان ليس هنالك اية علاقة جغرافية بين سنجار وكردستان، الا اذا اعتبر الموصل جزءا من كردستان! وهذه الفرضية التي تبدو ساخرة بالنسبة للمنطق، انها ابدا ليست هكذا هزلية بالنسبة للمخططات والمشاريع الاستراتيجية القومية الكردية.

من المعلوم ان منطقة نينوى هي واحدة من اعرق المناطق الحضارية ليس بالنسبة للعراق فحسب بل بالنسبة للعالم كله. هي مركز الحضارة العراقية بسلالتها الآشورية المعروفة. وان الموصل ايضا عاصمة شمال العراق وعموم منطقة الجزيرة طيلة العصور العربية الإسلامية، وقد قدمت الكثير من المبدعين والأعلام بمختلف الحقول ومن مختلف الإصول الدينية. وهي كانت مركزا للكثير من الحركات الدينية والمذهبية، ابتداءا من المسيحية (النسطورية واليعقوبية) ثم المذاهب الإسلامية مثل الخوارج وكذلك السلالة الحمدانية الشيعية.

السؤال الذي يطرح نفسه: لو افترضنا صحة ظن باحثنا بأن اليزيدية موجودون منذ اربعة آلاف عام.. فهل من المعقول ومن المنطقي ومن الواقعي ان لا يمسهم أي تأثير من كل هذا التاريخ الحضاري الموصلي (والعراقي عموما) الفعال والثري؟ هل من المعقول ان تأتيهم التأثيرات من ايران وحتى من الهند، ولا تأتيهم اية تأثيرات من المنطقة ومن تلك الجموع الحضارية التي تحيط بهم من كل النواحي؟

خلال اربعة آلاف عام لم يكتسب اليزيديون حتى شيئا موصوليا (اوعراقيا) واحدا يستحق الذكر في مقابلة اخذت تقريبا نصف صفحة وفي جريدة عراقية!!

نعم هكذا تعمي الآيدلويجة القومية عن رؤية الواقع والجغرافيا، وتدفع للتنكر لأبسط قواعد البحث العلمي والطرح الضميري الموضوعي..

النزعة القومية الآرية

ان المشكلة لا تكمن في خطأ المعلومات التي طرحها الباحث، بل المشكلة تكمن في تلك اليقينية المتطرفة والمطلقة التي طرح بها تلك المعلومات. وبالحقيقة ان جميع معلوماته هي اجتهادات شخصية وافتراضات من ضمن العديد من الإفتراضات التي لا زالت محلاً للجدال والبحث. وتاريخ اليزيدية مثل كل تاريخ فأنه عرضة للتشوية والتحريف والتفسير حسب الأهواء والمصالح. ومن المطلوب مراعاة الحد الأدنى من المنطق ومن الموضوعية في مناقشة مثل هذه الأمور.

الآن لنقم بجولة على التحريفات والتشويهات التي قام بها باحثنا الكريم وايراد النقاط الأساسية كما وردت في المقابلة:

- ((ان تسمية (يزيدية) من (يزدان) وتعني باللغة الكردية القديمة (الإله) ويزد وآزاد تعني بالفارسية القديمة (الإله) واليزيديون هم عبدة الآله...))!!

هنالك اصرار كردي على اعتبار تسمية (يزيدي) مشتقة من (يازدن) الفارسية. طبعا ليس هنالك أي مصدر، لا ديني ولا تاريخي ولا حتى شهادة واحدة تؤكد مثل هذه الفرضية. هنالك فقط الرغبة الكردية بإعطاء اصل فارسي (آري طبعا!) لهذه التسمية من اجل تفريس (أي تكريد!!) هذه الديانة. لو سألت أي يزيدي مؤمن وجميع رجال الدين يقولون لك ان تسمية (يزيدية) قادمة من (يزيد بن معاوية). وهذا ليس كلاما سطحيا عابرً وإعتقادا شعبيا ساذجا، بل هو ايمان حقيقي ويشكل حجر الزاوية في هذه الديانة. فهناك تقديس لهذا الخليفة لدى اليزيدية وافتخار بحمل الأسماء الأموية، فمثلا ان الأمير السابق لليزيدية اسمه (الأمير معاوية)... والعوائل المتنفذة والأميرية اليزيدية تعتبر نفسها منحدرة من الأمويين. ثم حتى لو افترضنا (مثلا مثلا!) ان هذه الديانة من اصول كردية، فهل من المستحيل ان تقدس اسم خليفة يحكم منطقة تعيش فيها.. الأكراد المسلمون انفسهم الا يحملون اسماء عربية اسلامية ويقدسون مذاهب وائمة يحملون اسماء عربية.. إذن ما هو العجيب ان تحمل طائفة تقطن في مجتمع اسلامي ومحيط اغلبه عربي اسما عربيا لابن مؤسس اول سلالة امبراطورية اسلامية في التاريخ.. وهي السلالة الأموية..؟!

ثم ما معنى هذا الإصرار (التكريدي) على تحدي مشاعر المتدينين اليزيديين وإغصابهم حتى على تغيير لفظ اسم دينهم بدل (يزيدي) الى (ازدي) لكي يتطابق مع التفسيرات الغربية (الآرية) المقدسة!

- ان رغبة الباحث بتجنب الإشارة الى كل ما هو عراقي او عربي تبلغ مداها اللاعقلاني عندما يقول: ((لنا اقوال فلسفية كثيرة يعود مصدرها الى الشيخ عادي))، طبعا من دون أي ذكر لهوية هذا الشيخ. ويبدو ان هناك تعمداً بتغيير اسمه الى (عادي) لكي يبعده اكثر ما يمكن عن لفظه العربي الأصلي. والحقيقة المعروفة ان هذا الشيخ اسمه (عدي بن مسافر) وهو متصوف مسلم مولود في بعلبك في الشام (1162 م) ويعتبر مؤسس الطريقة الصوفية (العدوية) في الموصل التي منها تميزت (اليزيدية) كتيار روحاني مغالٍ. الشيخ (عدي بن مسافر) هو لبناني وينسب اليه كتاب (الجلوة) المقدس لدى اليزيدية. ثم هناك ايضا الشيخ (الحسن البصري) الشخص الثاني المقدس في هذه الديانة وهو فقيه عراقي بصري ويعتبر شيخ التصوف وتيار المعتزلة. كل الأمراء والنخب الدينية اليزيدية تعتبر نفسها من احفاد هذين الشيخين. وهذه الحقيقة الثابتة والمعترف بها من قبل الجميع، وحدها كافيه لأن تعتبر اليزيدية ديانة نابعة من اصول شامية عراقية، وليست ايرانية هندية!

- ((ان الديانة اليزيدية عرفت قبل ألفي عام قبل الميلاد (أي قبل اربعة آلاف عام!!)، وهي قديمة كقدم الأقوام الكردية التي عاشت مناطق كردستان.. وهي كفلسفة دينية جاءت مع مجموعة فلسفات اخرى اهمها "المترائية الإيرانية" وهي تعني عبادة الشمس.. ومترا هو الشمس))!!

من المعلوم ان عبادة الشمس ديانة عراقية صميمة. وان الإله (شمش) احد كبار مجمع الآلهة العراقية في بابل ونينوى. ويوجد رمز الشمس في جميع الجداريات العراقية. و(شمش) هو الذي منح حمورابي قوانينه الشهيرة، لأنه اله النور والعدل والحقيقة. علما بأن هنالك بعض العوائل الدينية المتنفذة في اليزيدية يطلق عليهم تسمية (الشمسانية). وحتى الآن يطلق على راعي الكنيسة المسيحية في العراق والشام تسمية (شماس) وهي تسمية موروثة من كهنة معابد الإله (شمش).

اما كان من المعقول جدا الاعتماد على هذا الميراث العراقي الموصلي السنجاري، بدلا من القفز آلاف الكيلومترات للبحث عن مصادر هندية وإيرانية؟

- ((ان المؤرخين اتفقوا على ان اصل الديانة الكردية (اليزيدية) وفلسفتها قدمت من الهند قبل الفي عام قبل الميلاد..))

لا ندري من هم اولئك المؤرخون الذين اتفقوا على هذه الحقيقة العجيبة والمطلقة؟ فما هو ذنبنا نحن إذا كان بعض المؤرخين الغربيين يصرون على اعتبار كل شي في تاريخنا اعجمياً ايرانياً اغريقياً هندياً .. أي انه آري! المسيحية ديانة اوربية والتشيع ايراني ومصادر الحضارة العربية الإسلامية جميعها آرية (يونانية وايرانية وهندية)، فما يضر اذا هم ايضا اعتبروا كل ما هو يزيدي وكل ماهو كردي عراقي (آري هندي اوربي)..

- ((ان (طاووس ملك) يعني الإله الأعلى مصدر الشمس رمز الخير..))

لا ندري من اين اتى باحثنا بمثل هذا التفسير لهذه التسمية الواضحة للعيان ولا تحتاج الى أي عمق فلسفي ولا استشهاد بمصادر (غريبة موثوقة).. ان (طاووس ملك) تعني بكل بساطة وحسب تفسير اليزيديين انفسهم (الملاك طاووس) الذي يعتبرونه رئيس الملائكة. علما بأن اليزيدية يقدسون طير(الطاووس) ويرسمونه في كل مكان مثل الصليب لدى المسيحيين. ويعتقدون بأنهم ورثوه من ايام ابراهيم الخليل. ويقول امير اليزيدية (انور معاوية) ما يلي بخصوص الطاووس: ((ان الطاووس صورة اثرية خالدة من زمن البابليين والآشوريين)) (من يرغب بمزيد من التفاصيل عن اليزيدية ليراجع كتابنا - الذات الجريحة - ص 402 و452).. ونجد هذا الرمز موجوداً في الكثير من الآثار العراقية. هناك من يربط بين تسمية (طاووس) وتسمية (تموز) اله الخصب والذكورة..

خلاصة الميراث العراقي

كما سبق لنا ان بينا في كتابنا المذكور، إذ اعتبرنا الديانة اليزيدية من اكثر الأديان العراقية التي احتفظت بداخلها بجميع الميراثات الدينية واللغوية التي عاشها العراق ومنطقة الموصل بالذات. لقد شبهنا اليزيدية بقصر فخم مظهره اسلامي مزين بنقوش عربية وعبارات كردية، لكن لو ازلنا هذه الأصباغ لأكتشفنا تحتها طبقة من نقوش مسيحية بأيقونات وصلبان وبلغة سريانية، وتحتها ايضا طبقة من جداريات آشورية وكتابات مسمارية ومنحوتات آلهة النهرين.. حتى نصل الى طبقات اعماق التاريخ الديني البدائي القديم..

ان اليزيدية لاتحمل فقط تنوعات ميراثنا الديني بل حتى تنوعات ميراثنا اللغوي والسكاني: العربي الكردي السرياني.. انهم اشبه ببعض العشائر الممتزجة بين العرب والأكراد والتركمان وغيرهم، مثل البيات والجبور وربيعة.. اليزيدية يتكلمون العربية والكردية ويرتدون الأزياء العربية والسريانية. وتراهم يقدسون ديرا سريانيا في سنجار هو (دير مار عدي) احد حواري السيد المسيح. ويحتفظون بأقدم مكتبة كلدانية مكتوبة على رق الغزال باعتبارها مكتبتهم المقدسة. وهم يشتركون مع المسلمين بالصيام والختان وتقديس القرآن وبعض رجالات الدين. ويشتركون مع المسيحيين بتقديس الكثير من الطقوس والمناسبات، مثل عيد الفصح والقيامة والتعميد بالماء وقطع الخبز وزيارة الكنائس والحج لمزار الشيخ عدي المقدس ايضا لدى المسيحيين العراقيين. وهم ايضا مثل الصابئة العراقيين يقدسون الكواكب البابلية السبعة التي تحمل أسماء آرامية، مثل يوادئيل واسرافيل وميكائيل ودبرائيل وشمنائيل ونورائيل..

كل هذه المعلومات التي نجدها في كل الكتب التي تتحدث عن اليزيدية تجنبها باحثنا الكريم ومعه للاسف الكثير من القوميين الأكراد الذين يجهدون ليل نهار في حملتهم الشعواء من اجل إزالة كل اثر عراقي من التاريخ والميراث.

دور المؤسسات الصهيونية

يبدو ان موضوع اليزيدية يستحوذ على اهمية كبيرة وتشترك فيه معاهد كردية وعالمية كثيرة. وتقوم هذه الأطراف القومية بشن حملة شعواء في بلدان المهجر وبين الجاليات اليزيدية من اجل محاربة كل اليزيديين الرافضين لمثل هذه الطروحات القومية. لكن ابناء الطائفة اليزيدية وعلى رأسهم الأمير (انور معاوية) لا زالوا يدافعون منذ اعوام عن الأصالة العراقية لليزيدية ويؤكدون على إنتمائهم العريق الى الحضارة الآشورية العراقية.

ان هذه الحملة الجبارة لتكريد تاريخ اليزيدية وميراثهم، في الحقيقة ليست نابعة من اية غايات اكاديمية ولا دينية، بل انها اهداف استراتيجية خطيرة: ان الغاية ليس تكريد اليزيدية بحد ذاتها بل الغاية الواضحة وغير المعلنة هي تكريد منطقة سنجار.. لماذا..؟!

لأنه إذا تم اعتبار منطقة سنجار جزءا من كردستان، وبما ان الموصل تفصل سنجار عن كردستان، فإنه من المنطقي جدا ان يعني هذا ان الموصل بكاملها سوف تكون جزءا من كردستان.. اننا لا نقول هذا الكلام بصورة تخمينية واجتهادية.. يكفي لأي قارئ ان ينظر الى اية خارطة تمثل (كردستان الكبرى) والموجودة في كل مكان وفي كل كتاب وفي كل برنامج قومي كردي،

سوف يجد ان شمال العراق كله (ولاية الموصل) وشمال سوريا حتى خليج الأسكندرونة هي جزء من هذه الخارطة الأمبراطورية التوسعية!

رغم هذه الحقيقة المرة، فإننا على يقين بأن هنالك الكثير من الأكراد من ذوي العقل النير والضمير الوطني الحي يدركون خطورة مثل هذه المشاريع القومية المدفوعة من قبل المؤسسات الغربية والصهيونية المتلبسة بثياب الأكاديمية والتباكي على الأكراد، من اجل ان يبقى وطننا وعموم منطقة الشرق الأوسط ساحة للحروب والدمار والجوع والتشرد، لكي تبقى إسرائيل الى لأبد هي القوة الكبرى المهيمنة على المنطقة.

تحريف التاريخ

إن هذه الدعوة بضم شمال العراق وجزء من وسطه، بالإضافة إلى شمال سوريا التي يسمونها (كردستان الغربية)، مصحوبة بحملة إعلامية تشترك بها ما لا يحصى من الصحف والفضائيات ومراكز الدراسات في كل أنحاء العالم. والمشكلة أن الصحافة العربية والعراقية كعادتها تشارك بصورة فعالة في حملة التكريد هذه من دون أن تدري، وبكل طيبة وطنية! إنها حملة جبارة أشبه بجحافل جراد تلتهم من دون رحمة الأخضر واليابس. لم يتركوا شيئاً بعيداً أو قريباً إلا وحرفوه وجعلوه كردياً آرياً:

يقول السيد مامو عثمان، في رده الشهير: ((لا تنس بأن فلسفة الديانة اليزيدية تواجدت منذ آلاف السنين في وقت لم يكن هنالك مكان باسم- عراق - في المنطقة. ولا تنس أيضاً بأنه لا توجد حضارة باسم الحضارة العراقية في التاريخ وكان الأجدى بك أن تتحدث عن حضارة وادي الرافدين)).

قد يبدو غريباً لغير العارفين بحقيقة الخطاب التاريخي الكردوي، أن يرفض باحثنا اسم العراق ويفضل عليه تسمية (وادي الرافدين).. فما الفرق بين التسميتين؟! نعم هنالك فرق كبير بالنسبة لهؤلاء القوميين.. لأن تسمية العراق تعني القبول بحقيقة أصالة وديمومة العراق الحالي، أما (وادي الرافدين) وطبعاً ليس (بلاد الرافدين) فإن هذا يعني منطقة عامة ومفتوحة وليس وطناً محدداً. أي إن (وادي الرافدين) بالنسبة للكرديين منطقة تضم العراق الحالي حتى بغداد، والباقي هو (شمال وادي الرافدين) الذي كان ولا زال جزءاً من كردستان، ويسمونه (كردستان الجنوبية).. نعم نينوى وعشتار ومردوخ وآشور بانيبال وسمير اميس والحمدانيين والجليليين وكل تاريخ شمال العراق، هو تاريخ كردي !!!

نريد أن نسأل أولاً أي شخص له دراية ولو محدودة بتاريخ الأكراد وكردستان: هل هنالك اسم كردستان قبل آلاف السنين.. ألم تتفق كل المصادر على أن اسم كردستان عرف لأول مرة في زمن السلاجقة في القرن العاشر الميلادي ؟

ثم كيف يسمح الضمير بالتنكر لحضارة وتاريخ بلد مثل العراق وهو أعرق وأقدم بلد في التاريخ مع مصر.. طبعاً هذا الكلام عن عدم وجود عراق قبل أن يأتي الإنكليز، أصبح النشيد الوطني المقدس الذي يردده القومجية ليل نهار قبل الأكل وبعد الأكل..

ثم لماذا هذا التركيز على عدم وجود اسم العراق منذ القدم. كم بلداً في العالم يحمل نفس اسمه الحالي منذ ألفي عام مثلاً.. كل بلدان العالم تقريباً حملت أسماء مختلفة حسب الحقب التاريخية وتغير السلالات الحاكمة.. فرنسا مثلاً حتى القرن العاشر اسمها بلاد الغال.. مصر نفسها لم تحمل اسم مصر منذ القدم كما نتصور.. بل حملت أسماء عديدة حسب الفترات. واسم "مصر" قد أطلقه الشاميون وأشاعه العرب فيما بعد. أما الرومان فقد اختاروا لمصر اسم (إيجبت) الذي لا زال شائعاً في العالم كله.

أما بالنسبة للعراق، فإنه أيضاً حمل أسماء عديدة : بلاد سومر واكد، بلاد بابل وآشور، بلاد النهرين، ثم العراق الذي أشاعه العرب..

من المعروف أن طبيعة الأوطان وهويتها لا تتحدد حسب الاسم، بل حسب التاريخ. لهذا نطلب من السيد مامو وكل الذين ينكرون الوجود التاريخي للوطن العراقي ويعتبرونه وطناً ((مصطنعاً))، أن يراجعوا تاريخ العراق منذ سبعة آلاف عام وحتى الآن، ليكتشفوا الحقيقة التالية:

- إن هذه البلاد التي تسمى الآن (عراق)، من نينوى حتى الخليج، ظلت متوحدة سياسياً وحضارياً ولغوياً منذ سبعة آلاف عام وحتى الآن.. أقول وأكرر إن هذا الوطن ظل متوحداً سياسياً وحضارياً ولغوياً حتى في ظل فترات السيطرة الأجنبية.. حتى القوى الخارجية كانت مضطرة إما أن تحتل العراق كله أو تتخلى عنه كله.. والسبب بكل بساطة لأن طبيعة الرافدين، من نينوى حتى الخليج، تحتم على أية دولة أن تسيطر على كل العراق وإلا فمن المستحيل السيطرة على النهرين وتنظيم المياه ودرء الفيضانات.. والعراق مثل كل بلدان الأرض عانى من وجود مناطق وسلالات متنافسة في الشمال والجنوب، مثل سلالات بابل وآشور. نفس الشيء موجود في تاريخ مصر وإيران والصين وفرنسا وإيطاليا، المنافسة بين الشمال والجنوب، بسبب بعد المسافة واختلاف الطبيعة والجوار. لكن الشيء المهم بأنه خلال الثلاثة آلاف عام التي سبقت الميلاد، ظل العراقيون يتكلمون لغة واحدة هي (الأكدية) بخطها المسماري وبلهجتيها الآشورية والبابلية (مثلما الآن الموصلية والجنوبية). وظل العراقيون أيضاً يعتنقون نفس الدين القائم على (تقديس النجوم) ورموزها الإلهية. في العصر الميلادي أصبح العراقيون بأغلبهم مسيحيين نساطرة مع أقليات يهودية وصابئية، وتحولت لغتهم الأكدية إلى الآرامية (السريانية) لغة العراقيين كلهم ما يقرب الألف عام. أما بعد الفتح العربي الإسلامي فقد بدأ العراقيون يتوحدون هذه المرة بالإسلام والعربية، من نينوى حتى البصرة..

هل ننسى أنه حتى في الفترة العثمانية كانت ولايتا البصرة والموصل تابعتين لوالي بغداد.. وإن تمسك الإنكليز بالموصل ليس من أجل عيون العراقيين بل لأنه واقع تاريخي جغرافي كان من المستحيل التنكر له أو تخطيه.

***

ابناء الطائفة يدافعون عن طروحاتنا:

نعم اليزيدية عراقية والنبي ابراهيم ليس اميرا كرديا!

لقد فوجئنا بالرد القاسي وغير الموضوعي ضد مقالة الكاتب سليم مطر. وللأسف ان صاحب الرد المنشور في 1 - 12 - 2000 والمدعو (ميرزا حسن الدنادي - المانيا) يقدم نفسه كمدافع عنا نحن اليزيدية بينما هو يشوه صورتنا بسبب عدم تحليه باللياقة الأدبية المطلوبة.

ان هنالك تناقضا كبيرا في طرح السيد ميرزا لأنه من ناحية يتفق مع جوهر مقالة سليم مطر: (نعم انها ديانة عراقية سومرية وليست ايرانية هندية)، ومن ناحية اخرى لا يكف عن كيل الاتهامات التكفيرية للكاتب، ويعتبر تفسيره: (تفسير الكتاب المأجورين الذين حاولوا تزييف الديانة الأيزيدية)!!

من اهم اعتراضات السيد ميرزا على الكاتب سليم مطر: انه يذكر اسم الأيزيديين بـ (اليزيديين)، ويربط ذلك بـ (يزيد بن معاوية)...

نقول نعم، ليس اسم (الأزيدية) الإيراني هو الصحيح، بل اسم (اليزيدية) العراقي هو الصحيح والسائد والمعروف بين ابناء الطائفة. وعلى السيد مرزا الذي يدعي معرفة الطائفة ان يراجع جيدا كيف ينطق اهله وعشيرته إسم الطائفة. والا كيف يسود هذا الاسم على لسان جميع الناس وفي كل المصادر التي تطرقت لليزيدية بما فيها المصادر الأجنبية. نعم ايضا ان اسم (اليزيدية) حسب إيمان اهل الطائفة يعود الى الخليفة الأموي (يزيد بن معاوية). من المعلوم بأنه ليس هنالك للطائفة نص مكتوب متداول بل نصوص شفاهية يحفظها رجال الدين ويطلق عليها (علم الصدر)، حيث يتم تقديس اسماء ابراهيم الخليل وآدم والشيخ عدي بن مسافر. وبين جميع الأسماء المقدسة في اليزيدية ليس هنالك اسم واحد مجوسي او هندي آرى رغم كل جهود القوميين المستكردين. وفي (علم الصدر) يقال حرفيا: (يزيد بن معاوية الذي حكم الدولة الأموية في الشام)، وهنالك تراتيل دينية مقدسة تسمى (قول يزيد). ثم ان العائلة الأميرية للطائفة منذ قرون وحتى الآن تؤمن بأنها أموية قريشية..

- ان السيد مرزا مثل كل دعاة تكريد وتفريس الطائفة واسمها وتاريخها ضاع في تخريجات عديدة متناقضة ومختلفة، وفي كل مرة يدعي انها هي التخريجة الصحيحة المطلقة:

في المرة الأولى يقول ان اصل اسم اليزيدية مكون من: (ايزي) و(خودا)، ومرة ثانية يقول انه: (ايزي) و(دي)، وفي كل مرة يدعي بأنه التفسير العلمي الصحيح الأوحد!! وطبعا هنالك ايضا تخريجات قومية عديدة متداولة منها (ازدي) الفارسية بمعنى الله، وكذلك مدينة (يزد) الإيرانية، التي سبق وإن ذكرها الباحث (مامو عثمان) في مقابلته المعنية. وكل هذه التخريجات العجيبة الغريبة تهدف الى نفي اسم (اليزيدية) العراقي المعروف والمتداول وتحريفه لفظا ومعنا من اجل ان يلائم الإدعات القومجية التفريسية الآرية..

- ومن الطروحات الطريفة التي يدافع عنها السيد مرزا، قوله بأن العائلة الأميرية للطائفة ينتهي نسبها الى (مير براهيمي آدما) ((احد الأمراء الذي كان يحكم مناطق سكنى اليزيدية في كردستان تركيا))!

والحقيقة ان أي يزيدي يمتلك الحد الأدنى من التعليم يعرف ان المقصود بـ (مير براهيمي آدما) هو النبي (ابراهيم الخليل حفيد آدم) لأن الطائفة تعتبر نفسها من احفاد ابراهيم الخليل والمنحدرين مباشرة من آدم. فكيف اصبح ابراهيم الخليل اميرا كرديا؟!

- يعترض السيد مرزا على قول الكاتب سليم مطر بأن امير الطائفة اليزيدية السابق هو (الأمير معاوية)، وينفي تماما مثل هذه القول ويعتبر ان امير الطائفة هو (تحسين بك سعيد بك)..

ان هذا النفي المطلق والسخرية الفجة من كلام الكاتب سليم مطر باعتباره اخترع تماما هذا القول، هو خلاصة اسلوب السيد مرزا في اعتماده المعادلة الإطلاقية التالية: (النفي المطلق والتأكيد المطلق للمعلومات حسب المزاج والمصلحة)، من دون أي نسبية في رؤية الأمور وعدم القبول بأن هنالك ايضا نصف حقائق وليس فقط الحقائق المطلقة.. فمن المعروف لكل متابع لوضع الطائفة اليزيدية بأن هنالك مشكلة منذ اجيال طويلة اسمها (إمارة الطائفة). هنالك عائلة (الأمير تحسين بن سعيد بن علي بن حسن بن علي بك الكبير)، وهنالك ايضا عائلة (الأمير انور بن معاوية بن اسماعيل بن عبدا بن علي بك الكبير) والأمير (انور معاوية) مقيم منذ اعوام في المانيا ويمارس دوره في رعاية شؤون الطائفة في العراق وفي المهجر. هاتان العائلتان تتنازعان حق قيادة الطائفة منذ القرن الماضي. لهذا ان الكاتب سليم مطر لم يخطأ عندما اعتبر (الأمير معاوية) هو الأمير السابق للطائفة.

خلاصة القول، ان الكاتب سليم مطر قد نجح تماما في هدفه المبتغى من مقالته هذه عن اليزيدية: انه فرض حتى على اعتى القوميين المتعصبين ان يعترفوا بأن اليزيدية: (ديانة عراقية سومرية وليس ايرانية هندية).

ونحب ان نكشف للقراء الكرام زيف إدعاء السيد مرزا بأنه (يفتخر بعراقيته) لأن الذي اغضبه في مقالة سليم مطر هي بالضبط هذه (الروح العراقية) الرافضة لكل المشاريع القومجية سواء منها العروبية او الكردوية، المنافية لوحدة الهوية العراقية ارضا وشعبا. فمن المعروف ان السيد مرزا من انصار الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة السيد جلال الطلباني الذي صرح منذ خمسة اعوام بكل علنية وجرأة داعيا ((تركيا الى ضم ولاية الموصل))، على امل انه من خلال التحالف مع تركيا يمكن (مستقبلا!!) تحقيق مشروع كردستان الكبرى التي تدعي بأن ولاية الموصل ومعها سنجار أي كل شمال العراق وكذلك شمال سوريا جزءا من امبراطوريتهم العظمى التي سوف تمتد من الخليج حتى البحر المتوسط!!

الباحث مروان حسن الموصلي، - جريدة الزمان – 9-12 - 2000

***

امراء اليزيدية براء من تهمة العمالة!

عزيزنا الباحث العراقي (ر. خ) ، مع تقديرنا لجهدك الواضح لأن تحتكم الى الموضوعية والتمسك بالوطنية العراقية في موضوعك المنشور عن اليزيدية (جريدة القدس 12 - 3 - 2001)، الا انك للأسف قد فشلت في بعض المقاطع بالحفاظ على اتزانك العلمي بسبب الضغوطات والمغريات الكردوية التي احاطت بك اثناء وجودك في شمال العراق في المنطقة المحمية من قبل حلف الأطلسي.

فمن المؤسف انك وقعت بمطب هذه الطروحات الشيفونية المتعصبة. فمنذ البداية اصررت على رفض اسم (اليزيدية) العربي وهي التسمية الرسمية الشائعة للطائفة، لتحل محلها (الأيزيدية) التي يستعملها دعاة التكريد ويسعون لفرضها على

طائفتنا بالعنف والتهديد. يكفيك ان تراجع جميع المصادر الأجنبية والعربية التي كتبت عن طائفتنا منذ اكثر من قرن وحتى الآن، كلها تطلق علينا تسمية (يزيدية)، ولكن فجأة ظهر علينا منذ بضعة اعوام القومجية الأكراد ليفرضوا علينا تسمية جديدة مع تخريجات خيالية ترجعنا الى آلهة ايران والهند!!

من المؤسف ايها الباحث الكريم انك تبنيت التشويهات الشخصية ضد امراء طائفتنا، وبصورة قاسية يمكن ان يحاسب عليها القانون. فلا ندري كيف سمحت لنفسك ان تقذف رموز الطائفة اليزيدية بمثل هذه الشتائم والتهم الجزاف بالعمالة والخيانة لطائفتهم؟ هل نسيت بأن اولئك الأشخاص الكرديين اصحاب هذه الشتائم والتهم لا يعبرون الا عن انفسهم وعن القيادات الكردوية التي تدفع لهم الأموال لشراء ذممهم. ثم ان مركز لالش التابع للقيادة الكردوية لا يمثل ابدا طائفتنا بل يقوده بضعة موظفين حزبيين يهتمون بتجارة البيرة اكثر من الديانة. وهل نسيت ان اليزيديين الموجودين في الإدارة الكردية لا يتجاوزن الـ 10% من يزيديي العراق وان باقي التسعين بالمئة يعيشون في سنجار وبعشيقة وبغداد والذين يبلغون حوالي الربع مليون، فهل يصح اتهام كل هؤلاء بالعمالة للنظام وخيانة الطائفة اليزيدية لمجرد انهم غير مرتبطين بالقيادات الكردوية المبجلة والمقدسة؟!

ثم يا استاذ اننا نستغرب هذه الطروحات العجيبة الغريبة التي بدأت تجتاح الساحة العراقية مؤخرا والمدفوعة من قبل القيادات الكردوية: اعتبار كل ماهو عراقي بعثي!! وبالتالي اعتبار كل ارتباط بالعراق وتاريخه وحضارته هو ارتباط بالنظام العراقي والحزب الحاكم.. فما هي جريمة امير الطائفة اذا كان قد كتب مقالا عاماً (1969) في مجلة عراقية عن ثقافة وتقاليد اليزيدية؟ وماهي الجريمة اذا كان امراء الطائفة يفتخرون بانتسابهم للسلالة الأموية، فهل الوطنية والشرف غدت حكرا على الذين يعلنون انتسابهم الى العرق الكردي الآري؟ مع اعتزازنا باشقائنا الأكراد الذين ينتسب اليهم قسم من طائفتنا. فنحن مثل كل طوائف شمال الرافدين فينا مختلف التنوعات الأقوامية المنتشرة في المنطقة: عرب واكراد وسريان، بل هناك ايضا اصول تركمانية وارمنية.. لكن ابناء طائفتنا في كل بلد يعتزون بانتمائهم لبلدهم من دون الدخول في الصراعات السياسية والعرقية السائدة. لهذا فنحن يزيديوا العراق نعتز بأنتمانا للعراق بكل تنوعاته الأقوامية ونرفض تماما الدخول في الصراع بين التيارات العروبية والكردوية، فنحن عراقيون اولا وأخيرا.. فلماذا يا عزيزنا الباحث ترفض لنا هذا الحق وتتهمنا بالعمالة لمجرد اننا نرفض الدخول بلعبة القيادات الكردوية التي تريد ان تغير حتى اسمنا لمجرد انه عربي ومرتبط باسم الخليفة يزيد بن معاوية ؟!

ثم ماهي جريمة الأمير الحالي (انور معاوية الأموي) ان اعتز بميراثه العراقي الآشوري البابلي، ورفض الدعاوي التكريدية؟

اخيرا اننا نطرح عليك وعلى كل من يدافعون عن طروحات القيادات الكردوية، هذا السؤال الضميري: هل تعتقد ان هنالك فرقا بين سياسة الإدارة الكردوية لشراء ذمم المثقفين العراقيين، وبين سياسة السلطة في بغداد، بنفس القصد؟ ان جواب هذا السؤال يحتاج الى الكثير من الجرأة والصراحة والتروي.. مع تقديرنا الصادق لجهودك ايها الباحث العراقي الأصيل ونحن على يقين بأنك قد وقعت بهذه الأخطاء عن حسن نية، وانك من المؤكد سوف تصحح هذه الأمور في كتاباتك القيمة القادمة..

الشيخ رشيد شاكر- المانيا، جريدة القدس 23 - 3 -2001 .

الفصل السادس

الخاتمة والمقترحات

الديمقراطية لا تكفي لحل مشكلة الفئات المحلية

بل باحياء الهوية الوطنية

ان الحديث عن الوضع العراقي وما يتضمنه من مقترحات وحلول يمكن ان ينطبق حرفيا على الوضع السوري ، كذلك اللبناني والاردني والفلسطيني، بل جميع الامم العربية الحاوية على تنوعات اقوامية ومذهبية مثل مصر والسودان والجزائر والمغرب. بالنسبة لسوريا مثلا يتوجب الاخذ بنظر الاعتبار طبيعة اختلاف النسب العددية ووجود فئات مذهبية سورية لا توجد في العراق مثل العلوية والدروز. لكن هذا لا يمنع من القول ان جوهر هذه المقترحات هو ((الروح الوطنية)) التي تعتبر جميع الفئات اللغوية والمذهبية متساوية ، ليس بالدستور والشعارات، بل بالاحساس الحقيقي بالانتماء الفعلي لارض الوطن وتاريخه وميراثه الاصيل. أي الدعوة للتخلص من تلك النظرة القومية العرقية القبائلية المحتقرة لارض الوطن ولسكانه بسبب انتمائها الخيالي لوطن آخر (الجزيرة العربية) يفترض ان الاسلاف "القوميين" من بني قحطان وعدنان قد اتوا منه!! نعم ان جوهر ومحور كل مواضيع هذا الكتاب وهذه المقترحات هي : الدعوة للانتماء للارض بدلا من العرق...

طبعا اننا مضطرون كالعادة وخشية سوء الفهم المتعمد، ان نكرر ايضاحنا بان دعوتنا "لاحياء الهوية الوطنية" هذه ابدا ليست انعزالية وشيفونية معادية للآخر العربي، بل هي تؤمن بكل عمق بأن هنالك ما لا يحصى من الروابط الثقافية والتاريخية والنفسية والمصالح الستراتيجية التي تجمع الاوطان العربية وتبرر تقاربها وتوحدها العقلاني، على طريقة الوحدة الاوربية، من دون شعارات قومجية غوغائية كاذبة تبرر التآمر وتبث العداوات وتشعل الحروب والانقلابات بين الاوطان العربية، وبنفس الوقت تقتل الوحدة الوطنية الداخلية وتسلخ الانسان عن انتمائه لارض وطنه وتبرر احتقار واضطهاد الفئات المختلفة بحجة انهم ليسوا من (العرب الاقحاح)!!

مشكلة شمال العراق والاساليب الامنية الفاشلة
حلول ومقترحات

منذ ما يقرب القرن ظلت مشكلة التوتر الدائم والحروب المشتعلة في المنطقة الشمالية من الوطن، وما فتأت تتفاقم حدة الميول الانفصالية لدى التيارات القومية المتزعمة للفئات المحلية غير الناطقة بالعربي (الاكراد والتركمان والسريان). تعتبر القضية الكردية نموذجا اساسيا في التعامل مع موضوع الفئات المحلية. ان التعامل مع هذه المعضلة التي لا زالت تلعب دورا حاسما في توتر الوطن بأكمله، ظل من وجهة نظر سياسية امنية بحتة مع غياب تام للبعد الوطني الثقافي والشمولي. بناء على هذا الفهم السياسي الامني فإن كل الأطراف الحكومية والحزبية ظلت منذ اجيال طويلة تتقدم بمشاريع وحلول سياسية وعسكرية لهذه القضية المستعصية، من نوعية القيام باصلاحات في المنطقة الشمالية واشراك مسؤولين اكراد في الحكومة ثم اقرار الحكم الذاتي، والآن يتم الحديث عن الفيدرالية والمنطقة الآمنة وحق الانفصال المسمى دبلوماسيا بحق تقرير المصير، الخ..

حتى الآن لم تنتبه جميع الأطراف العراقية الى الجانب الأهم والأكبر لحل هذه القضية الأزلية: ((الجانب الثقافي))!! لا يقصد بالجانب الثقافي، تقديم حقوق ثقافية ولغوية لهذه الفئات العراقية، فهذه امور معروفة وتبقى ضمن المشاريع السياسية. المقصود بالجانب الثقافي:

((خلق ثقافة وطنية موحدة وشاملة تشعر كل فئة مهما كانت لغتها ودياناتها ومذهبها بانها عراقية ومتساوية تماما مع الفئة الغالبية الناطقة بالعربي، ولها حق المشاركة بادارة الدولة والوطن مثل باقي الفئات. نعم ثقافة عراقية مشتركة مضادة للثقافات التشرذمية القومية الانعزالية، لكنها ايضا تحترم وتغتني بالتنوع اللغوي والديني والمذهبي)).

حتى الآن هنالك غياب كلي من قبل جميع الأطراف العراقية (حكومية ومعارضة) للحوار عن طبيعية الطروحات التثقيفية والاعلامية القومية السائدة سواء منها الكردية او التركمانية او السريانية (الآشورية)، والتي تستمد شرعيتها من الطرح القومي العروبي المهيمن على الثقافة العراقية منذ اجيال طويلة.

ان هذه الناحية (الثقافية الإعلامية التربوية) في هذه القضية قد اكتسبت ابعادا خطيرة وحاسمة في السنوات الأخيرة التي اعقبت حرب الخليج، للأسباب التالية:

- قيام ما يسمى بالمنطقة الآمنة في شمال الوطن ووجود ادارتين كرديتين مستقلتين، خصصتا ميزانية هائلة مدعومة عالميا بتكوين شبكة اعلامية جبارة تفوق كثيرا الشبكة الإعلامية الحكومية: فضائيات وصحف، مع التغلغل داخل الصحافة والإعلام العراقي والعربي واقامة مؤتمرات ومهرجانات صاخبة وشراء ذمم مثقفين عراقيين وعرب لكي يباركوا هذه الطروحات القومية التوسعية والانفصالية بعد تغطيتها بمرثيات وطنية سطحية وزائفة.

- الدخول الكاسح للخبرات الاسرائيلية التي ساهمت بوضع وتوجيه النشاط الأعلامي القومي الأنفصالي المعتمد استراتيجية اعلامية تثقفية مشابهة تماما للاستراتيجية "الصهيونية" المسيطرة على العالم الغربي، والقائمة على المبدأ التالي: اولا وقبل كل شيء يتوجب تأثيم الآخرين من خلال فكرة "الهولوكوست" (مثال الاستخدام المضخم والفعال لقضيتي حلبجة والأنفال بصورة مكررة ومكررة الى حد الملل)!، وبعد ان يتم تأثيم واضعاف الخصوم نفسيا وترهيبهم ضميريا، يتم فرض المطالب والأفكار عليهم.

- وجود دعم عربي وغربي امريكي لهذا الإعلام القومي التعصبي، لغايات معروفة تستهدف حاضر ومستقبل العراق. حيث يجد هذا الخطاب القومي التعصبي كل الترحاب في الكثير من الصحف ووسائل الاعلام والفضائيات المسيطرة على الساحة العربية، طبعا ليس حبا بالاكراد او الآشوريين بل على العكس نقمة عليهم حسب مبدأ (ادفع عدوي ضد عدوي)! أي من اجل اضعاف العراق وتقسيمه وبنفس الوقت توريط الاكراد وغيرهم ليكونوا وقودا دائما لحروب تخدم المخططات الغربية وتفرض الجبروت الاسرائيلي.

نعم لهذا كله للأسف فإن الطروحات القومية الانفصالية الامبراطورية صارت سائدة ومقبولة عراقيا وعربيا!

من الخطأ القاتل الاستمرار بالعقلية العراقية الحالية المعتمدة على الشعارات السياسية الأمنية ورفض دخول المثقفين العراقيين في حومة النقاش الحي والفعال في تفاصيل هذه المشكلة وطبيعة الشعارت والمشاريع المطروحة. ان هذه الحلول السياسية ذات مفعول تكتيكي مؤقت، بدليل ان المشكلة مازالت قائمة منذ قيام الدولة العراقية وحتى الآن وتمارس تأثيرا حاسما على الوضع العراقي.

مبادئ جديدة للعمل

ان المطلوب هي مبادئ جديدة ومغايرة تماما لما هو سائد منذ اجيال واجيال:

المبدأ الأول - الوطنية بدل القومية

ان نقطة الضعف الأساسية في التعامل مع الفئات العراقية غير الناطقة بالعربية، هي (الفكرة العروبية) التي ظلت تمنح كل التبريرات لهذه الفئات بأن تقلد (القومية العربية) وتبحث لنفسها عن (قومية) خاصة بها. من الخطأ الكبير التصور بان هذه دعوة عنصرية ضد الشعوب العربية وضد التقارب وحتى التوحد الشامل معها. بل بالعكس انها دعوة لاحترام خصوصية كل بلد عربي ونبذ الطرح القومي الثورجي الذي يبرر الانقلابات والمؤامرات وحتى انتهاك حرمة أي بلد عربي وتبرير احتلاله، كما حدث مع الكويت. انها دعوة لتوحيد كل بلد عربي مع ذاته ومكوناته الداخلية ثم بعدها تقارب وتوحيد الدول العربية من خلال المشاريع المشتركة على غرار الوحدة الاوربية الحالية.

ان مشكلة العراق الأولى والكبرى والأساسية (كذلك بلدان الشام) هي ان الفكرة العروبية قد تم استخدامها ((كنقيض للفكرة الوطنية!!)). بل ان الوطنية العراقية اصبحت اقرب الى الجريمة حيث اطلق عليها (القطرية والشعوبية)!! كيف يمكن لأي دولة في العالم ان تطلب من مواطنيها الخضوع لها، وهي بنفس الوقت بسبب تمايزهم اللغوي والمذهبي لا تعترف بهم كجزء من الشعب والوطن والتاريخ والميراث والتكوين العرقي السكاني، بل تعلمهم ليل نهار انهم فئة (قومية او مذهبية) لها تاريخها وتراثها وعرقها ومشاريعها الخارجية واحزابها الخاصة وجماهيرها المتميزة؟!.

ليس بالصدفة ابدا ان الحركات القومية الكردية هي من اكبر المدافعين عن الحركة القومية العربية؟! طبعا يقينا ليس حبا بها، بل لأن الفكرة القومية العروبية تبرر تماما وجود الفكرة القومية الكردية، وتبرر ان شمال العراق ليس عراقيا، لأنه بكل بساطة ليس بأغلبية ناطقة بالعربية!! لأن القومية العربية جعلت الإنتماء العروبي اهم واسبق من المواطنية العراقية!

لهذا فإن خلاص العراقيين (كذلك الشعوب الشامية) والسبيل الأول والأكبر لضمان وحدتهم وكسبهم الى الدولة والوطن، هو الاعتماد على مبدأ (الوطنية) بدل (القومية). ونحن عندما نتحدث عن (الوطنية العراقية) ليس كشعار وكموقف سياسي ورتوشات شكلية عن نبوخذنصر وعشتار وحمورابي، بل نعني اولا وقبل كل شيء:

((اعادة كتابة التاريخ العراقي على اساس الإعتراف الكامل بدور كل الفئات العراقية اللغوية (الأقوامية) والدينية والمذهبية بصنع التاريخ العراقي. ان يشعر الكردي والتركماني والسرياني واليزيدي والفيلي، مثلما الشيعي والسني والمسيحي والصابئي، ان اسلافهم وتواريخهم كانت حقا وحقيقة جزءا من تاريخ العراق وان ميراثهم هو جزء من ميراث العراق)).

ان يتم التعريف بثقافة جمع الفئات العراقية الخاصة مع ربطها بعموم الثقافة العراقية، وكذلك تداول اغانيهم وفنونهم في وسائل الإعلام العراقية بدلا من الأغاني والفنون الأجنبية، وان تعرض مناسباتهم الدينية والشعبية في التلفزيون ويعرف بهم وتدرس تقاليدهم بصورة تؤدي الى معرفة الجميع للجميع وبالتالي الى اعتراف الجميع بالجميع.. لأن المعرفة هي اساس التعارف والتضامن، والتجاهل هو اساس الخصام والشقاق.. وهذا كسب للدولة اولا ثم كسب للوطن.

المبدأ الثاني - التعامل الشمولي والمتساوي مع جميع الفئات

من اهم عيوب السياسة السائدة (حكومية ومعارضة) حتى الآن بخصوص قضية الفئات والقضية الكردية منها بالذات، انها لم تتعامل بصورة شاملة ومتكاملة مع هذه الفئات، بل تتعامل معها على اساس موازين القوى الذي يستثمر البعض على حساب البعض، من دون أي استراتيجية وطنية بعيدة. فكثير من الاحيان تم التضحية بالسريان والتركمان واليزيدية من اجل كسب القوى الكردية المهمينة. فكم من القرى السريانية المسيحية في شمال الوطن تم تهجير سكانها الى الموصل وبغداد وخارج العراق وتحويلها الى مناطق كردية بموافقة ودعم الحكومة والاحزاب العراقية!! وهنالك امثلة كثيرة يمكن ذكرها بخصوص اليزيدية والكاكائية والشبك، وغيرهم. ان هؤلاء جميعهم في العمق يرفضون ويخافون من هيمنة الحركات المسلحة الكردية التي تعمل على تذويبهم وحتى تهجيرهم وتعريب وتكريد مناطقهم (على طريقة النظام طبعا)!

ان اكبر مثال على خطأ السياسة السائدة، هو الموقف ازاء التركمان. فكان من الخطأ الكبير ان يجبر التركمان في الإحصاءات السكانية على قبول واحد من خيارين:(عربي ام كردي)!! والنتيجة ان الكثير منهم تم احتسابه على العرب وعلى الأكراد خصوصا! ان التركمان يشكلون الفئة العراقية الثالثة بعد العرب والاكراد ويقرب عددهم من المليونين وغالبيتهم الكبرى يعتزون بعراقيتهم ولم يطرحوا أي مطاليب سياسية او استقلالية، بل مطاليبهم ظلت عموما ثقافية انسانية ضمن الوطن العراقي. لكن مع هذا ولأسباب حزبوية تتعلق بتحالف البرزاني مع السوفييت فان الشيوعيين العراقيين قرروا تقديس القضية الكردية وتبرير جميع الطروحات الانفصالية باسم (حق تقرير المصير)، والحكم على التركمان بالطورانية واليمينية والعمالة والرجعية وغيرها من النعوت التي بررت عزلهم وحتى تبرير ذبحهم من قبل بعض المتطرفين الاكراد. ان القوى العراقية كما في كل مجال لم تحسب ابدا الاهمية الستراتجية الحاسمة للتركمان في خلق التوازن والاستقرار في شمال الوطن، حيث وجودهم ليس في كركوك وحسب بل في اربيل نفسها حيث يشكل السكان من اصول تركمانية نسبة كبيرة جدا. ثم ان التركمان بطبعهم وموقعهم وعددهم وتنوعهم بين شيعي وسني وتجاورهم المباشر مع العرب والاكراد والسريان، كل هذا يجعل من السهولة جدا كسبهم لصالح الوطنية العراقية، على شرط التخلي عن (النزعة العروبية) العنصرية او الحزبوية في التعامل معهم. من المعلوم ان غالبية النخب التركمانية بعد تجاربها المخيبة مع تركيا، قد ادركت مدى سذاجة اعتمادهم على تركيا وخطل الطروحات الطورانية الرومانتيكية اللاواقعية، مما خلق فيهم شعورا عراقيا قويا، بحاجة ان يستثمر ويكافئ من خلال تقريب نخبهم والاعتراف بحقوقهم الثقافية واعادة كتابة تاريخهم العراقي الأصيل الممتد الى اكثر من 1400 عام.

نفس الكلام يقال عن السريان (وقد تنوعت اسمائهم بين كلداني وآشوري وسرياني).. ومن اكبر خطايا القوى العراقية انها ساهمت أو لم تهتم بعمليات الهجرة الواسعة للسريان من قراهم في الشمال (الى بغداد ثم الى الخارج) لتصبح كردية!! يتوجب دراسة المسألة واشراكهم من اجل المطالبة بمناطقهم الاصلية، مثلما تطالب القوى القومية الكردية والتركمانية بحق عودة المهجرين عن مناطقهم.

نفس الكلام نقوله عن اليزيدية الذين راحت تركز عليهم المؤسسات القومية (العالمية!) في السنوات الأخيرة، من اجل نفي عراقيتهم وفرض العقلية التعصبية الآرية المغلفة بالكردوية بغاية الاستيلاء على منطقة سنجار الهامة استراتيجيا للسيطرة على الموصل وكل شمال العراق!!

من الأمثلة المهمة على ضرورة استثمار الفئات العراقية الشمالية، بالنسبة لمدينة "اربيل". فإن الوجود التركماني والسرياني في اربيل جعل حتى الإنكليز في وثائقهم المتداولة في العشرينات، يرفضون اعتبارها جزءا من مشروع (كردستان)

التابع لمحمود الحفيد، بل اعتبروها عراقية. ان مسألة "اربيل" نقطة مهمة جدا في هذا السياق: مثلما يطالب القوميون الانفصاليون بضم كركوك وسنجار وخانقين وكل شمال العراق، تنعكس المسألة بأن تطالب القوى العراقية باعتبار "اربيل" ليست كردستانية يحق عليها الانفصال او ما يسمى بحق تقرير المصير. فهي عراقية اصيلة مثل باقي المدن العراقية، من الناحية السكانية (مع الاكراد هناك ايضا التركمان والسريان)، ومن الناحية الجغرافية (هي جزء من سهل الرافدين القريب من دجلة)، ومن الناحية التاريخية (كل ميراثها عراقي منذ السومريين والآشوريين والعباسيين حتى العثمانيين ثم العصر الحديث). جغرافياً وتاريخياً فإن منطقتي السليمانية واجزاءاً من دهوك منتميتان فعلا لما يسمى بكردستان ويحق لها التمتع بما يسمى بحق تقرير المصير، اما اربيل وباقي المناطق العراقية التي تضم اشقائنا الاكراد فهي عراقية جغرافيا وتاريخيا وابنائها مهما كانت لغتهم وديانتهم هم عراقيون اصلاء ولهم الحق الكامل بالتمتع بخصوصياتهم اللغوية والثقافية ومشاركتهم الكاملة بادراة الدولة العراقية مثل باقي الفئات العراقية.

لهذا نقول ان هذا المبدأ الثاني يعني قبل كل شيء رد الاعتبار لجميع الفئات العراقية مع الاعتزاز التام باشقائنا الاكراد، ومنح هذه الفئات المختلفة دورا مهما في العملية الثقافية والسياسية واعتبارها اطرافا حليفة في مواجهة المشاريع التقسيمية الانفصالية المدعومة صهيونيا وغربيا.

المبدأ الثالث - استراتيجية وطنية للتنوع الثقافي واللغوي والمذهبي

من المعروف ان شمال العراق بسبب تنوع التضاريس من جبال وانهار ووديان وسهول، ادى الى تنوع اللغات والمذاهب والاديان بصورة تفوق كثيرا عددها في وسط وجنوب العراق حيث تقل التضاريس وتسود السهول التي تساعد على الاختلاط والتماثل بين السكان. فكما اشرنا من الناحية اللغوية هنالك الاكراد والتركمان والسريان والأرمن، ومن الناحية الدينية هنالك المسلمون والمسيحيون واليزيدية، ومن الناحية المذهبية هنالك الشيعة والسنة والعلوية والشبكية والكاكائية. مثلا ان الأكراد في شمال العراق ينقسمون إلى قادرية ونقشبندية. علما ان النقشبندية والقادرية لهما حضور في باقي العراق وبالذات في بغداد، ومنتشرين بين "السنة" العراقيين، وهذا امر مهم يمكن استثماره من اجل كسب ابناء هذين المذهبين في شمال الوطن، من خلال خلق وتدعيم المراكز الدينية التعليمية في بغداد التي تشرف على تربية واعداد المتدينين النقشبندية والقادرية وجعل بغداد عاصمتهما الدينية والإدارية. اما بالنسبة للناحية اللغوية فهنالك لغتان مختلفتان تماما (السورانية والبهدنانية – الكرمنجية-) مع المذهبين المختلفين. هذه الفروق اللغوية والمذهبية قد لعبت طيلة تاريخ الحركة الكردية دورا في تقسيمها الى امارات متنافسة، منذ البابانية والرواندوزية والبهونانية، حتى انقسام الطلباني والبرزاني المعبر بصورة عنيفة وحادة عن هذا الانقسام اللغوي المذهبي.

ان هذه النقطة المهمة مغيبة قليلا من الناحية السياسية، ولكنها مغيبة تماما من الناحية الثقافية! أي من الواجب العمل على الاعتراف بالمؤسسات الثقافية الكردية التي تسعى الى تطوير هاتين اللغتين الكرديتين (السورانية والبهدنانية "الكرمنجية") كلغتين فصيحيتين متمايزين تمتلكان مثل كل لغات العالم حق التعبير واصدار الصحف والكتب بكل منهما، علما بأنه منذ سنوات طويلة توجد صحافة وكتب في هاتين اللغتين يستعملها الاكراد حسب لغتهم سورانية أو بهدنانية.

ان خصوصيات الفئات الكردية المختلفة لغويا ومذهبيا قد فرض ولا زال يفرض نفسه على الواقع السياسي والحزبي الكردي منذ اجيال طويلة إذ عبر عن نفسه من خلال الفرق التاريخي بين المنطقتين والطرفين الطلباني والبرزاني.

اما بالنسبة للفيلية وهم فئة عراقية اصيلة تقطن في وسط وجنوب الوطن، رغم لغتهم الفيلية الخاصة ومذهبهم الشيعي فإن لهم علاقات تعاطف متميزة مع اقاربهم الاكراد. صحيح ايضا انهم خارج المنطقة الشمالية، لكن علاقتهم الثقافية والسياسية بالاكراد تقتضي ذكرهم اثناء الحديث عن الموضوع الكردي. لقد اثبتت الاعوام الاخيرة ان خوف الحكومات العراقية من الفيلية واضطهادهم وتهجيرهم كان خطأ كبيرا، ليس من الناحية الانسانية بل ايضا من الناحية السياسية. أن الأيام كشفت ان تمسكهم بالعراق يفوق حتى الكثير من العراقيين. ان قمعهم وتهجيرهم ادى الى دعم الأطراف القومية الانفصالية، بينما كان كسبهم

ووجودهم في العراق يؤدي الى التخفيف كثيرا من حدة الطروحات التعصبية. يتوجب إذن اعادتهم واعادة املاكهم وكسبهم من اجل التأثير الوطني العراقي الإيجابي في الوضع الكردي ودعم وتنشيط التيار الكردي العراقي الأصيل المناوئ للطروحات القومية الانفصالية.

وسائل دعم المشروع (اللجنة العليا لشمال العراق)

لكي لا تظل هذه الطروحات في المجال التنظيري فان على النظام الوطني القادم ان يشرع بتكوين لجنة رسمية كبيرة تكون مهمتها الإعداد والإشراف على السياسة الثقافية الخاصة بشمال العراق بالاعتماد على المبادئ المذكورة اعلاه. كذلك متابعة حيثيات الطروحات القومية الانفصالية واعداد الخطط بكيفية التعامل معها وتشجيع الطروحات الوطنية. وتكون هذه اللجنة تابعة لمجلس الأمة العراقية (البرلمان) ومن ممثلين عن الوزارات والادارات التالية:

- ممثلون عن وزارة الثقافة والإعلام، فيما يتعلق بمسألة إعداد خطة إعلامية لدحض الطروحات القومية الأنفصالية والرد عليها، وكيفية التأثير على الإعلام العربي والعالمي. أي ضرورة ايصال الكتابات والبرامج التي تدحض الطروحات القومية وتؤكد على عراقية المنطقة الشمالية وتبرز دور الجماعات الكردية والتركمانية والسريانية واليزيدية المناوئة للطرح الانفصالي. ان مناوئة هذه الطروحات اللاوطنية لا يكون فقط من الناحية الفكرية الكلامية، بل ان الرد الأفضل والأقوى يتمثل بخلق اعلام ثقافي يعبر ويشمل كل الفئات العراقية. يعني ان يكون من الطبيعي جدا وجود برامج واغاني وتمثيليات ناطقة ومعبرة عن كل الفئات العراقية وان تحتفل وسائل الاعلام بالمناسبات الدينية والفئوية لهذه الفئات المختلفة.

- ممثلون عن وزارة التربية، فيما يخص اصلاح مناهج التربية والتاريخ والجغرافية العراقية بصورة تؤكد على عراقية شمال العراق وعراقية المدن والمناطق مع التأكيد على ان اسهام الأكراد وسكان المنطقة الشمالية بصنع التاريخ العراقي منذ السومريين وحتى الآن (مثلا تاريخ اربيل الآشوري، وتاريخ كركوك منذ السومريين، ومثال عن دور اسلاف الأكراد في صنع تاريخ العراق منذ الكوشيين القادمين من جبال زاغاروس الذي كونوا سلالة بابلية خلال عدة قرون، وعن الشخصيات الكردية في العراق العباسي والعثماني والمعاصر، نفس الشيء بالنسبة لباقي الفئات من تركمان وسريان ويزيدية وغيرهم ..الخ) والتأكيد كذلك على وجود الفئات الدينية والأقوامية غير الكردية في شمال العراق، مثل التركمان واليزيدية والسريان .. أي خلق وعي تربوي عراقي صميم يؤمن بعراقية اربيل وكركوك والموصل، وعراقية التركمان واليزيدية والسريان، وعراقية الأكراد.. وهذا يعني الغاء الطرح "العروبي" الذي يمنح كل الحجج للقوميين من اجل تبرير انفصالهم عن العراق وارتباطهم بالقوى الخارجية. ان الطرح الوطني العراقي هو الوحيد القادر على خلق هوية وشعور عراقي يجمع ويصهر مختلف الفئات العراقية في بودقة وطنية واحدة.. نقول يجب مراجعة الطرح العروبي الذي لم يعد مفيدا لا للدولة ولا للشعب لأنه يخلق المتاعب للجميع ويبرر ارتباط العراقيين بخارج العراق.

- ممثلون عن وزارة الأوقاف (شؤون الأديان)، من اجل الاتصال والتأثير على الطوائف الدينية المختلفة التي تعيش في شمال العراق: الكنائس المسيحية والطوائف اليزيدية والكاكائية والشيعية والشبكية، بالإضافة الى النقشبندية والقادرية. ان كسب هذا الطوائف يجب ان لا يتم بسياسة الترغيب والترهيب السائدة، بل قبل كل شيء من خلال التأثير الثقافي وبناء المؤسسات الدينية والثقافية الخاصة بهم والتعريف بنتاجاتهم الثقافية واحتفالاتهم الدينية في وسائل الإعلام، وجعل بغداد عاصمتهم الدينية من خلال بناء مراكزهم الثقافية والدينية فيها. ان هذه هي الطريقة الوحيدة والمضمونة بكسبهم وتعميق اصالتهم العراقية.

- ممثلون عن اتحاد الكتاب وعن جامعة بغداد وباقي المؤسسات الأكاديمية والثقافية، من اجل الإشراف على تأسيس ((مركز دراسات شمال العراق)) تكون مهمته دراسة وتمحيص الطروحات القومية التعصبية وايجاد الطروحات البديلة المضادة، ونشر الكتب الخاصة بالموضوع واصدار ((مجلة اكاديمية دورية)) خاصة بشمال العراق من اجل التعريف بتاريخه وبجغرافيته وبمدنه وبكل فئاته وتغذية مؤسسات الدولة بكل المعلومات التاريخية والجغرافية والسكانية والدينية واللغوية. بهذه المناسبة

يتوجب مراجعة كل شيء في هذا المجال والتخلص من الطروحات القومية المتأصلة منها مثلا الغاء مسميات: (قومية واقلية وعرق) من القاموس، لأنها مفردات سلبية وتقسيمية ومنافية لتسميات (شعب عراقي وامة عراقية).

من الضروري ايضا استخدام مفردات اكثر وطنية وتوحيدية مثل (فئات مذهبية ودينية ولغوية (اقوامية) كما هو مستخدم في هذه الدراسة، بدلا من المفردات التقسيمية السائدة: قوميات وامم واقليات وشعوب ..الخ. وان يستخدم تعبير (الأمة العراقية) لأن هذا هو الصحيح، فإن معظم الدولة العربية التي تطلق على نفسها "امة" لا تتمتع بشروط افضل من العراق حينما تعتبر نفسها (امة)! ان ايمان الأوربيين بأنهم "امم" مختلفة لم يمنعهم من التقارب والتوحد من اجل مشروع خلق (امة اوربية) مستقبلا! هذه الدعوة الوطنية ابدا ليست ضد الوحدة العربية، بل هي دعوة الى تعزيز الوحدة الوطنية واحياء هويتها المنسية من اجل التقدم فيما بعد نحو الوحدة العربية الاكبر لطريقة عقلانية وواقعية مثل الوحدة الاوربية. أي عكس الطريقة المتبعة منذ اجيال والتي جعلتنا نضيع المشيتين: لا الوحدة الوطنية ولا الوحدة العربية!!

اخيرا يتوجب هنا اعادة التأكيد على المسألة التالية:

ان هذا المشروع لا يبتغي ابدا تسبيب الأذى لأية فئة عراقية ومنهم الأشقاء الاكراد ولا لزيادة الظلم الذي يعانون منه منذ اجيال: ظلم الدول العراقية وظلم مشاريع القيادات القومية التابعة لنفوذ القوى الدولية المحيطة. بل المبتغى هو العكس: الإسهام بفضح ومكافحة الطروحات والسياسات القومية المتعصبة الممارسة من قبل الدولة العراقية ومن قبل الاطراف القومية التي ساهمت بديمومة حالة الخراب. مكافحة الطروحات القومية التي ادت وتؤدي وستؤدي دائما الى توريط ابناء الامة العراقية بحروب وكوارث متلاحقة وتبقي الوطن بنزيف وتوتر دائمين.

ان الوطن لا يقوم ولا يستمر الا بوجود ثقافة وطنية متنوعة وشاملة تشعر الجميع بإنتمائهم وتاريخهم ومصالحهم المشتركة. نعم ان الوطن ثقافة ومشاعر اولا قبل ان يكون سياسة وشعارات وقرارات. وهنا يكمن الدور الحاسم للمثقفين العراقيين الذي يجب ان يسبق ويهيئ لدور السياسيين والاداريين..

عيد الربيع العراقي والشامي والشرقي*

نموذج لامكانات التوحد الوطني بين الفئات العراقية

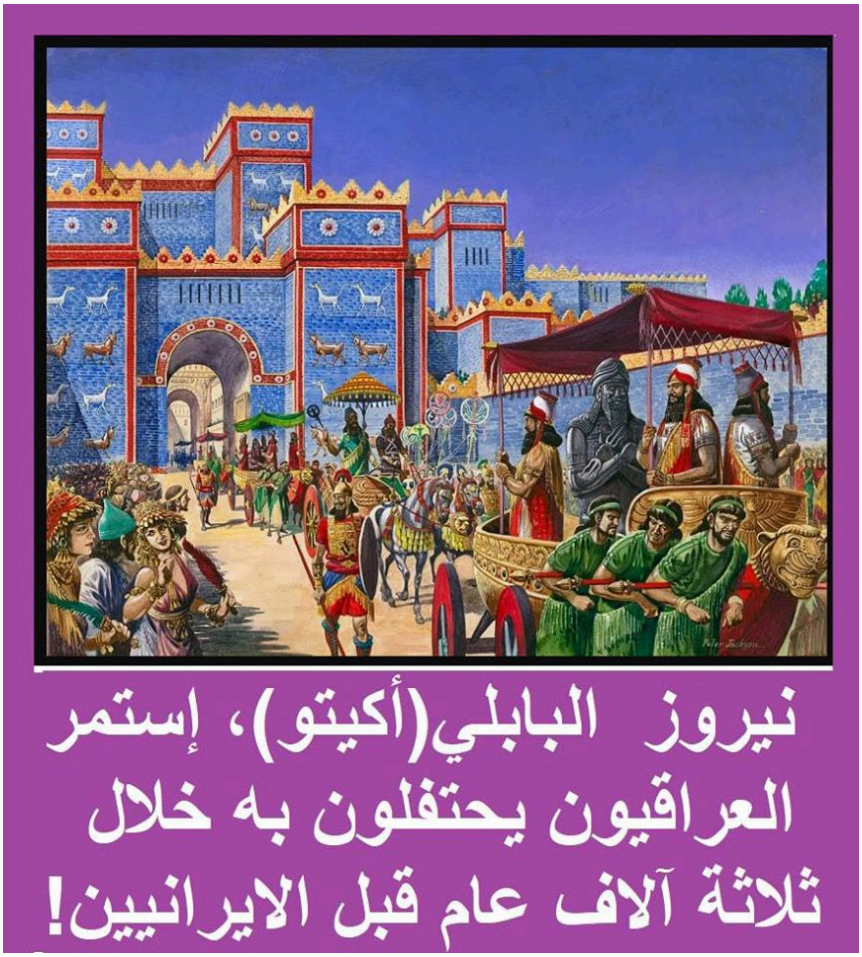

ليست هنالك من مناسبة تجمع شعوبا ذات مشارب وثقافات مختلفة حول معاني إنسانية قائمة على المحبة والتآخي والخير مثل الاحتفال بعيد نوروز الذي يعتبر عيدا مشتركا لشعوب عديدة تختلف في اللغة والعرق والمذهب في دول آسيا وأفريقيا ودول البلقان في عالمنا اليوم. حيث تتحد هذه الشعوب في الاحتفال بهذه المناسبة باعتبارها عيدا للربيع والخصب أو بداية لعام جديد حسب تقاويمها التاريخية .

تاريخ العيد لدى العراقيين والشاميين

ظل العراقيون يحتفلون بعيد الربيع في سومر وبابل وفي نينوى لحوالي ثلاثة آلاف عام حتى انتشار المسيحية. لقد سماه السومريون (زكموك) والبابليون والآشوريون (اجيتو - الحج) أي عيد رأس السنة. ويبدأ العيد في اول يوم من السنة حسب التقويم العراقي الذي يعتبر يوم المنقلب الربيعي ويصادف الآن (21 آذار) بينما كان يعتبره العراقيون اليوم الأول من شهر (نيشان - نيسان) أي يوم ظهور نيشان وعلامة الربيع. في هذا اليوم يتحرر (تموز - اله الخصب الذكوري) من قبره في ظلمات الارض، ليظهر الى السطح ويخصب (عشتار) الهة الارض والأنوثة، فتنبثق الحياة ويظهر الربيع. كان الكاهن العراقي الأعظم يصلي للأله (مردوخ) ومعناه (مار وضوح - سيد الوضوح أي اله النور). ويقوم الكهنة الآخرون بالطقوس الدينية الأخرى لأيام

---

* كتبنا هذا الموضوع بالتنسيق مع صديقنا نصرت مردان.

متتالية. ويستمر العيد لعشرة ايام وفي اليوم الأخير تتم تلاوة أسطورة الخليقة وتقدم الصلوات والقرابين في اليوم الخامس. كما كان الملك يقدم تقريرا عن إنجازاته في السنة المنصرمة، ويطلب من الإله مردوخ المغفرة لذنوبه وآثامه. وفي المساء يذبح ثور أبيض. وفي اليوم السادس تنظم مسيرة ضخمة في شارع الموكب حيث يتم إحراق دمى ملونة بعد الانتهاء من المراسيم الرسمية. وفي اليوم العاشر يتم الاعتراف بشرعية حكم الملك من قبل الإله مردوخ. كانت المواكب التي تحمل تماثيل الآلهة تعود إلى بابل عبر الطرق البرية ولهذا أمر الملك نبوخذنصر ببناء شارع الموكب الذي كان يمتد من دار العيد إلى باب عشتار. وخلال ايام العيد يعم الفرح بين الناس وتباح الكثير من الممنوعات. وقد انتقلت تقاليد الاحتفال بهذا العيد إلى الشام مع انتقال الميراث السومري إلى الساميين ومنها على سبيل المثال لا الحصر عبادة (تموز) أو أدونيس (بعل) مع عشتار. ولا يقتصر تأثير هذا العيد عند هذا الحد بل يظهر أيضا بشكل واضح في الاحتفال بعيد الفصح المسيحي الذي يعتبره المسيحيون عيد القيامة، أي عودة السيد المسيح إلى الحياة بعد صلبه تماما مثل الاحتفال بقيامة (تموز) وعودته إلى الحياة ليعود معه الربيع والخصب. واعتبر العباسيون عيد الربيع عيدا رسميا ولكن مع تبني اسمه الفارسي (نوروز) وأصبح الاحتفال بهذا العيد أمرا شائعا ورسميا في بغداد العباسية.

انتشار هذا العيد العراقي في انحاء الشرق

لقد انتشر هذا العيد العراقي لدى شعوب آسيا الآرية والتركستانية بعد سقوط بابل على يد الفرس (539 ق.م) حيث اقتبس الفرس هذا العيد مع ما اقتبسوه من ميراث الحضارة العراقية العريقة من كتابة ولغة وعلوم وفنون ومعتقدات دينية. ومن ضمنها العيد العراقي الذي أطلقوا عليه في لغتهم اسم (نوروز - اليوم الجديد) وهي ترجمة شبه حرفية للتسمية العراقية (يومو نيشان) أي (يوم التفتح والتجدد)، وقد بدأ الفرس يحتفلون به حسب السنة البابلية الذي كانت تبدأ في اول نيسان وهو نفس تاريخ 21 آذار حاليا.

اما بالنسبة للشعوب التركستانية فلها أساطير عدة حول يوم نوروز لعل أشهرها ملحمة (اركينكون). ويعتبر 21 آذار هو عيد رأس السنة الجديدة ويسمونه (ينكي كون - اليوم الجديد). أما التركمان في مدينة آرضروم فيعتبرونه يوم بعث الموتى وانطلاقهم للمرح في الحياة. وفي المجتمعات الشيعية والعلوية والبكتاشية التركية يحتل نوروز مكانة مقدسة عند هذه المجتمعات. حيث يعتبر البكتاشيون (فرع من فروع الشيعة التركية) نوروز يوم ميلاد الإمام علي كما أنه بالنسبة لهم أيضا يوم زواجه من فاطمة الزهراء (رض). أما الشيعة فيعتبرونه اليوم الذي أعلن فيه الرسول الإمام علي خليفة له.

الاحتفالات في العراق المعاصر

ان اشقائنا الأكراد يحتفلون بعيد نوروز باعتباره ذكرى انتصار (كاوه) الحداد على الملك الطاغية (الضحاك)، وهي حكاية قد تلتقي مع حكاية الاله تموز الذي يحرر البشرية من طغيان برد الشتاء وموته وقحطه. ولا زال يتم الاحتفال بهذا العيد في مختلف انحاء العراق باسم "يوم المحيا" أي احياء الربيع بعد جماد الشتاء. ويسمى ايضا (يوم الكسلة) كما في البصرة، او (دورة السنة) او (يوم الخضر) وهو الشخصية الاسطورية الاسلامية التي يتبط اسمها بالخلود والخصبة والخضرة. في أرياف الجنوب يحتفل أيضا بهذه المناسبة في 21 آذار، حيث يقومون بشراء الخس والشموع على عدد أفراد الأسرة ثم يضعون الرز واللبن والسمسم والسكر والحناء في (صينية) كبيرة ويطلقون على هذه المواد (جوه السلة) وبعد فترة من الهدوء والصمت يبدأون بتناول ما في الصينية. وفي اليوم الثاني يخرجون للتنزه في البساتين عصرا ومعهم الأطعمة ثم يعودون بعد الاحتفال إلى بيوتهم.

كذلك يحتفل سكان كركوك والقرى التركمانية بهذه المناسبة، حيث يجتمعون في ليلة 21 آذار في الأزقة والحارات، ويبدأ الأطفال بالغناء وهم يحملون المشاعل في الطرقات وفي سطوح منازلهم. وفي المساء يتم كسر الجرار القديمة، ويسمى العامة هذه الاحتفالات باحتفالات (هلانا) وهو في الأصل احتفال خاص بـ (مسيحيي القلعة) التركمان الذين يحتفون به بذكرى إرسال (هيلانه) أم الملك قسطنطين جموعا من المسيحيين من استانبول إلى فلسطين للبحث عن الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح، وبغية إضاءة الطريق طلبت إشعال المشاعل عبر التلال والجبال والطرق والمنافذ المؤدية من استانبول إلى فلسطين. ومع الزمن

ونتيجة لمشاركة المسلمين التركمان جيرانهم من أبناء جلدتهم المسيحين في هذه الطقوس الاحتفالية، أصبح الاحتفال في نوروز بهذه المناسبة تقليدا عاما يحتفل به سكان كركوك من التركمان في أحياء مختلفة.

ولا زال تقديس هذا العيد سائدا لدى المسيحيين باسم عيد الفصح وكذلك لدى العلوية في سوريا باسم عيد نيروز وظهور الخضر صاحب الزمان ولدى اليزيدية بظهور الملاك طاووس (تموز!)، ولدى باقي العراقيين باسم يوم المحيا او يوم الخضر. ان آثار هذا العيد المقدس توجد لدى جميع طوائف العراق والشام والشرق الاوسط باسماء وحجج مختلفة، ولكن كلها مرتبطة بالربيع.

من اجل احياء عيد الربيع

ان المشكلة في العراق والشام تكمن في ان نخبها الثقافية والسياسية لم تهتم بهذه النواحي التراثية التاريخية الأصيلة في مجتمعاتنا، والتي يمكن ان تلعب ادوارا وطنية توحيدية تفوق كل الخطب والشعارت السياسية. ان الخطوة الكبرى التي قامت بها النخب الايرانية ايام الشاه رضا بهلوي منذ اوائل القرن العشرين انها جعلت عيد نيروز احتفالا وطنيا رسميا واعادة احياء كل الاساطير الشعبية حوله رغم احتجاج رجال الدين. ومن خلال هذا التأثير الايراني تبنت النخب القومية الكردية هذا العيد واحيت اسطورة (كاوا الحداد) ونجحت بجعله عيدا قوميا كرديا. اما نخبنا، فإنها للأسف، بسبب تجاهلها للتاريخ العراقي الشامي وعدم اهتمامها بميراثات الطوائف والجماعات المختلفة، وبسب التعصب القومي الساذج ضد كل ما هو ايراني حيث ارتبط اسم هذا العيد بتسمية (نيروز) الايرانية، لهذا فان نخبنا وحكوماتنا قد تجنبت الاقتراب من (عيد الربيع) هذا، بل هي ساهمت بموته من خلال احتقار كل ماهو تقليدي وعيد شعبي (بحجة انه متخلف وعشائري وطائفي) ولأنه (مرتبط بالفرس)! حسب الفهم القومي السائد. والغريب ان الحكومة العراقية منذ اعوام السبعينات قد اقرت الاحتفال بعيد نيروز وجعله عطلة رسمية، ولكن كعيد كردي، ولم تنبه ابدا الى حقيقته العراقية الاصيلة.

ما أحرانا كعراقيين (كذلك نفس الشيء بالنسبة للشاميين) أن نعيد احياء (عيد الربيع)، هذا العيد الوطني الجامع والشامل لكل فئات الامة العراقية.

علما ان هناك مناسبات وطنية توحيدية عديدة يمكن الانتباه اليها لو توفرت فعلا الارادة الوطنية الصادقة لدى دولتنا ونخبنا الفاعلة. وقد سبق لنا في خاتمة كتابنا (الذات الجريحة) ان تطرقنا الى هذه المسألة واشرنا مثلا الى الاحتفال بعيد (انبثاق اول دولة عراقية موحدة) في التاريخ تحت قيادة الملك (سرجون الاكدي)، وكذلك (عيد تأسيس بغداد) الذي يبدو ان الحكومة العراقية قد قررت تبنيه بعد صدور كتابنا المذكور.

ملاحق معلوماتية وصحفية

نماذج من الفهم القومي العرقي للتاريخ

هذه نماذج للأفكار الرائجة في الوسط القومي الكردوي والتي لا تختلف من الأفكار القومجية العروبية بتزييف التاريخ واعتبار الانتماء العرقي القومي هو الأساس وخلق بطولات وهمية على حساب الشعوب الأخرى التي يتم تشويه تاريخها ونفي ميراثها الحضاري:

من الطرائف القومجية.. النبي ابراهيم.. كرديا!!

كانت رغبة قداسة البابا - وما زالت - القيام بزيارة تاريخية للمكان الذي بزغت منه شمس الهداية، وانطلقت منه رحلة الايمان فكان الحاضن لميلاد أبي الأنبياء، وخليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك لمناسبة حلول الفية جديدة على ولادة المسيح عيسى بن مريم. وهي رغبة يقدر المؤمنون دوافعها الروحية والنفسية والتاريخية. وأحيطت هذه الرغبة بعد اشاعتها، بقدر واسع من التحليلات والتعليقات الصحافية المختلفة. ولم يسأل أحد من المعنيين بالزيارة عن مسقط رأس سيدنا ابراهيم، بل اكتفى الجميع بما هو شائع في بعض كتب التاريخ من أنه يقع في مدينة أور جنوب العراق. والحقيقة التي تؤيدها الآثار أن الموطن الحقيقي لمسقط رأسه عليه السلام منطقة بيتواته التابعة لمنطقة رانية حاليا وتقع بين أربيل والسليمانية في كردستان العراق، كما أن مملكة نمرود تقع ضمن كردستان العراق وشماله.

لماذا سكت الآثاريون - على رغم الاكتشافات الحديثة - والجوانب أنه منذ القدم وحتى تقسيم كردستان في معاهدة لوزان عام 1923 حاولت الأنظمة المعادية للأمة الكردية بشتى الوسائل طمس هذه الحضارة العريقة وعدم ابراز الحقائق التاريخية لها.

حين دعا سيدنا ابراهيم ليريه كيف يحيي الموتى؟ فأوحى له القادر الخالق بأن يقوم بقتل أربعة طيور مختلفة ويقطعها الى أجزاء ومن ثم وضع الأجزاء في مواقع متفرقة على الجبال المحيطة بمكان وجوده. فلينظر ماذا يرى؟ قال تعالى: {وإذا قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أوَ لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيز حكيم} الآية 260 سورة البقرة.

من بين الطيور الأربعة كان "القبج" الموجود بكثرة في جبال كردستان وحتى يومنا هذا، والقبج لا يمكنه العيش في الصحارى والمناطق الحارة، والمعروف أن مدينة أور تقع في القسم الجنوبي من العراق والمنطقة حارة وخالية من الجبال أيضاً.

اذا كان الهدف من هذه الزيارة (زيارة دينية محضة) والبابا ينوي القيام بها في المستقبل القريب (أجلت في الوقت الحاضر) أليس من الأفضل مسبقاً ارسال بعثة متخصصة الى المنطقة لتقصي المزيد من الحقائق وجمع المعلومات وعندئذ يتضح لقداسته هل مدينة أور أم كردستان هي موطن سيدنا ابراهيم عليه السلام؟ (...).

عبد الله عبد الكريم البرزنجي، مستشار في وزارة الثقافة والفنون لإقليم كردستان العراق سابقاً، مقيم حالياً في المانيا.

جريدة الحياة - لندن – 19 – 1 - 2000

***

الدولة الأيوبية في سوريا ومصر ... امبراطورية كردية !!

ولا شك بأن الحقبة الأهم في تاريخ الأكراد كانت في مرحلتي الدولة - الدوستكية - (982 - 1086) التي شملت معظم أجزاء كردستان وتمركزت بالأساس في المنطقة الكردية الملحقة الآن بسوريا وكذلك مرحلة الامبراطورية الأيوبية وقد دامت حوالي 400 عام والتي شكلت المنطقة الكردية الملحقة بسوريا جزءاً هاماً منها.

الدكتور جمال رشيد - أستاذ التاريخ القديم في جامعة بغداد سابقاً (انتقل من البعث العروبي الى البعث الكردوي)!! مؤتمر الحوار - ص 44

حتى بغداد كردية!!

فالامبراطورية الميدية الكردية كانت قائمة قبل الميلاد بـ 700 عام وتضم كل أنحاء كردستان ومن ضمنها جنوبي كردستان وبغداد اليوم - بغداد كلمة كردية ايرانية ومعناها عطاء الله.

جواد الملا (كردي سوري) - القدس12 - 15 - 2000

تعليق: الدولة الميدية ايرانية وليست لها أية علاقة بالأكراد.. وتسمية (بغداد) أكدية ومتداولة في العراق القديم.

***

الأتراك البدو المخربون والكرد المتحضرون!

جلبت هجرة القبائل البدوية المغولية - التركية - التترية نحو جنوب غربي آسيا في الواقع نتائج وخيمة لعملية التطور الحضاري التي كانت تشهدها البلاد الكردية بعد انتصار الشداديين والمروانيين على قوى الكفر في بلاد القبق والأناضول والأيوبيين على الصليبيين في بلاد العرب. وقد حاولت الذهنية البدوية في قبائل أواسط آسيا أن تبيد الصرح الحضاري الإسلامي الذي بناه الكرد في بلاد المسلمين.

جمال رشيد - مؤتمر الحوار

***

العرب البدو الذين هدموا الحضارة الكردية؟!

توجهت قوات الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة عياض بن الغنم نحو الجزيرة وشهرزور فاتحة الطريق أمام تغلغل بدو العرب إلى قلب الوطن الكردي، ثم انتشروا في مقاطعات حلوان ونهاوند وميسيل وآميد وقردي التي تحولت مسميات بعضها بناء على المفهوم القبلي العربي إلى ديار ربيعة وديار بكر وديار مضر. ومما لا شك فيه أن أبناء المجتمع المثرائي والزرادشتي، وحتى المسيحي الكردي قد رفضوا بطبيعة الحال ذلك التحول الروحي المفاجئ الذي دعا إليه السادة الأوائل من المسلمين، وخاصة في إقليم الجبال والأهواز. ثم قاوموا سياسة القمع الديني والعنصري التي مارسها الأمويون والعباسيون في بلادهم.

الدكتور جمال رشيد - مؤتمر الحوار - ص 43

***

تعليق: طبعاً معظم المناطق المذكورة (الجزيرة وآمد "ديار بكر" وديار مضر وديار ربيعة لم تكن كردية اطلاقاً، بل كانت سريانية ثم عربية حتى القرون الأخيرة حيث تم تكريد بعضها (في تركيا حالياً مثل ديار بكر) والوجود الكردي أثناء الفتح العربي كان محصوراً في الجبال فقط ولم يكن هنالك أي مركز حضاري ناطق بالكردية أبدا.

***

حتى التكتيك مرفوض !

لا نود العودة الى التاريخ البعيد أو القريب أو نفتح الجراحات المؤلمة بل أود فقط أن أنوه للذكرى. فكما هو معلوم أن الدولة العراقية التي تأسست سنة 1921 قد ابتلعت الدولة الكردية المقترحة من قبل معاهدة سيفر عام 1920 وفي غفلة من الزمن... والتي كانت تضم الموصل وأربيل والسليمانية وكركوك... فبريطانيا المصممة على السيطرة على نفط كركوك أرغمتهم على الدخول في اتحاد ملطخ بالدماء مع الدولة العراقية التي انشأتها حديثاً واخضعتها لهيمنة الأقلية السنية العربية.

فالشعب الكردي مع تحرير شبر واحد من الأرض الكردية الطاهرة واقامة دولته المستقلة بدلاً من مئات الكيلومترات يقيم عليه نظاماً فيدرالياً...

لذلك فما يقال أن البرلمان الكردي تصرف تصرفاً ذكياً حينما دعا الى الفيدرالية اقول بكل أسف أن ذكاءه كان في غير محله... وبدون طموحات شعبه...

رشيد عقراوي - جريدة الزمان 19-3-2001

ملاحظة: معادة سيفر 1920 شملت فقط مناطق اكراد تركيا، ولم تشمل ابدا اكراد العراق

كل شيء آري !

حجاز: مقام كردي قديم. سلس وشائع وهو جزء من الموسيقى الإيرانية القديمة.

صديق بوريي/ المؤتمر 2002 - 3 - 8

تعليق: ان صاحب هذا المقال قد اعتبر جميع المقامات الموسيقية الكردية فارسية آرية، حتى مقام حجازي وبياتي العراقيين - ولم يبين لنا هذا الباحث كيف لهذا المقامات (الآرية) أن تحمل اسماء عربية مثل: سحر وعشاق وسفر؟ نعم أنها حملة عنصرية شعواء لرفض أي تأثير عراقي أو سامي أو عربي!!

***

العنصرية بشكلها البدائي جدا جدا !!

ثبت حدود كردستان قبل أكثر من 400 عام أي في زمن لم تكن هنالك دولة واحدة ذات حدود قومية على وجه الأرض. فالدول القومية بدأت تظهر الى الوجود بعد الثورة الفرنسية 1789

كردستان إذن ليست زعما ووهما بل هي حقيقة تاريخية ووجود جغرافي على أرض الواقع ومفهوم حضاري بخلاف دولة العراق التي فبركها المستعمرون البريطانيون في العشرينات من القرن الماضي وذلك بالحاق جنوب كردستان (ولاية الموصل) بولايتين عثمانيتين هما ولاية بغداد وولاية البصرة، ثم أتوا بأحد الأغوات العرب من خارج العراق وعينوه ملكاً عليه.

لقد كانت كردستان على عهد الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي وكذلك ما يسمى اليوم بالعراق (كان اسمه آنذاك عند العرب بلاد السواد) جزءاً من الإمبراطورية الساسانية المترامية الأطراف والتي كانت امبراطورية ايرانية (فارسية كردية) وكانت عاصمتها تيسفون (المدائن) تقع في المنطقة الكردية وهي على مرمى حجر من مدينة بغداد الحالية. ولم تكن توجد أية جماعة عربية هناك. أما ما ورد في مقال الأستاذ جواد ملا حول كلمة بغداد والتي هي كلمة كردية ايرانية فهي حقيقة لغوية.

وليست كلمة بغداد فقط وإنما آلاف الكلمات العربية ومن بينها مئات الكلمات الحضارية ترجع في أصولها الى اللغة الكردية ومنها على سبيل المثال لا الحصر: النموذج والساذج والطازج والبرنامج والهندسة والكهرباء والبرق والبريد والديوان والدفتر والقلم والحرف والخندق والزمان والأستاذ والسروال .... وتوجد في القرآن الكريم كلمات كردية كـ "البرزخ" و"أكنان" جمع كن Kun بمعنى "المأوى"، الملجأ. وهذا الأمر ليس جالباً للمعرة أبداً، فاللغات ليست إلا موجودات حية قابلة للنشوء والتطور وفي خلال ذلك تقتبس من بعضها البعض حسب الظروف والأوضاع الزمنية والمكانية. فقد كانت اللغة العربية في صدر الإسلام لغة بداوة تعوزها المصطلحات الفنية والعلمية والحضارية. وقد ألقيت في حينها في مبنى جمعية الإصلاح الاجتماعي بالزبير عندما كنت مدرساً للرياضيات والفيزياء في ثانوية الزبير (بصرة) محاضرة للرد على مزاعم أحد الدارسين العرب الذي ادعى بأن هنالك كلمات عربية كثيرة في اللغة الكردية ولكنه لم يعرف أصولها، وكانت محاضرتي تحت عنوان "رفع الأوهام ودفع التضليل عما في اللغة الكردية من الدخيل".

هذا ولما جاء الفاتحون العرب إلى كردستان تحت راية الإسلام في القرن السابع الميلادي كانت للكرد حضارتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وقد كانت إحدى لهجات لغتهم القديمة هي الفهلوية pehlewi والتي كانت اللغة الرسمية للامبراطورية

الساسانية. وكان الكرد الفيليون الذين طردوا من بغداد على عهد البعثيين يشكلون سكان المدائن (تيسفون) ومنطقة بغداد الحالية وكلمة "فيلية" مقتبسة من الـ "فهلويةَ". هذا ولم تكن من أعراف الكرد وتقاليدهم عبادة الأوثان والأصنام ووأد البنات وتجارة الرقيق ولثم الحجار واعتبار المرأة نصف الرجل بل كان الكرد من معتنقي ومعتقدات الأديان السماوية وفي مقدمتها الديانة المزدائية (الزرادشتية) التي تتصور كفاحاً مستديماً بين قوى الخير وقوى الشر. فالخير يتمثل في النور والشر يتمثل في الظلام. أما المجوسية التي ذكرها السيد سليم مطر فهي ليست بديانة معينة بل أن كلمة المجوسي تعني العالم الديني الزرادشتي ولا تعني الكافر ولكن ماذا نقول لمن لا يرعوي عن جهله وكيف تخاطب من لا يفهم، وكانت المرأة تتمتع في المجتمع الكردي بموقع تحسد عليه. وإني أزيد السيد مطر علماً بأن المرأة الكردية تسمى بيرك **pirik** (من بيروز **piroz** المقدسة المحترمة).

أما نسبه التعصب إلى الكرد فهو افتراء آخر. فالتعصب ليس من شيمة الكرد، والسيد سليم مطر يعلم جيداً من هم البيشمركه الذين كانوا يقطعون من قوتهم اليومي البسيط ويقدمونه للأسرى العرب والفرس والترك ومن هم الذين كانوا يهجمون بالأسلحة النارية على القرى الكردية بكركوك ويطلقون الهوسة عندما كانوا يقتلون الكرد العزل: "إحنا العرب أهل الغيرة، ما نخلي الأكراد أبها الديرة".

جمال نبز - فيلسوف كردي!!، جريدة القدس العربي – لندن، 2001 - 2 - 10

***

أصل الحضارة في كردستان؟!

يؤكد بعض الباحثين أن سكان جبال كردستان كانوا رواد الزراعة منذ اثنتي عشر ألف سنة قبل الميلاد.. ويعتقد بأن استخدام الأدوات النحاسية لأول مرة في التاريخ بدأ في الألف السابع قبل الميلاد في منطقة ديار بكر في كردستان الشمالية.. وبأن الأدوات البرونزية ظهرت في هذه المنطقة أيضاً في الألف الرابع قبل الميلاد وأن الآثار المكتشفة في قريتي زرزي وهزار مرد وفي قرية جرمو في محافظة كركوك احدى محافظات كردستان العراق تؤكد أن أقدم قرية زراعية في العالم نشأت على أرض كردستان.. وعلى الرغم من أهمية هذه المساهمات الكردية في تطور البشرية الا أن مركز الحضارة انتقل جنوباً الى بلاد ما بين النهرين. لأسباب لا مجال لذكرها.. فحضارة وادي الرافدين التي تعتبر من أقدم الحضارات كان منشأها في كردستان وعلى أيدي الأكراد.

وفي العام **401** ق. م خلد زينوفون الاغريقي اسم الأكراد أو سكان كردستان والذين أطلق عليهم اسم الكردوخي وهذا ما يؤكد أن الشعب الكردي من أقدم شعوب المنطقة.

وفي أغلب الأحيان ارتبط مصير الشعب الكردي بمدى قدرته على صد القوى الساعية الى السيطرة عليه.. وعندما كانت الظروف مؤاتية لهم تمكن الأفراد من استعادة وطنهم كردستان حين بلغوا شواطئ البحر المتوسط والمناطق القريبة من الخليج العربي في عهد الدولة الأيوبية الكردية.

البريطانيين الذين انتدبتهم عصبة الأمم للاشراف على المناطق العثمانية التي اطلقوا عليها فيما بعد اسم العراق. رشيد عقراوي - جريدة الزمان - لندن – 17 – 1 - 2001

***

التاريخ العرقي!

عام **706-743** الموسيقار الكوردي ابراهيم الموصلي يسدي خدمة كبيرة للموسيقى والغناء العربي، ويؤسس أول مدرسة موسيقية إسلامية **Conservatoire**، وبعد ذلك يطور ابنه إسحاق منهاج أبيه. أما زرياب تلميذهما، الكوردي الأصل هو الآخر، فيوصل التراث الموسيقي الشرقي (الكوردي) إلى قرطبة والمغرب واسبانيا.

- **750 -1258-** الخلافة العباسية تحكم كوردستان
- **929 - 1250-** من جراء الوضع السياسي والإداري للخلافة العباسية تظهر إمارات ودويلات كوردية صغيرة:

- الإمارة الشدادية (951 - 1174) في غرب شمال كردستان.
- الإمارة الحسنوية (959 - 1015) في الجنوب.
- إمارة المروانية (990 - 1096) في ديار بكر.
- الأيوبيون (1169 - 1250) في الغرب.

فرهارد بيربال - دراسات في تاريخ الكورد - ص 119.

تعليق: كل هذه الأسماء محشورة حشرا في التاريخ الكردي:

- ابراهيم واسحاق وزرياب شخصيات فنية عراقية ولادة وثقافة وحياة أما من ناحية الأصول العرقية فهذه مسألة تخص كل شخصيات الكرة الأرضية، مثلا ثلاث أرباع الشخصيات السياسية الكردية تعتقد بأنها من أصول عربية مثل آل بابان وآل الجاف والبرزنجية والحفيد وغيرهم.. كما قلنا دائما أن شخصية الانسان وانتمائه لا تعود الى أصوله العرقية المفترضة والمجهولة. بل الى أرض الولادة والمعيشة والثقافة والنسل - وأكبر مثال على هشاشة مثل هذا التفسير القومي الكردي، اعتبار الدولة الحمدانية (كردية؟!) لماذا .. باعتبار الموصل وحلب التي نشأت فيها هذه الامارة .. كردية.. نعم الموصل وحلب كرديتان....!!

***

تكذيب لحقائق التاريخ

والأنكى من ذلك إنه يتهم الكرد بقتل الأرمن بواسطة الفرق الحميدية.. والحقيقة أن لا الكرد ولا الحركة التحررية الكردية لهم أية علاقة بإبادة الأرمن، والأرمن تمت إبادتهم من قبل الحكام الترك في الدولة العثمانية بالضبط.

جواد الملا - كردي سوري ورئيس ما يسمى بـ (المؤتمر الوطني الكردستاني في أوروبا). جريدة القدس 1 – 9 - 2000

***

تأكيد السيد الطلباني

مجلة المنتدى: لقد عاش الكلد/ آشوريون والأكراد لآلاف السنين جنباً الى جنب في اقليم كردستان العراق، ونتيجة لهذه المعايشة الطويلة، وقعت مذابح رهيبة على الكلد/ اشوريين بأمر من بعض الأغوات الأكراد. كيف تقيمون ما حصل في الماضي، وما هي السبل التي تتخذونها لمنع تكرار تلك المآسي في المستقبل؟

الأستاذ الطالباني: نعم، لقد عاش الكرد والكلد / آشور، لآلاف السنين جنباً الى جنب في اقليم كردستان العراق. ولكن المذابح الرهيبة ضد الكلد/ آشوريين بأمر من بعض الأغوات الأكراد، لم تحدث نتيجة هذه المعايشة. بل ان تلك المذابح، وهي جرائم نكراء، نستنكرها بشدة، وكنت أول سياسي كردي يدينها ويشجبها كتابة وجهاراً نهاراً. حدثت بسبب السياسة العثمانية التي شكلت أفواج الجحوش من الأكراد باسم (فرسان الحميدية) وغيرها بتحريض من عناصر رجعية لبست لبوس الدين الإسلامي الحنيف وعلى أيدي الإقطاعيين الأكراد الذين مثلوا في التاريخ الكردي دور الخيانة الوطنية ضد شعبهم ودور القوات المرتزقة للغزاة والمحتلين الأجانب من بني جلدتهم الأكراد وضد مواطنيهم المسيحيين من أرمن وكلد/ آشوريين، وغيرهم.

تلك المذابح، جرائم نكراء ندينها ونشجبها بشدة. تتحمل مسؤولياتها الدول الحاكمة لكردستان والفئات الاقطاعية الكردية العميلة لها، وليس الشعب الكردي المغلوب على أمره والمضطهد المظلوم على أيدي الحكام الغاصبين لأرض كردستان.

جلال الطلباني في حوار مع مجلة المنتدى العراقية الصادرة في سان فرانسسكو - تشرين أول 1999.

***

اعتذار اسلامي

- هل هناك تعارض بين مطالب القوميات الأخرى؟

- نعم هناك تعارض فالأرمن يطالبون بمنطقة كبيرة من كردستان وهي بالفعل أرض أرمينية اقام فيها واستوطنها الأكراد وقد قمت بنشر اعتذار للأرمن عما حل بهم بأيدي الأكراد من خلال دوافع دينية.

محمد صالح كابوري - رئيس الحزب الاسلامي الكردي التركي. مجلة الزمان الجديد - لندن - 2001 - 2 - 14

***

التاريخ التوسعي !!

وبقيت أرض كردستان ساحة حرب للعائلات الفارسية في حروبها ضد الاغريق حتى ظهور الاسلام في المنطقة في القرن السابع الميلادي اذ أصبحت كردستان الحالية جزءاً من الدولة الاسلامية الكبرى ولكن اسلامهم كان سطحياً ولم يبق منهم الا الأيزديون الحاليون وأعداد قليلة من الكاكائيين (أهل الحق) والعلويين الأكراد (البكداشيين) وأما الباقون فدخلوا الإسلام قسراً ولكن عاداتهم وتقاليدهم بقيت كردية. وبعد تأسيس الامبراطورية العثمانية في القرن الخامس عشر الميلادي والدولة الصفوية في ايران في القرن السادس عشر الميلادي نشبت حروب عديدة بين الامبراطوريتين ودارت رحى معظم معاركها الطاحنة في كردستان وكنتيجة لذلك ازداد الفقر والدمار فيها وتجزأت أراضيها وكانت من حصة الامبراطورية العثمانية جزءاً مقسماً إلى عدة ولايات من ضمنها ولاية الموصل في الجزء الجنوبي من كردستان وبموجب معاهدة زهاو عام 1939 تم تقسيم كردستان رسمياً بين العثمانيين والصفويين. وبسقوط الامبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى قسمت ممتلكاتها بين الحلفاء. وعملاً بمعاهدة سيفر 1920 بين الحلفاء وتركيا نصت المواد62، 63، 64 على منح كردستان الشمالية (ضمن تركيا حالياً) الاستقلال. أما كردستان الجنوبية (ضمن العراق حالياً) والتي كان يشار اليها بولاية الموصل فقد اتفق على استفتاء أهاليها لتقرير انضمامها الى الدولة الكردية المزمع انشاؤها آنذاك بموجب المعاهدة أعلاه.

وعملاً بمعاهدة سايكس بيكو 1916 فقد كانت ولاية الموصل تابعة لفرنسا التي تنازلت عنها مقابل اخضاع سوريا ولبنان لنفوذها. وفي العام 1923 عقدت معاهدة لوزان بين الحلفاء وتركيا وبموجبها خولت عصبة الأمم لايجاد حل لولاية الموصل. وفي عام 1925 قررت عصبة الأمم الحاق ولاية الموصل بالعراق الذي كان بدوره تحت الانتداب البريطاني واشترطت عصبة الأمم في قرارها هذا الأخذ بنظر الاعتبار ارادة وحقوق الأكراد في ولاية الموصل بعهد الحاقها بالعراق. هذا عن تاريخ الموصل التي كانت على مفترق الطرق كي تصبح جزءاً من الدولة الكردية المزمع انشاؤها آنذاك، والتاريخ يؤكد هنا بأن ولاية الموصل كردية من الناحية الجغرافية أكثر مما هي عربية.

فأية حضارة عراقية تتكلم عنها يا سيد مطر ولا تنسى بأن فلسفة الديانة الأيزيدية تواجدت منذ آلاف السنين في وقت لم يكن هنالك مكان باسم (عراق) في المنطقة، ولا ننسى أيضا بأنه لا توجد حضارة باسم الحضارة العراقية في التاريخ وكان الأجدى بك أن تتحدث عن حضارة وادي الرافدين.

محمد عثمان – الزمان 2000 - 12 - 6

***

الموصل وكركوك مناطق كردية !!

لقد كانت بريطانيا - مدفوعة بالدرجة الأولى بعوامل استعمارية ومنها المصالح البترولية - قد ساعدت العراق في ضم الأراضي الكردية ومنها الموصل وكركوك عبر استفتاء تم اجراؤه من قبل لجنة خاصة شكلتها عصبة الأمم المتحدة عام 1925.

خليل شمة - الزمان - 2000 - 4 - 17-

***

مذابح الأرمن والسريان

لقد عاش الكورد دائماً بشكل عقلاني مع الأرمن، الحكومة الحميدية والحكومة الاتحادية هما اللتان زجتا بالكورد في السنوات الأخيرة في مستنقع المذبحة الأرمنية. نحن الكورد نرثي اليوم لهذه المذبحة كما يرثي لها المخلصون من الأرمن وأكثر. يريد الأرمن اليوم، وكنتيجة لهذه المذبحة وصداها في العالم، أن يؤسسوا دولة مستقلة وأن يضعوا الكورد - كعبيد - تحت سلطتهم، ومن البديهي أنه لا يمكن للكورد أن يتقبلوا هذه الفرضية ويرزحوا تحت سيطرة الظلم والاضطهاد من قبل حكومة أجنبية أخرى.

فرهاد يربال - دراسات في تاريخ الكورد - ص98

اعتراف ضمني بعدم وجود كردستان في التاريخ السياسي

وهكذا يتضح لنا الآن أنه طوال تاريخ الإسلام، أي منذ بداية ظهور الاسلام الى ما يقارب نهاية السلطة العباسية (750 - 1258م)، لم تتواجد أي وحدة إدارية في التاريخ السياسي الإسلامي وعلى أي خارطة جغرافية سياسية في الشرق باسم (كوردستان). حيث تم ظهورها في العصور القديمة تحت اسم عراق العجم، عراق العرب، أرمينيا والجبال، وفي العصر الحديث تحت تسميات (Perse) و (الدولة الصفوية) و (الإمبراطورية العثمانية) واليوم تحت أسماء (العراق وتركيا وسوريا وإيران).

فرهاد يربال - دراسات في تاريخ الكورد - ص 47 - 37

***

اطلاق تسمية كردستان لأول مرة في التاريخ !

استخدم مصطلح (كوردستان) لتسمية (إقليم)، أو لمعرفة ولاية إدارية مستقلة، لأول مرة في التاريخ، في عهد السلطان (سنجر) السلجوقي، كان ذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، ومنذ ذلك الحين أصبح اسم (كوردستان) كمصطلح جغرافي أو كاسم ولاية دالة على مجموعة أثنية مستقلة يرسم على الخارطة الجغرافية للشرق الأوسط بشكل اداري معترف به... ثم انتشر المصطلح تدريجياً واتخذ مكانته. فرهاد بيربال - ص 38

***

من أجل تكوين لجنة وطنية لتقصي الحقائق

اننا نورد هذا المقال ليس للتشكيك بجرائم النظام، فهي من الكثرة والعنف بحيث لا ينفع بتخفيفها بضعة جرائم. إنما هذا المقال يكشف عن الخفايا السياسية والاعلامية في تكوين بعض الأخبار والمواقف. وكذلك عن ضرورة تكوين لجنة وطنية عراقية تضم مختلف الأطراف من أجل الكشف عن خفايا جميع الجرائم الكبرى المنسوبة الى النظام، من أجل خدمة التاريخ والحقيقة والضمير الوطني.

أين الحقيقة حول مذبحة حلبجة؟

عزيز الحاج

الغريب في موضوع المأساة أن اي تحقيق نزيه ومحايد لم يتم قبل أن تشرع جميع وسائل الأعلام الغربية بضخ الرواية الإيرانية في أعقاب الاحتلال الإيراني لتلك المدينة الكردية العراقية الحدودية في النصف الثاني من آذار (مارس) 1988. فقد سبق الصحافيون الى مسرح الأحداث ليجدوا أمامهم جثثاً متناثرة شوهها السلاح الكيمياوي، وقيل لهم "هذا من فعل الجيش العراقي". واندفع الاعلام الغربي يردد الرواية بلا تحيص ولا أبسط تدقيق لا من جانب الصحافة ولا من جانب حكومات الغرب ومؤسساته الانسانية، ولم يطالب أحد بتأليف لجنة تحقيق دولية محايدة تستمع الى مختلف المصادر والشهادات وتطلع على كل الروايات قبل اصدار الحكم بالادانة. وأن هذا الانحياز الغربي المسبق للرواية المذكورة ثغرة في مصداقيتها، ودليل سوء قصد من ورائها.

ان انشغالي الراهن بكيفية معالجة الاعلام الغربي لمأساة مدينة حلبجة جزء من الانشغال الأعم بالإعلام الغربي ودوره في أزمة الخليج والاعداد للعدوان الثلاثين على العراق وما يتكشف من يوم الى آخر من روايات كاذبة، وقصص ملفقة مدفوعة الأجر، أخبار مثيرة مفبركة بأموال البترودولار. وبعد انكشاف أمر الافتراء الدنيء عن اسطورة نزع الحاضنات في مستشفيات الكويت، التي اخترعتها مؤسسة اعلان أمريكية بأموال كويتية، بالتنسيق التام مع المخابرات المركزية.

وأود التأكيد على أن محاولتي لاستقراء وقائع مأساة مدينة حلبجة على ضوء ما تيسر لي الاطلاع عليه من وثائق وبيانات، ليست لغرض الدفاع عن قيادة أو نظام أو ممارسات بعينها، وانما لمعرفة الحقيقة والدفاع عنها.

وقبل الانتقال الى فحص الرواية الايرانية التي رددتها وكررتها وسائل الاعلام الغربية، وكذلك صاحب الكلمة عن حلبجة المنشورة في جريدة "القدس العربي"، فانني أعبر عن أملي الأدق في أن تصفو العلاقات الإيرانية - العراقية وتستقر على أسس الاحترام المتبادل للسيادة وعدم التدخل في شؤون الآخرين، ومبادئ حسن الجوار وأن مثل هذا المآل يخدم مصالح البلدين وشعوبهما والسلام في المنطقة كلها. ان الرواية الايرانية على حلبجة التي كررتها وسائل الاعلام الغربية بلا تمحيص تؤكد ان الجيش العراقي قد تعمد قصف المدينة بعد الاحتلال الايراني لها، وأن هذا القصف كان بقصد معاقبة المدنيين الذين لم يقاوموا الغزو الايراني... واذا استعرضنا تلك الدعايات، والصور التلفزية التي رافقتها، والتي ما انفكت تضخ حتى الآن، لما وجدنا بين الجثث المعروضة واحدة لأي مقاتل مسلح ايرانياً كان أو من جماعة الطالباني. فأي صدفة تلك التي جعلت القصف العراقي ينصب فقط على الأطفال والنساء في المدينة ويستثنى أي جندي مقاتل؟ وهل يعقل أن يقصد الجيش العراقي الحاق الأذى بالأطفال العزل ويترك جنود الاحتلال وادلاءهم المرتزقة؟

إن التفسير الوحيد الممكن هو أن القصف قد وقع والمدينة خالية من أي جنود ومقاتلين، عراقيين أو ايرانيين (وأعوانهم). والا لرأينا على الأقل جريحاً مسلحاً واحداً بين الضحايا.

ومع أن ماكنة الاعلام الأمريكي قد روجت الرواية الايرانية باصرار والحاح ورتوش، فان الأجهزة العسكرية والاستخبارية الأمريكية المختصة كانت تتحرى سراً عن التفاصيل وتدقق الوقائع لتضع اليد على مسؤولية الحدث. وقد وضعت وزارة الدفاع الأمريكية تقريراً متكاملاً بهذا الشأن انتهت منه في ربيع 1990 وتسربت فقرات ضافية منه الى الصحافة الأمريكية بتاريخ 4 مايو 1990. (الواشنطن بوست والهيرالدتريبيون) كما بثت خلاصته وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ 3 مايو 1990. وقد عادت مجلة (ميديل ايست ريبورت) الى هذا التقرير وما تلاه من معلومات، وذلك في عدد المجلة المؤرخ في ديسمبر 1991 تحت عنوان "الهجمات الكيماوية والأكراد".

وفيما يخص التقرير الأساسي. أي تقرير وزارة الدفاع الأمريكية وتصريحات بعض أركان الوزارة تعليقاً عليه. فإننا نقرأ في جريدتي الواشنطن بوست والهيرالد تريبيون ليوم 4 مايو 1990 ما يلي:

"ان الهجمات بالغازات بدأت حوالي ثلاثة أيام من القتال الذي بدأ (بين القوات العراقية والإيرانية) في 15 مارس 1988 في الهجوم الايراني (الفجر العاشر)، وقد استخدمت القوات الايرانية أكثر من 50 قنبلة وقذيفة مدفع كيمياوية خلال تلك المعارك التي كانت آخر هجوم ايراني قبل أن يتحول مجرى الحرب لصالح العراق". ويقول التقرير أنه خلال اليوم الثاني من المعركة انصب عدد غير محدد من القنابل والقذائف الكيمياوية الايرانية على مدينة حلبجة. وهذا الاستنتاج مستنبط من اطلاع الادارة الأمريكية والدبلوماسية الغربية على مختلف مصادر الأخبار والبلاغات العسكرية وشهادات المشاركين والشهود التي وصلت للمخابرات الغربية. وتذهب الدراسة الأمريكية لعام 1990 ذات الطابع السري المكتوم الى أن إيران قد تكون أول من أطلقت قذائف المدفعية المحملة بغاز السيانيد على المدينة عندما تصورت القيادة العسكرية الايرانية خطأ بأن القوات العراقية كانت لا تزال في المدينة. ويؤكد التقرير بأن الادعاء الإيراني بأن ضحايا المدينة ماتوا بسبب غاز السيانيد كان دليلاً على أن ايران تتستر على استخدامها هي لذلك الغاز السام".. اننا نعرف أن العراق لا يستعمل غاز السيانيد" هذا ما قاله مسؤول أمريكي للصحيفتين الأمريكيتين، وأضاف: "ان لدينا معلومات كاملة عن الانتاج والاستخدام العراقيين للأسلحة الكيماوية، ونحن نعرف من يستخدم ماذا. ونحن متأكدون من أن ايران هي التي تستخدم غاز السيانيد. ولذلك، فعندما قالت الحكومة الايرانية بوقوع وفيات كثيرة

كنتيجة لاستعمال السيانيد فان ذلك بحد ذاته قد ادانها". (نصاً) وخلاصة التقرير المذكور تذهب الى أنه اذا كان طرفا القتال قد استخدما السلاح الكيماوي ضد أحدهما الأخر، فان ضحايا حلبجة من المدنيين قد سقط نتيجة اسلحة ايرانية لا أسلحة عراقية. حيث اعتقد المعسكر الايراني أن الجيش العراقي كان لا يزال في المدينة في حين كان الأخير قد جلا عنها سراً قبيل ذلك.

أما مقال (الميديل ايست ريبورت) عدد كانون أول (ديسمبر) 1991 فيرد فيه ما يلي:

يقول تقرير نشرته الينويورك تايمس في 28 نيسان (ابريل) 1991 بأن المحللين الرسميين الأمريكان يرون أن كلا من ايران والعراق قد استخدما الأسلحة الكيماوية خلال المعارك التي دارت في المنطقة القريبة من حلبجة، ولكن أياً من الجانبين لم يحاول أن يتعمد قتل الأكراد (المدنيين) وأنه ، مهما كان الأمر، فقد كان عدد الضحايا مئات (من المدنيين) وليس آلافا. وتستشهد رواية النيويورك تايمز بتقرير كلية الحرب الأمريكية لعام 1990 التي شككت في المزاعم عن مسؤولية العراق عن حلبجة. ووفقاً للتايمز فان التقرير الأخير يؤكد بأن القصف الإيراني هو الذي قتل الأكراد بالفعل.

ان الروايات أعلاه قد أكدها الكتاب الصادر في بلجيكا بالفرنسية مؤخراً للكاتب ميشيل كولون تحت عنوان "انتباه، لوسائل الاعلام" حيث نجد فصلاً عنوانه: "حلبجة، لماذا تجنبوا كل الشهادات المتناقضة؟" (ص 68 - 79). كما يقتبس الكتاب من تصريحات الزعيم الكردي الإيراني البارز عبد الرحمن قاسملو التي أدلى بها في النصف الثاني من 1988 لصحيفة عربية ونشرت ترجمتها في الجريدة الفرنسية (ايديوانترناشنال) عدد 13 آذار (مارس) 1991. وقد نفى قاسملو ما نسبته اليه البي بي سي عن مسؤولية العراق، وأكد في نفس الوقت بأن الجيش الايراني استخدم الأسلحة الكيماوية ضد أكراد ايران عام 1982 وفي 16 آب (أغسطس) 1987. وقد اسدل الأعلام الغربي ستار الصمت حول تصريحات قاسملو هذه، مثلما حول مجمل مواقفه الموضوعية.

أما عن حيازة ايران على الأسلحة الكيماوية فان الأمر ليس سراً رغم أنها في وقت ما أقل تطوراً من مثيلتها العراقية. وقد استخدمت ايران هذه الأسلحة لأول مرة ضد القوات العراقية في المحمرة (خرمشهر). جريدة القدس / لندن – 24 – 7 – 1992

كان أقرب المقربين الى الملا مصطفى البارزاني وزار معه اسرائيل مرتين
محمود عثمان يكشف لـ "الوسط" القصة الكاملة للعلاقات الكردية الاسرائيلية

مجلة الوسط - لندن - العدد 299، 298 في 13 و 10 - 20 - 1997

حاوره فائق الشيخ علي

عايش الدكتور محمود علي عثمان الفترة الأصعب في تاريخ القضية الكردية، فهو بعد ما تخرج طبيباً من جامعة بغداد في العام 1961 التحق بالثورة الكردية، بعدما التقى الملا مصطفى البارزاني في العام 1963 وعمل معه حلقة وصل بينه وبين قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني، قبل أن يصبح المستشار الأول للملا وطبيبه الخاص ومترجمه ومؤتمنه. ورافق عثمان البارزاني في معظم زياراته. في الداخل والخارج، خصوصاً زيارتيه الى اسرائيل في العامين 1968 و 1973.

ويقول الذين يعرفون الدكتور عثمان أنه جريء لا يخشى عواقب ما يقول. وفي هذا الاطار كتب كراساً قبل 20 عاماً فيه شرح لماذا فشلت الثورة الكردية المسلحة في العام 1975 في شمال العراق، وكان المرحوم الملا مصطفى البارزاني لا يزال حياً يكابد الانكسار منفياً في ايران. وكشف عثمان يومها العلاقات الكردية - الاسرائيلية وأدانها غير متنصل من مسؤوليتها. في لندن حيث يعيش الدكتور عثمان لاجئاً سياسياً منذ حوالي خمس سنوات. التقته الوسط في حوار طويل عاد فيه إلى تفاصيل العلاقات الكردية الاسرائيلية.

وماذا عن الموقف الدولي والاقليمي:

- كان هناك مثلث يتكون من ثلاثة أضلاع: ايران، اسرائيل، الولايات المتحدة وكان شاه ايران ركيزة في المنطقة، ومن دخل ضلعاً في المثلث دخل المثلث كله. والحركة الكردية كانت داخلة في ذلك المثلث اذ بدأت علاقاتها مع ايران ومن ثم اسرائيل وبعدها الولايات المتحدة.

كان لدى الأكراد نظرة أثبتت الأيام خطأها، ودللت على قصر نظرهم وسوء فهمهم للسياسة الدولية. فالمرحوم الملا مصطفى البرزاني أقام في الاتحاد السوفياتي حوالي 12 سنة، وقال أنه حاول طوال تلك السنوات أن يحصل من السوفيات على تأييد للشعب الكردي فلم يتمكن وفي النهاية أدرك أنهم لا يحملون شيئاً للأكراد. ولذا أعتقد بأن الدول الكبرى إذا لم تساند شعباً صغيراً، فإن هذا الشعب لا يصل الى أهدافه. وكان البرزاني يقول أنه يقضي بقية عمره للحصول على تأييد أميركي. وهو تصور أن الاسرائيليين أفضل وأقصر جسر يوصله الى الولايات المتحدة نتيجة تأثير اللوبي الصهيوني فيها. وبسبب صراعه مع العراقيين، فإنه سيحصل بالتالي على أهدافه.

لقد تضررنا من العلاقات مع اسرائيل، لأننا في الأساس كنا نطالب بحكم ذاتي داخل العراق، وهو بلد عربي. ومن الخطأ استعداء العرب علينا. أما بالنسبة الى التصورات التي بناها الملاّ في الوصول الى الولايات المتحدة من خلال اسرائيل فكانت وهماً، لأن دول المثلث الثلاث كانت متفقة على كل شيء. وهو ما يتكرر الآن مع دول المثلث الجديد المكون من تركيا واسرائيل والولايات المتحدة. فمثلما كانت ايران في السابق جسراً الينا، حلت اليوم تركيا محلها. فإذا أغلقت تركيا حدودها سينتهي كل شيء من ناحية العلاقات مع اميركا وحلفائها!

* ذكرتم بأن الفلسطينيين كانوا على علم بعلاقاتكم مع اسرائيل. هل تعتقد بأنهم سربوا بعض المعلومات الى الحكومات العراقية؟

- علم الفلسطينيون بعلاقتنا باسرائيل بعد العام 1975 (فشل الحركة الكردية). وبالتأكيد سربوا أخبارها الى من يودون اعلامهم بها. وفي الوقت نفسه فإن الأكراد أنفسهم سربوا أخبار علاقتنا الى السلطة العراقية أيضاً، لأن كثيرين من الأكراد عادوا الى العراق بعد العام 1975. وخلال التحقيقات الأمنية والاستخبارية مع العائدين الكرد أعطوا كل ما لديهم من معلومات وكان بين الأكراد مسؤولون في الحركة الكردية على علم بخفايا الأمور، ناهيك عن الفلسطينيين والجهات الأجنبية الأخرى التي لديها علاقات جيدة مع العراق.

* من كان المبادر، الأكراد أم الاسرائيليون، الى اقامة العلاقة. وكيف بدأت؟

- الاسرائيليون هم الذين بادروا الى اجراء الاتصالات بنا واقامة العلاقات معنا، لأن هدف الاسرائيليين يتلخص بأن كل حركة غير عربية في المنطقة العربية لديها مشاكل مع دولتها، فإن اسرائيل تقيم علاقات معها لاستغلالها والاستفادة منها في تحقيق مصالحها الخاصة.

بدأت العلاقات معهم منذ مطلع العقد الستيني عن طريق كامران بدرخان أولاً وآخرين مثل عصمت شريف فانلي وصحافيين أجانب ثانياً. واستطيع القول إن العلاقة بدأت تعطي ثمارها العام 1963 فعلياً على الأرض. وقبل ذلك التاريخ. أي منذ بداية الحركة الكردية المسلحة، كانت لدينا علاقات كردية - ايرانية. وكان للايرانيين دور في المساعدة والتشجيع والتمهيد لاقامة العلاقات مع اسرائيل. وكان هدف ايران في عهد الشاه استغلال الحركة الكردية الى أقصى درجة ممكنة. وكانت طهران المركز التي تدار منه العلاقة مع اسرائيل فالقادم الينا يأتي عن طريق طهران والذاهب منا يذهب بواسطة الطريق نفسه.

وحينما بدأت العلاقة مع اسرائيل تعطي ثمارها على الأرض، كانت القيادة الكردية "كلها"، وأقول »كلها« متفقة على ذلك. ولا خلاف بين القياديين الأكراد مطلقاً لرفض العلاقة مع اسرائيل. وكان المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني في ذلك الوقت يقوده ابراهيم أحمد كسكرتير للحزب.

وعلى رغم الخلافات بين رئيس الحزب الملا مصطفى البرزاني وسكرتير الحزب ابراهيم أحمد، على مواضيع كثيرة إلا أنهما كانا متفقين تماماً على العلاقة مع اسرائيل. وإذا كانت هناك بعض الحساسيات بينهما، فهي حول من يجب أن يكون الرأس الممسك بحبل تلك العلاقة، الرئيس أم المكتب السياسي؟

عندما حصل الانشقاق في الحركة الكردية العام 1964 وذهب ابراهيم أحمد وجلال طالباني الى ايران ومن ثم عادا الى العراق، توقفت العلاقة مع اسرائيل الى حد ما على الأرض، ونقلت اسرائيل مقرها من كردستان الى ايران، ثم رجعت العلاقة الى ما كانت عليه في نيسان العام 1965.

وأما بالنسبة الي فاني دخلت في تلك العلاقة العام 1965، وفي المكتب السياسي الجديد بعد انشقاق ابراهيم أحمد وجماعته.

* لكن ابراهيم أحمد لا ينفي ذلك. بل يقر بأنه كانت لدينا علاقات مع اسرائيل. ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك، لأن العلاقة مع اسرائيل لم تكن علاقة شخصية، انما كانت علاقة حركة بكاملها باسرائيل، والمكتب السياسي، هو الذي يتحمل مسؤولية تلك العلاقة.

- أما كون أحد الأشخاص مندفعاً والأخر أقل اندفاعاً، فذلك أمر آخر. غير أن الكل متورط في العلاقة. وكان المرحوم ملا مصطفى أكثرنا حماساً لاقامة العلاقات مع اسرائيل، لأنه كان يتصور أن اسرائيل هي التي ستوصله الى الولايات المتحدة.

* قلت مرة أن جلال طالباني اجتمع بشمعون بيريز، لكنه رد عليك نافياً ذلك. فهل ما زلت عند رأيك؟

- يوم اجتمع جلال ببيريز في العام 1963، لم أكن مسؤولاً في الحركة الكردية، لكن كامران بدرخان هو الذي أخبرني في ما بعد بذلك الاجتماع، لأنه كان الوسيط بينهما. وقد أخبرني أيضاً بذلك المرحوم البرزاني. ثم أن جلال يقر بأن بدرخان طلب اليه الاجتماع ببيريز لكنه ينفي حصول اللقاء بناء على نصيحة السوفيات.

* هل اطلعتكم اسرائيل على علاقاتها بدول أو حركات عربية أو أشخاص عرب في تلك الفترة الستينات والسبعينات؟!

- أعتقد بأنه في كل مكان شهد صراعاً بين دولة عربية وجهة معينة كانت لاسرائيل يد فيه .

*** ما كانت قنواتكم الأخرى للاتصال باسرائيل؟**

- حينما بدأت العلاقات الرسمية بين اسرائيل والحركة الكردية، كانت قنوات الاتصال الرئيسية باسرائيل هي: اسرائيل، كردستان، طهران، والأخيرة هي الجسر والأساس. ولكن قبل أن تبدأ العلاقات الرسمية والمباشرة كانت لدينا قناة باريس وهي أكثر العواصم التي حصلت فيها اتصالات سرية، وكان المرحوم كامران بدرخان يعيش هناك ولديه اتصالات باسرائيل منذ الأربعينات، ولكننا كأكراد لم تكن لدينا علاقات ببدرخان في تلك الفترة.

أما الولايات المتحدة فكانت تتحفظ كثيراً عن مرور المسائل عبرها أو من خلالها، لأنهم كانوا يحسبون حسابات معينة لتركيا وايران والدول العربية.

وكانت هناك قنوات أخرى يمثلها الصحافيون، اذ كان بعض الصحافيين الأميركيين (وهم اسرائيليون) يأتون لزيارة الملا في كردستان ويعودون الى بلدهم، ومن خلالهم كانت تتم الاتصالات وايصال الرسائل.

*** ولكن الغريب أن هؤلاء الصحافيين الفوا كتباً عن الأكراد، ولم يتطرقوا الى علاقتهم باسرائيل.**

- صحيح. لا بد أن أقول إن دانا آدمز شمدت مراسل صحيفة "نيويورك تايمز" ألف كتاباً عن الأكراد بعنوان "رحلة الى رجال شجعان في كردستان" تحدث مع الملا عن علاقته باسرائيل، وكذلك الملا لأنه كان يتكلم في هذا الموضوع مع كل صحافي يزوره فيعتب على الأميركيين والاسرائيليين والغرب!

ودار حديث طويل مع شمدت عن اسرائيل لكن شمدت، الذي التقيته مرات عدة في الولايات المتحدة أثناء زياراتي لها، لم يتطرق في كتابه الى هذه المسائل، لاعتقاده بأن بحث علاقات الأكراد بالاسرائيليين ليس ذا فائدة. وقبل شمدت كتب ديفيد ادمسون وهو انكليزي وزار كردستان ولم يتطرق الى علاقة الأكراد باسرائيل، وكذلك ديريك كنان.

*** هل كنتم تدونون محاضر اللقاءات والاجتماعات بالاسرائيليين؟**

- كلا.. لم نكن ندون تلك المحاضر، ولكن بالتأكيد كان الجانب الاسرائيلي يفعل ذلك على رغم أن معظم المسائل كان من المفترض أن تكون سرية للغاية، ولهذا كنا نتجنب تدوينها. واعتبر الآن ذلك خطأً فظيعاً.

لم يكن هذا النقص مع الاسرائيليين فقط. انما في مجمل اتصالات الحركة الكردية مع مختلف الجهات كانت المسائل غير مدونة، والوثائق قليلة.

*** كيف كانت تتم اتصالاتكم في ما بينكم كثوار أكراد، أين ذهبت رسائلكم وبرقياتكم التي كانت تصلكم الى مقر القيادة في حاج عمران؟**

- كانت البرقيات تصلنا عن طريق اللاسلكي. ومن المحتمل أن يكون جزء من المراسلات والبرقيات محفوظاً في بيت البرزاني.

*** هل تكشف بعض اسماء الاسرائيليين ووظائفهم ممن كانوا يزورونكم ويعملون معكم في كردستان؟**

- معظم الذين كانوا يزورونا لأداء مهمات معينة في كردستان كانوا يستخدمون اسماء غير حقيقية (مستعارة)، وفوجئت أخيراً بكشف اسرائيل بعض الأسماء الحقيقية لهؤلاء. أما أولئك الذين لم تكشف اسرائيل عن اسمائهم أو اشارت اليهم برموز معينة أو ذكرتهم بأسماء غير حقيقية، فأنني أتصور بأنه ما يزال لهؤلاء مهمات في كردستان أو ايران أو تركيا أو حتى العراق، ولا يزالون يتعاملون مع الأكراد بطريقة أو أخرى.

أما البعض الآخر ممن كانوا يزورونا في كردستان فلم يغيروا أسماءهم، وكانوا يعرفوننا باسمائهم الحقيقية ووظائفهم ومهماتهم. من هؤلاء مثلاً، رئيس الموساد مائير عميت ومن بعده زيفي زامير ورجل الموساد والمدير العام في وزارة الخارجية الاسرائيلية ديفيد كيمحي والمقدم الضابط المظلي تسوري ساجي ورئيس أحد وفود الموساد الى كردستان حاييم ليكوب والرائد المظلي المعار الى جهاز الموساد اسحق عبادي، وآخرون غيرهم.

كانت لكل زائر منهم واجبات محددة. وكان قسم منهم يعمل في الملحقية التجارية في السفارة الاسرائيلية في طهران التي كانت أكبر وأنشط سفارة. فالضابط كان يقول أنا ضابط جيش ومهمتي تدريب الأكراد مثلاً، وآخر يدعي أنه من وزارة الخارجية أو الزراعة أو غيرها.

* كيف كنتم تقدمون طلباتكم المستعجلة الى اسرائيل؟

- عن طريق بعثتهم في كردستان، التي كانت تستخدم جهاز لاسلكي تتصل به باسرائيل. وما ذكره عبيد الله البارزاني لمحمد حسنين هيكل قبل أكثر من عقدين عن هذا الموضوع كان صحيحاً. لكنه لم يكن يعرف تفاصيل علاقتنا باسرائيل.

* ما هو دور الحركة الكردية، والملا مصطفى البارزاني على وجه الخصوص، في تهجير يهود العراق الى اسرائيل؟

- كان اليهود يعيشون في كردستان العراق في الأربعينات بأمان وسلام، في مناطق عقرة وبهدينان وبارزان، قرية الملا مصطفى، وكان الأكراد يحترمونهم، ولم تحصل أي اعتداءات عليهم، فهم كانوا تحت رعاية الملا وحمايته وتربطه بهم علاقات طيبة، ويكنون له ولعائلته احتراماً وتقديراً كبيرين.

وأثناء هجرة البارزاني من كردستان، وقفت الى جانبه في تلك المحنة عائلة ابن الحاخام اليهودي الثري داوود حاجي خانو وساعدته ماديا، فكان لها فضل على الملا. ولهذا اشترط البارزاني على الحكومة الاسرائيلية أن تعثر على صديقه القديم داوود حاجي خانو، قبل زيارته الأولى الى اسرائيل العام 1968. وكان خانو قد هاجر اليها من كردستان العراق قبل سنين.

في السبعينات أثناء الخلاف مع بغداد سمحنا لليهود بل وساعدناهم على الهجرة الى اسرائيل .

* من عدا كمحي حاول الاتصال بك؟

- (يبتسم) هنالك أكراد يعيشون في أوروبا والولايات المتحدة.، ويزورون اسرائيل من دون ختم جوازات سفرهم بناء على طلبهم، لأنهم يسافرون بواسطتها الى الدول العربية أيضاً. وهناك في اسرائيل يلتقون بعض الاسرائيليين والأكراد، وأحياناً يتطرقون الى ذكرنا في مجالسهم فيبعثون لنا من خلال هؤلاء سلامات وتحيات وهم يلمحون ويحاولون، لكننا نأبى أن نبادلهم المشاعر نفسها لئلا تحصل اتصالات سياسية. ولو أنني سمحت لهؤلاء، فمن الممكن اللقاء باسحق موردخاي وزير الدفاع الحالي. لكنني الآن شخص عادي، ليس لدي حزب أو قوة، أعيش مستقلاً، ولذا لست مفيداً للاسرائيليين كغيري من قادة الأحزاب من الذين يحكمون كردستان حالياً.

* كيف لم يفهموه، وهو مشروع اسرائيلي مطروح منذ الأربعينات، الا ترى أن جهات أحيت مشروع الفيدرالية في مؤتمر صلاح الدين العام 1992 وتأسيس ما يسمى بـ "المؤتمر الوطني العراقي".

- يقال كان هدف الاسرائيليين منذ عهد بن غوريون تفتيت المنطقة الى دويلات ودول صغيرة، لئلا تواجههم دول كبرى ومن جملة أعمالهم أنهم ينوون أو يتمنون أن يتفتت العراق الى ثلاث دول. لكن الفيدرالية التي أعلنت الآن لا علاقة لها بالموضوع، انما علاقتها بشيء واحد، وهو أننا في العام 1991 فاوضنا نظام بغداد وطرحنا موضوع "الحكم الذاتي" وبقينا نفاوض عليه نحو تسعة أشهر. وكنت أنا عضواً في الوفد الأخير (الجولة الرابعة من المفاوضات) فلم يوافق صدام على ذلك. وحينما أجريت الانتخابات في كردستان، وانشئ برلمان ومؤسسات، ناقشوا هذا الموضوع ورأو أن الحكم الذاتي لا يتضمن ضمانات كافية، فطرحوا الفيدرالية، لكن شابها نقصان كبيران، الأول، لم يجر استفتاء للشعب الكردي عليها حتى يعطيها الشرعية القانونية، والثاني لم يضعوا قانوناً لذلك ليطلع الناس عليه.

* دكتور محمود عثمان. بعد كل هذه التجربة الطويلة في الحركة الكردية والسياسة، ماذا تريد أن تقول للتاريخ:

- لدي ثلاث كلمات، للعرب ولعموم الشعب العراقي وللأكراد. أقول للأخوة العرب أن الكثير من الممارسات الشوفينية العربية حصلت بحق الأكراد وكذلك مارس الأكراد الكثير من التوجهات الخاطئة، التي وصلت الى حد إقامة علاقات مع اسرائيل. لذا أدعو الى حوار عربي - كردي على كل المستويات، لأنني أرى هناك نوعاً من سوء الفهم تجاهنا وفائدة الحوار هو إزالة الحساسيات بين الطرفين وتقوية التفاهم المشترك.

وأقول للشعب العراقي، يجب التكاتف من أجل ازاحة الديكتاتورية. وأدعو الى توحيد المعارضة واتخاذ نهج وطني واستقلالية عراقية. على أن يكون الولاء للوطن وليس لهذه الدولة أو تلك، لكي نخرج بنتيجة واحدة وعلى الأخوة العراقيين (العرب) أن لا يتحسسوا من المطاليب الكردية ولا يأخذوا الشعب الكردي بجريرة أعمال قادته، فعلى رغم كل انحرافات هؤلاء هناك قضية عادلة للأكراد.

وأقول للأكراد القادة "المتقاتلين" عليكم أن تتعظوا من تجارب التاريخ لأنكم عشتم التجربة بأنفسكم وعليكم أن تتحدوا لتوجدوا مخرجاً لشعبكم عليكم أن لا تكرروا ما ارتكبناه في الماضي من أخطاء. علاقات سيئة مع بعض الدول، مراهنات خارجية مضرة، اتفاقات فاشلة مع السلطة، اقتتال اخوة، وإلا هلكتم جميعكم، لأن الدول المجاورة لنا ليست مخلصة للقضية الكردية لأن لديها أكرادها الذين لا يتمتعون بأي حقوق. أما بالنسبة الى أميركا وغيرها فإنها تهتم بعلاقاتها مع الدول أكثر من اهتمامها بالأكراد. وتعمل كل شيء بوحي من مصالحها.

كفاكم ركضاً وراء السراب، وإياكم وتكرار العلاقة مع اسرائيل فإنها لا تفيدنا بشيء وليست لدينا معها حدود جغرافية. إنها ضلع من اضلاع مثلث جديد (تركي - أميركي - اسرائيلي). احذروا من الوقوع في فخاخه.

مضاربات حول مساحة وسكان كردستان الكبرى

أتذكر مرة التقيت بصديق قومي كردي عراقي، كان يعد اطروحة حول كردستان. عند اطلاعي على الأطروحة المذكورة لفت انتباهي وجود (خارطة كردستان الكبرى) تشتمل حتى على منطقة (الأحواز) الواقعة على خليج البصرة، ضمن ايران وسكانها عراقيون يتكلمون العربية. وعندما نبهت صديقي الى هذه الحقيقة، فاذا به وبسرعة يشطب الأحواز من الخارطة! هذا المثل يكشف عن المزاجية والخفة التي يتعامل بها القوميون الأكراد بحدود المنطقة وخرائطها مع تورطهم بحروب ومشاريع قومية لا تخدم شعوبهم بقدر خدمتها للمخططات الاستعمارية المرسومة من قبل القوى الكبرى.

هنا نماذج على هذه الطروحات:

ضعف المساحة مع ضعف عدد السكان !!

وأما مساحة كردستان العراق وحدها فيقدرونها بحوالي (75) ألف كيلو متر مربع، وتقدر مساحة المنطقة الخاضعة حالياً للحكومة الإقليمية الكردية بحوالي (40) ألف كيلومتر مربع - أي أن ما يقرب من 35% على الأقل من المناطق الكردية هي خارج نفوذ الإدارة الكردية المحلية الراهنة التي تحمي دولياً برعاية الأمم المتحدة منذ نيسان عام 1991م وأن تعداد الكرد في العراق يقدر بأكثر من 6 ملايين، وتشكل نسبتهم إلى المجموع الإجمالي لسكان العراق البالغ 22 مليوناً حوالي 28% يعيش أكثر من نصفهم في المنطقة التي هي الآن تحت الإدارة الكردية والباقي في المناطق الخاضعة للسلطة المركزية.

جوهر نامق - قيادي كردي - مؤتمر الحوار - ص 175

***

بغداد الكردية!

أحد الأخوة أشار الى أن نفوس الكرد في العراق بين 3 - 4 ملايين، فإذا كان الأكراد في المنطقة الكردية المدارة بواسطة الأكراد هم أكثر من ذلك الرقم، فكيف بالأكراد خارج تلك المنطقة مثل مناطق الموصل وشيخان وكركوك وخانقين، بل إن بغداد هي أكبر مدينة كردية من حيث السكان.

الزعيم الكردي جلال الطلباني - مؤتمر الحوار - ص 150.

احصائيات كردية مستقلة

معتمدين في ذلك على إحصائيات من مصادر كردية التقيت بها عندما أتيح لي فرصة لقاء الزعيم الأسطوري الملا مصطفى البارزاني وجلال الطالباني عام 1966 م عندما التقيت بالأول في قرية حاج عمران على الحدود الإيرانية العراقية، والثاني وأنا في طريقي لمقابلة الأول في محافظة السليمانية وهكذا يشكل الأكراد 17% من سكان العراق و 16% من سكان تركيا و 15% من سكان ايران .

سيد نصار - صحفي مصري - مؤتمر الحوار - ص 109.

***

على العراقيين التخلي عن ثلث بلادهم لكسب صداقة الكرديين !

ان الشعب العربي الشقيق، يكاد أن يخسر فعلا وبسرعة قاتلة صداقة الشعب الكردي، دون أي مبرر، اللهم الا إذا كانت من أجل بضعة آبار من نفط كردستان في كركوك وخانقين والموصل. توشك أن تنضب، في الوقت الذي تشهد فيه حضوا جديدا وقويا لشعب كردستان.

سربست بامرني - اعلامي برزاني - المؤتمر – 2001/9/7

***

الأرقام تكشف عن الحقائق !

ان الشعب الكردي في سوريا - الجزء الغربي من كردستان - البالغ (2,5) مليون يعيش في ظل قوانين الطوارئ والتمييز القومي وغير معترف بوجوده رغم أنه يشكل أكثر من 15% من سكان سوريا ويتعرض نشطاء حركته الوطنية الى الاعتقالات وهناك الآن حوالي (40) منهم في المعتقلات.

صلاح بدر الدين - غرب كردستان - ص 167

تعليق: لو افترضنا جدلاً بأن نسبة الأكراد حقاً 15% (وهي بالحقيقة أقل من 10%) فان أربعين معتقلا وفي عام (1994) تبدو فعلا طيبة ومريحة للأكراد مقارنة بباقي الـ 85% من الشعب السوري. اين هذا من التطبيل عن اضطهاد الاكراد!

***

مصطلح كردستان الغربية (شمال سوريا)

هنا تعريف بمساحة وخارطة الوجود الكردي في سوريا، أو ما يسمى بالمصطلح القومي التوسعي الانفصالي (كردستان الغربية)! وتشمل الجزء الأكبر من المحافظات السورية الشمالية (الحسكة والرشيد وحلب) :

تقدر مساحة المنطقة الكردية في سوريا بـ 16000 كم2 وهناك الى جانب العنصر الكردي عناصر عربية، وأرمنية، وأشورية.

ويشكل الأكراد في منطقتهم الأغلبية الساحقة، وتقع في هذه المناطق مدن ومراكز كبيرة مثل - القامشلي - عفرين - كوبانية (عين العرب) - عامودا - دبريك - (انظر الخارطة في ملحق الوثائق).

غرب كردستان - برنامج حزب الاتحاد الشعبي الكردي في سوريا - ص 25

***

حق (انفصال) تقرير مصير بالجملة !!

- الاعتراف المبدئي بحق تقرير المصير للشعب الكردي في سوريا البالغ (3,5) مليون أي 15% من سكان سوريا وانتزاع الحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية.

- الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الكردي ودعم كفاحه المشروع في تركيا وايران والعراق.

حزب الاتحاد الشعبي الكردي في سوريا - من كتاب غرب كردستان ص 65

***

قدس أم بترول؟!

وقبل وفاته قال الزعيم ملا مصطفى البارزاني رحمه الله: (كركوك قدس كردستان)، كما يقول السيد جلال الطالباني الأمين العام للاتحاد الوطني الكردستاني: (لا يمكن أن ننسى الى يوم القيامة حقيقة أن كركوك هي قدس كردستان. فجماهير كردستان ليست في هذا الجزء فحسب بل في جميع الأجزاء تتمسك بكركوك مثلما يتمسك العرب والمسلمون بالقدس). جلال جرمكا – المؤتمر 22 – 3 – 2003

التعصب القومي والألاعيب السياسية

ان مشكلة الحركات القومية الكردوية، مثل معظم الحركات السياسية العراقية، انها عرضة سهلة للمؤثرات الخارجية والمصالح الآنية ونزوات القادة، كل هذا أدى ويؤدي الى ديمومة الكوارث والنكسات. هنا نماذج لهذه الطروحات السياسية:

الطالباني أكثر تركية من الأتراك

صرح الزعيم الكردي العراقي في اسطنبول أنه من حق الأتراك ضم ولاية الموصل والغاء اتفاقية عام 1925 وضم كردستان العراق الى تركيا. اسطنبول 1992/7/23، وكالات الأنباء.

***

مصيدة الطلباني

قد يتساءل البعض عن مغزى عرض الطالباني في أنقرة بضم كردستان العراق الى تركيا. وقد تتبادر الى ذهنه جملة اسئلة منها. هل الوضع الذي يعيشه أكراد تركيا هو الوضع النموذجي بالنسبة لما يريده الطالباني لأكراد العراق؟ أم أنه يحسب أن الأكراد في العراق لا قدرة لهم على نيل حقوقهم، في حين أنهم سيصبحون قاب قوسين أو أدنى من نيل هذه الحقوق تحت خيمة الوطن التركي؟!

ولتسويغ هذه الحسابات، لا بد أن يكون مؤكداً، ان الأكراد يتكلمون بلغتهم بكل حرية في تركيا، ولا يقدرون على هذا في العراق، وأنهم يدرسون بلغتهم في تركيا في حين أنهم محرومون من هذا الحق في العراق. وأنهم يصدرون صحفهم وكتبهم بلغتهم في تركيا في حين أنهم لا يستطيعون فعل هذا في العراق، وأن الدستور التركي ينص صراحة على شراكتهم في الوطن التركي وأن الدستور العراقي لا ينص عل هذا، وأن لهم جامعاتهم الكردية في تركيا في حين أنه لا توجد لهم جامعة في العراق. وأن لهم اذاعتهم الكردية وتلفزيونهم الكردي في تركيا في حين أن ليس لهم مثل هذا في العراق. وأن لهم مجمعهم العلمي الكردي واتحاد ادبائهم الكردي. ونقاباتهم وجمعياتهم الكردية في تركيا وأن ليس لهم مثل هذا في العراق، وأن لهم حكمهم الذاتي المقر دستورياً وشرعياً وقانونياً في تركيا وأن لا يكون لهم مثل هذا في العراق، وأن لهم وزراءهم في تركيا وليس لهم وزراء في العراق. وأن نائب الرئيس التركي كردي. ووفق ما ينص عليه دستور تركيا أو تشريعاتها. في حين لا وجود لمثل هذا في العراق.. اذا كان الأمر على هذا الشكل، فان عرض الطالباني يكون مبرراً بناء على مصلحة الشعب الكردي. أما اذا كان الأمر على العكس تماماً (وهذا هو الأمر الواقع) فبماذا يمكن أن يوصف هذا العرض الطالباني المدهش؟!

صباح الشاهر - صحيفة العرب 19 – 10 - 1992

***

على خطى نظام البعث

البارزاني: كردستان بحاجة لجيش عقائدي

قال السيد مسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني أن منجزات الشعب الكردستاني في العراق بحاجة الى جيش عقائدي يحميها ويطورها.

وأضاف الزعيم الكردي في كلمة له لدى بدء أعمال مؤتمر المكتب المركزي لتنظيم البيشمركة في صلاح الدين مطلع الأسبوع أن تعميق هذه المنجزات يتطلب جيشاً منظماً يتمتع بوعي ثقافي وعقائدي لحماية الاقليم وتجربته الديمقراطية.

ودعا الى العمل على الارتقاء بالمستوى الفكري لعناصر البيشمركة ليصبحوا نموذجاً للتضحية قادراً على حماية المواطن وكرامته وممتلكاته.

وشدد على أن مقاتلي البيشمركة مستعدون للدفاع عن الوطن، وأن حكومة أربيل تعمل على تهيئة البيشمركة الشباب لأن يكونوا في طليعة المضحين من أجل الشعب وذلك من خلال تلبية كل ما يحتاجونه من أجل أداء رسالتهم. صحيفة المؤتمر 9 – 2 – 2002

تقسيمات بالمزاد العلني

قد قسم العراق الى شمال كردي وجنوب شيعي واذا اقتضى الأمر تقسيماً أكثر فلا حرمة لوحدة الأرض والتراب بل حرمة للقومية الواحدة حيث هناك احتمال لتقسيم الشمال الى شرق البارزاني وغرب الطالباني. محمد كابوري - الحزب الاسلامي الكردي التركي. مجلة الزمان - 214 - 2001

***

القادة الأكراد لا يثقون حتى بحلفائهم المعارضين العراقيين ويريدون ضمانات وحماية دولية حتى بعد قيام نظام جديد؟!

أكد الدكتور روز نوري شاويس رئيس المجلس الوطني لإقليم كردستان العراق أن أية تسوية للقضية الكردية يجب أن تتم في إطار اتفاق يقوم على أساس الفيدرالية ووفق ضمانات دولية، ودعا الى ضرورة إبقاء الحماية الدولية للاقليم لتأمين الاستقرار والسلام.

وأكد على ضرورة استمرار العمل بالقرار 986 المتعلق ببرنامج النفط مقابل الغذاء حتى بعد زوال العقوبات لضمان تمتع أقليم كردستان بحصته المقررة من عائدات الثروة الوطنية. المؤتمر 1 – 3 - 2002

***

تنازل عن الأرض ودعم حربي !!

وكم كان بود الشعب الكردي كله في أن يتنازل الحكام العرب - عن كامل رضاهم وعن قناعة بأن هذا التنازل ليس في مصلحة الأمة الكردية فقط بل هو وقبل كل شيء في صالح الأمة العربية - عن كردستان العراق وكردستان سورية التي لم تكن سابقاً ولا في يوم من الأيام جزءً من العراق أو من سورية، وأن يقوم الحكام العرب بدعم الكرد بتأسيس دولتهم في هذين الجزئين الكردستانيين ومدهم بالسلاح والطائرات والمال. جواد ملا - كردي سوري – القدس 20 – 9 – 2000

نكران الجميل !

نصف قرن ولم تبرز إلا بضعة أصوات نادرة تدافع عن شعب كردستان، أمثال الخالد الذكر الجواهري وهادي العلوي وفهمي هويدي، ورسمياً كان الرئيس القذافي وحيداً، قال فيه الاعلام العنصري بسبب تصريحاته المؤيدة للنضال الكردي، مالم يقله مالك في الخمر!!!

نصف قرن وحرب الابادة العنصرية مستمرة في أجزاء كردستان. ولم يتبرع حتى ولا مواطن عربي بالانضمام لأشقائه الكرد، عدا الشيوعيين العراقيين !! سربست بامرني - اعلامي برزاني - المؤتمر 7 – 9 - 2001

تعليق: هل نسي أن معظم الأحزاب العراقية تبنت القضية الكردية، وأن الشيوعيين العراقيين يمثلون أكبر قوة عراقية خلال أجيال. وأن الآلاف من العراقيين من غير الأكراد قد قاتلوا الى جانب الأكراد في جبالهم ضد الأنظمة القمعية.. لماذا هذا النكران؟

***

التبرير القومي لرفض اللغة العربية!

وهل تعلم أن اللغة هي احدى السمات الأساسية لحضارة الشعوب وتميزها بين بعضها البعض، مثلاً أنا لا أستطيع أن أطلب من عربي أن يتعلم اللغة الكردية ولا بالعكس. بل أستطيع أن أطالبهم بالتضامن والعمل المشترك من أجل خير كل الوطن. حسين آغا - اعلامي كردوي. المؤتمر 9 – 2 - 2002

تعليق: ان هذا تبرير خاطئ لرفض العربية في المنطقة الكردية. في كل البلدان بما فيها الديمقراطية الغربية هنالك لغة وطنية سائدة مع لغات محلية. في فرنسا مثلاً هنالك الفرنسية كلغة رسمية سائدة مع لغات محلية مثل الكورس والباسك والبروتون والألزاس.

حتى اللافتات العربية تم الغائها من المحمية الكردية؟!

* سؤالي الأخير يتطلب منك جوابا بصفتك نائبا لمحافظ أربيل، وهو يتعلق بملاحظة غالبا ما سمعتها ممن زاروا كردستان.. هي اهمالكم اللغة العربية فحتى علامات الشوارع واشارات المرور مكتوبة بالكردية والانكليزية فقط.. كيف تفسر ذلك، وأنتم تتحدثون دائما عن وحدة العراق وعن انتماء كوردستان له؟

- قبل أن أجيبك عن سؤالك هذا، لا بد من ذكر الحقيقة التالية فقد عانى الشعب الكردي، عقودا طويلة من سياسة التعريب والتهجير وطمس المقومات القومية. وهذه السياسة لا تزال مستمرة.

* قاطعت مهدي خوشناو وقلت له: السؤال هو لماذا لا توضع ترجمة عربية لأسماء القرى والبلدات والمحال الكبيرة أو لإشارات المرور وعلامات الطرق العامة، جنباً الى جنب الإنكليزية؟

- كلامك صحيح من هذه الناحية وعلينا أن نراعي هذه المسألة، ولكنني أعتقد أن المهم، في هذا الشأن، هو تدريس اللغة العربية في الجامعات والمدارس وهذا معمول به في كردستان العراق.

أجوبة الشاعر الكردي مهدي خوشناو/ الزمان 2 – 3 - 2002

***

البرزاني والوحدة التكتيكية !!

وحول ما يشاع عن سعي الحزب الديمقراطي لتشكيل دولة كردية مستقلة أكد مسعود البارزاني ان ذلك لا يمت للواقع بأدنى صلة، مضيفا أن هذا الأمر لا يعني أننا لا نرتضي هذا الحق لأنفسنا ولكن الظروف الاقليمية والدولية لا تسمح بذلك ولسنا بصدد رفع شعار نعرف مسبقا بأن تحقيقه غير ممكن حاليا. المؤتمر 1 – 2 - 2002

***

حالة الفيلية نموذج للتعصب العروبي والطائفي

ان الناظر لتاريخ الفيلية ومناطق تواجدهم يكتشف حقيقة اصولهم العراقية حتى الذين يقطنون في الجانب الايراني من الحدود. فكما يتبين من هذه المقالين المرفقين أن منطقة الفيلية ظلت جزءاً من جغرافية العراق ومن حضارته وتمازجه السكاني. لكن العقلية العروبية العنصرية تعاملت بحذر مع كل من لا ينطق العربية أباً عن جد وبالتالي دفع هؤلاء الى البحث عن هويات قومية عرقية منافية للهوية العراقية. ان حالة الفيلية تعبير خالص عن حالة الأمة العراقية بأكملها. ان الفيلية يحملون "عيبين" خطيرين: كونهم غير عرب، وكذلك كونهم شيعة، ولهذا فأنهم اكثر من عانى من عنصرية الدولة اللاعراقية !!

الفيليون .. الأصول والمعاناة

عبد الرزاق ميرزا

ثمة منطقة باسم "بهلة" تقع في الحد بين منطقتي بشتكوة وخوزستان*، فيها تختلط عشيرة عربية مع أكرادها. والعشيرة العربية هذه تسمى بالفيلية أيضاً، نسبة الى منطقة "بهلة"، والعرب تقلب الباء (P) فاءً، فالبهلية تنقلب الى فهلية وفيلية،.. كرد هذه المنطقة هم من عشائر بشتكوة ولهذا مد عرب المناطق المجاورة، سواء في عربستان أو جنوب العراق، صفة الفيلية هي بقية أكراد بشتكوة أيضاً الممتدة من مسجد سليمان الى مهران جنوباً (داخل ايران). وشيخ سعد وباقسايا وعلي الغربي وزرباطية وبدرة وجصان ومندلي جنوباً وغرباً (داخل العراق)، وإلى محافظتي كرمنشاه وإيلام شمالاً (داخل إيران)، وخانقين شمالاً (داخل العراق).

إن علاقة الفيلية بعرب خوزستان وجنوب العراق، علاقة متينة متداخلة فرضتها علاقة الجوار وضرورة التعايش. وعزز من استقرارها وجود تجانس إسلامي شيعي بين الجانبين لم تؤثر عليها الصراعات الشيعية - السنية بين الدولتين الإيرانية والعثمانية، رغم تواجد هذه العشائر على جانبي الحدود بين الدولتين.. ناهيك عن العامل الاقتصادي الذي يبدو واضحاً وجلياً في هذه العلاقة الكردية- العربية في هذه المنطقة. فرعاة هذه العشائر يجدون الحرية المطلقة بجوب مناطق بعضهم البعض في مواسم الجفاف إذا كان الموسم في مناطق الطرف المقابل صالحاً للرعي.

ففي أبعد منطقة من بشتكوة عن مناطق العرب، أي في شماله، وبالتحديد في منطقة شيروان - جرداول، استوطنت عشيرة عربية الأصل، لا زالت تسمى بعشيرة (نةره و - ريوار) أي "العرب السابلة"، رغم كون هذه العشيرة قد استكردت ونست لغتها الأم، إلا عبارات لا زالت تختلط بلغتها الكردية المكتسبة. من جانب آخر فهجرة كرد بشتكوة للعمل في ميناء البصرة، وأسواق بغداد، وبعض المدن الأخرى، في مواسم الجفاف وعلى مدى القرون، نتج منها سكن واستقرار مجموعة منهم في هذه المدن، وخاصة في بغداد منذ القرون الوسطى، وتحدد تسمية "الفيلية" بشكل عام بهم.

يسكن الفيليون في العراق منذ زمن بعيد، زمن ما قبل تشكيل الدولة العراقية الحديثة. وتسلم كثير منهم مراكز ثقافية، واجتماعية، وتجارية بارزة. وساهموا في الحياة العامة بشكل فعال، باستثناء دوائر وزارات الدفاع والخارجية والداخلية، والقوات المسلحة عدا دورات ضباط الاحتياط، والجنود المكلفين. ولهم شهداء وضحايا في ثورات وانتفاضات وحروب العراق.

* خوزستان: هي الترجمة الفارسية لتسمية "الاحواز" السريانية العراقية التي تعني "الاحواض" أي منطقة المنخفطات المائية التي هي امتداد جغرافي وسكاني لمنطقة الاهوار العراقية. وفي الاحواز هنالك مدينتي "الاحويزة" و"عبادان" العراقيتان الواقعتان على شط العرب والخليج، وقد منحتهما الدولة العثمانية الى ايران لقاء الاستيلاء على منطقة السليمانية الكردية. والسبب طبعاً طائفي، لان الاحواز شيعية والسليمانية سنية وهذا التبادل يعني حسب العقلية الطائفية تخفيض نسبة الشيعة في العراق وزيادة نسبة السنة.. علماً بأن النظامان الملكي ثم نظام صدام قد كررا التوقيع على هذه المعاهدة الطائفية مع ايران .. لهذا هناك من يدعو الى اجراء التبادل العكسي!!

مأساة "الفيليين" تكمن في المفارقة بين قدم توطنهم في العراق، وبين عدم كسبهم لمواطنته في الحسابات الرسمية للدولة.. فحتى إذا قدر لاحدهم كسب الجنسية العراقية فيدون فيها ما يميزه عن المواطنين الآخرين، وبشكل مجحف، فمثلاً كاتب هذه المقالة مولود في بغداد عام 1945. ولكن كتب في شهادة جنسيتي أن تبعيتي قبل صدور قانون الجنسية العراقية هي التبعية الإيرانية، أي أني كنت إيرانياً قبل صدور هذا القانون.

علماً أن القانون صدر عام 1921 ، وأنا ولدت بعده بـ 24عاماً.

فيا ترى كيف تكون للإنسان تبعية لأية دولة قبل أن يولد؟ وكُتب في شهادتي جنسية والديّ أنهما ولدا في بشتكوة رغم إرادتهما. ولم ير أحد منهما بشتكوة، لا بل إن أمي كانت لها حصة في دار في مدينة الكوفة يملكها جد أبيها منذ قرابة 200 عاماً، وهذا مثبت في السجل العقاري للدار المذكورة في السجل العقاري للدار المذكورة (الطابو).

عشرات الألوف من هؤلاء يعانون من هذا التمييز في ظل الأنظمة المتعاقبة في العراق، دون أن يلجأ أحد إلى إيجاد حل لمشكلتهم.

وأسباب اضطهاد الدولة العراقية لهم وممارسة التمييز ضدهم. واللجوء الى إبعادهم قسراً عن العراق في احايين كثيرة منها:

تمسكهم بشعائرهم الإسلامية الشيعية، وإقامة المواكب الحسينية سنوياً، واحتفاظهم بعلاقاتهم الشيعية من خلال ذلك.

كون اصولهم تعود الى منطقة واقعة ضمن حدود الدولة الإيرانية. بينما اعتبرت الدولة العراقية الحديثة نفسها وريثة تركة الدولة العثمانية في صراعاتها ومشاكلها مع إيران.

مشاركتهم في الحركة الوطنية الديمقراطية واليسارية، والحركة القومية التحررية الكردية. وفي السنين الأخيرة في الحركة الإسلامية. مما كانت تثير حفيظة الحكام والسلطات البوليسية ضدهم، الى أن حدا بالنظام الحاكم النظام الأكثر شوفينية ودكتاتورية وتعصباً قبلياً بين الأنظمة العراقية، إلى اللجوء إلى حملات التهجير الجماعي ضدهم. وذلك بمصادرة أموالهم وتجريدهم من مستمسكات مواطنتهم ورميهم على الحدود الإيرانية، بعد حجز الألوف من شبيبتهم في غياهب السجون سنة 1980 دون أثر أو خبر عنهم الى الآن. جريدة المؤتمر – لندن. 22 – 1 - 2001

***

القوانين القومية الطائفية الظالمة ..

يعتبر جميع المواطنين العراقيين بدون استثناء وتمييز من التبعية العثمانية وفق جميع التشريعات الجنسية العراقية، اذ تنص جميعها على الآتي: "من كان عثماني الجنسية.. يعتبر عراقي الجنسية". وهذا بخلاف جميع التشريعات العربية والأجنبية المقارنة للجنسية، ومنها التشريع المصري للجنسية الذي يؤكد الانتماء والهوية المصرية ابتداءً. اذ تنص المادة الأولى من جميع القوانين المصرية للجنسية على أن : "المصريون هم.. كل شخص.." بغض النظر عن تبعيته السابقة. وكذلك جاء في التشريع اللبناني أنه "يعد لبنانياً.. كل شخص.." بغض النظر عن انتمائه وتاريخه. أما التشريع العراقي للجنسية فهو قانون شاذ وغريب لا صلة ولا جامع له مع أي تشريع آخر للجنسية في العالم. اذ يعتبر كل عثماني عراقياً - وليس كل عراقي من أرض العراق مواطناً عراقياً - سواء كان هذا العثماني هندياً أو بلغارياً أو ايرانياً، فالمواطن الايراني المتجنس بالجنسية العثمانية يعتبر عراقياً وطنياً أصيلاً والدليل هو أحد القرارات الذي ينص على "تجنس الحاج.. الإيراني بالجنسية العثمانية.. فانه من يعتبر من التبعية العثمانية"، وبالتالي فانه حصل على، واكتسب الجنسية العراقية "التأسيسية" التي هي أكثر قوة وثباتاً من الناحيتين القانونية والمادية من وثيقة الجنسية "الأصلية" العراقية، والأنكى من ذلك، أنه وفق القانون العراقي للجنسية فانه "يجوز للكاولي المستوطن في العراق أن يحصل على الجنسية العراقية"، وبشرط أن يثبت كونه "كاولياً" و "ان يكون مسجلاً كاولياً في أحد تسجيلات النفوس العامة".

محمد الهماوندي - سياسي كردي عراقي، الزمان - لندن 11 – 2 – 2000

السلطة تبادل أسراها في إيران بفيليه

اكتشفت السلطة الإيرانية أن عشرات الأشخاص الذين يفترض أنهم اسرى ايرانيون تستبدلهم سلطات بغداد بأسراها في إيران هم من الفيلية المعتقلين في السجون العراقية منذ أكثر من 20 عاماً. فقد استبدلت سلطات بغداد مؤخراً مائة من الفيلية المعتقلين لديها بذريعة أنهم أسرى إيرانيون بأسرى عراقيين لدى إيران، لكن سلطات طهران اكتشفت هذه الخديعة بعد اجراء تحقيقات مع هؤلاء المطلق سراحهم والذين أكدوا أنهم من الفيلية الذين اعتقلتهم سلطات بغداد منذ أكثر من 20 عاماً بذريعة عدم امتلاكهم الجنسية العراقية ثم قامت بترحيل عوائلهم الى إيران آنذاك.

وعلمت (المؤتمر) أن السلطات الإيرانية قد احتجزت هؤلاء الفيلية الذين سلمتهم سلطات بغداد اليها وهي تخطط لاعادتهم الى العراق الأمر الذي أثار مخاوف من اقدام نظام صدام على اعدامهم والتخلص منهم. صحيفة المؤتمر 15 – 3 - 2002

***

عزيز الحاج يتحدث عن الفيلية

الباحث العراقي (الفيلي) والسياسي المعروف عزيز الحاج يتحدث عن الفيلية في هذه المقاطع المأخوذة من كتابه (بغداد ذلك الزمان - المؤسسة العربية - بيروت - 1999) (ص 122 - 111).

في العهد الإسلامي، بعد مجيء الإسلام، أصبحت المنطقة الكردية الفيلية ضمن الإمبراطورية الإسلامية وسميت بالجبال، وكانت مدن ميمرة وشيرون جزءاً من حكومة بغداد، ومدينة (درة شهر) ضمن ولاية البصرة في زمن الخليفة العباسي السفاح.

ومن أمرائه الأمير ذو الفقار وهو من عشيرة الكلهور الفيلية، وقد أرسله الشاه عباس الصفوي لفتح بغداد فسقطت بيده عام 1622، وأصبحت تحت حكمه لمدة 6 سنوات حتى أسقطه شاه عباس بعد إعلان ذي الفقار استقلاله عن حكم الفرس ومخالفة أوامر الشاه. وخلال تلك السنوات من حكم الفيلية لبغداد اتسع نطاق الهجرة من لورستان الايرانية الى وسط العراق وجنوبه فاستوطنت أجيال كبيرة العدد من الفيلية في العراق واندمجت بالسكان الأصليين كما مر آنفاً.

كان في بغداد وحتى أواسط السبعينات نسبة عالية من الأكراد الفيلية تسكن خاصة جانب الرصافة، ولا سيما في محلات الصدرية وباب الشيخ وعقد الأكراد والتسابيل والدهانة والشورجة، وجميلة وغيرها، وأيضاً في مدينة الثورة والكاظمية. أما عدد الفيلية على نطاق العراق فاختلفت تقديراته المنصفة (لا الحكومية) ما بين 450 - 600 ألف نسمة، أكثريتهم سكنت بغداد.

وكانت نسبة من هؤلاء تقوم بأعمال الحمالة (العتالة)، والحمال الفيلي كان معروفاً بقوته وجلده. وفي الثلاثينات والأربعينات كان بين هؤلاء الحمالين من تركوا وراءهم عوائلهم في بشتكوه للعمل الموسمي في بغداد، أما الأكثرية فكانوا مستقرين أباً عن جد.

وكان القسم الأكبر من الأكراد الفيلية في بغداد كسبة وأصحاب حوانيت والعديد منهم كانوا من كبار التجار. وبعد انتشار الكليات، لا سيما الحقوق (القانون) ظهر من بينهم الحكام والمحامون ومن بينهم ابن عمي محمود شكر، كما برز الموظفون، والمعلمون والمثقفون من شعراء وكتاب، والموسيقاريون والملحنون والمغنون. وعلى الصعيد السلبي كان عدد من الفيلية من بين أشهر فتوات (أشقيائية) بغداد العشرينات والثلاثينات، وفي مقدمتهم "أبو جاسم لمر" الشهير جداً. وقد قتل بعد سنوات من تركه تلك الحرفة السيئة. ولقد انتشر الفيلية على مدى قرون، في سهول العراق الشرقية ومدنها الجنوبية، لا سيما في علي الغربي والكميت، والكوت، وزرباطية، وبدره، ومندلي، وخانقين، والناصرية، وقلعة سكر وغيرها، وكانوا جميعاً تقريباً أصحاب دكاكين أو مخازن أو تجار حبوب ومواشي ويلبسون الملابس العربية الأصلية حتى لا يكاد أحد يميز بينهم في الزي واللغة عن أي من أبناء العشائر العربية.

وممن برزوا من بين الفيلية علماء وأدباء وشعراء أمثال الدكتور مصطفى جواد وعبد المجيد لطفي، والشاعران زاهد محمد وجليل حيدر، وموسيقاريون نوابغ منهم سلمان شكر (ابن عمي) ونصير شمة، وملحنون ومغنون منهم رضا علي، وحسن خيوكة، وأطباء أشهرهم جعفر محمد كريم،

إن تأسيس المدرسة والجمعية الفيليتين، كان بحد ذاته تعبيراً حاسماً عن انتماء الفيلية للعراق، وعن رفض تهمة الانتماء "التبعي" الايراني، فإذا كان عدد من أبناء الفيلية قد درسوا في المدارس الايرانية المتواجدة في بغداد والكاظمية، فإن المدرسة الفيلية جذبت الجميع، وأكدت على عراقية الانتماء، خصوصاً وأنها لم تكن تدرس إلا باللغة العربية والمناهج الدراسية العراقية وحدها، وقد ترعرع آلاف الصبية والشباب الفيلية وهم لا يقرأون بل لا يتكلمون إلا بالعربية في بيوتهم مع آبائهم، وإذا كان حزب البعث قد نص في نظامه الداخلي على أن العروبة تعني أولاً من ينطقون بالعربية فإنه لمن الغريب أن يعتبر الأكراد الفيلية "فرسا" مع أن لغة أغلب شبابهم هي العربية.

قد لعب الفيلية دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية والتجارية للعراق. وكذلك دورهم في الحياة السياسية، وكانت مناطق الفيلية في بغداد بين أهم مراكز تحشد المظاهرات الوطنية الكبرى ضد السيطرة البريطانية ومن أجل الاستقلال والديمقراطية في العراق، أي أنهم ناضلوا مع بقية الشعب العراقي وقدموا التضحيات، وبذلوا الدم في سبيل أهداف وطنية عامة، ولم يتقدموا يوماً ما بأي مطلب أقلوي خاص ما عدا السماح لهم بفتح جمعياتهم ونواديهم ومدارسهم، والغاء التمييز العنصري ضدهم الذي كان يمارس من خلال ما يسمى بقانون الجنسية المعتمد في أواخر سنة 1924.

وقانون الجنسية العراقي هذا هو من أغرب قوانين الجنسية في العالم وأكثرها شذوذاً، فقد وضعه أقطاب الحكم الملكي عند تأسيسه بإشراف الانجليز، وكان يقسم المواطنين إلى قسمين: من لهم أوراق تثبت "عثمانيتهم" ومن هم خلاف ذلك فيحسبون على ايران ويعتبرون من فئة "التبعية" الايرانية. فحتى إذا حصل عراقي منهم على شهادة تجنس فكان يكتب بالخط الأحمر على الشهادة: "تبعية" أي أن أصله ايراني، وهذه كانت حالتي أنا حتى استجاب الرئيس صدام حسين لطلبي فاعتبرت عراقياً أصلياً، بعد أن تم الاعتراف رسمياً بأن أبي كان من مواليد بغداد.

وقد تعرض شاعر العرب الأول في هذا العصر محمد مهدي الجواهري إلى حملة تنكيل وتشهير لأنه لم يكن يحمل ورقة تثبت انتماءه "العثماني" وحاربه أمثال ساطع الحصري عندما أريد تعيينه مدرس ثانوية. لكن الملك فيصل الأول تحدى الموجة العنصرية فاختار الجواهري ضمن موظفي البلاط الملكي بالذات.

وتعرض الأكراد الفيلية إلى تميز فاضح خلال العهد الملكي كله وبعده. واستبشروا خيراً بثورة 14/ تموز 1958، فتشكل بعد الثورة بشهور وفد من الأكراد الفيلية المنتمين لكل من الحزب الديمقراطي الكردستاني (البرزاني) ويمثلهم حبيب كريم، والحزب الشيوعي، وكنت أمثلهم وأقود الوفد. وذهبنا لمقابلة عبد الكريم قاسم وعرضنا مشكلة أقليتنا وطالبنا باعتبارنا عراقيين أقحاحاً ومنح الجميع شهادات جنسية عراقية أصلية، فوعد خيراً. ولكن التمييز تفاقم وتصاعد بعد سقوط قاسم في عهد عبد السلام عارف. وانتهى إلى موجة واسعة من عمليات التهجير الوحشية المخالفة لحقوق الإنسان وللدستور العراقي المؤقت نفسه، وذلك في السبعينات وبداية الثمانينات (في عهد سلطة حزب البعث الحالية)، فقد اعتبروا أكثر الفيلية "فرساً" و "طابوراً خامساً" لايران فيما كان الطرفان (العراق وايران) يستعدان لتصفية حساباتهما عسكرياً. لقد جرى تهجير عشرات الآلاف من الأكراد الفيلية في بغداد وخارجها، وسيقوا بأساليب همجية وبدون انذار إلى خارج الحدود، ونهبت كل ممتلكاتهم. وأما المتزوجات من الفيليات من عرب أو الفيلية المتزوجون من نساء عربيات، فقد صدر قانون خاص يشجع الزوجات والأزواج العرب على الطلاق مقابل مكافآت وامتيازات مغرية.

لقد كان هذا نصيب أقلية قومية عراقية بذلت الكثير من أجل العراق وازدهاره. أما المحسوبون على "العثمانية" فهم وحدهم العراقيون الأصلاء. ويا للعجب!

ما بين 1971 و 1982 جرى تهجير أكثر من ثلاثمائة ألف كردي فيلي من بغداد ومدن الوسط والجنوب، ومات من مات من المهجرين على الحدود، لا سيما بين كبار السن، ومنهم خالتي، شقيقة أمي، ونهبت ممتلكات الجميع بعد أن قضوا في العراق - وطنهم - أجيالاً وخلفوا فيها الأولاد والأحفاد. كما حجزت الحكومة ما لا يقل عن ستة آلاف من شباب الفيلة في السجون والمعتقلات ولا يزالون محجوزين حتى اليوم دون ذنب وبلا تهمة رسمية، بعد أن جرى تهجير آبائهم وأخواتهم وأمهاتهم .

وجرى في الوقت نفسه تهجير آلاف من العرب العراقيين الأقحاح من جنوب العراق ووسطه بحجة "التبعية" وبينهم الكثيرون من أبناء العشائر. ولكن "الذنب" الوحيد الذي اقترفوه هو انتماؤهم الشيعي والخوف من أن يكونوا طابوراً خامساً لإيران*.

* ان العراق (بعد جنوب افريقيا السابقة) هو البلد الوحيد في العالم الذي تشكك فيه الدولة بوطنية الغالبية الساحقة من ابناء الوطن (شيعة واكراد وتركمان وسريان وغيرهم).

مصادر مواضيع الكتاب

في هذا الكتاب اعتمدنا على عدد كبير من المصادر، كتب وصحف، مع شهادات اشخاص عايشوا الحالة، وقد ذكرنا في ثنايا الكتاب الجزء الاكبر من هذه المصادر، ولكن هناك جزء مهم لم يتسن لنا ذكره سهوا او بسبب طبيعة النشر الصحفي وشحة الوقت وغيرها من الأسباب. هنا نحاول ان نسجل الجزء الاعظم من المصادر المعتمدة، حسب مواضيع الفصول.

مصادر الموضوع الكردي:

1- المسألة الكردية - م. س. لا زاريف - دار الرازي - بيروت 1991.

2- الحوار العربي الكردي - عدنان المفتي - مكتبة مدبولي - القاهرة 1999.

3- لقاء الاسلاف - جمال رشيد احمد - رياض الريس للنشر - بيروت 1994.

4- القضية الكردية في العراق - عزيز الحاج - المؤسسة العربية - بيروت 1994.

5- القضية الكردية في العشرينات - عزيز الحاج - المؤسسة العربية - بيروت 1984.

6- القضية الكردية - كراس - عزيز الحاج - باريس 1994.

7- ضوء على شمال العراق - نعمان الكنعاني - 1965 (دون ذكر للبلد).

8- قائد وشعب - حوار مع زعيم حزب العمال الكردي التركي. دار الفارابي - بيروت 1999

9- جمال نبز - حوار جواد ملا - منشورات كوردنامه - لندن 1999.

10- Leprobleme Kurde - BLAU Joyce - Bruxelles،1963 .

11- Les Kurdes et Les Kurdistan - Pre Face de M. Rodinson. PCM. Paris 1981.

12- Lemouvement national Kurde - KUTSCHERA Chris- Flammarion - Paris 1979.

13- Le Kurdistan ou Lamort - MAURIES Rene - Lafont - Paris 1976.

14- Encyclopaedia uni - 13 - Kurde - Paris 1995.

15- اعلام الكرد - مير بصري - دار الريس - بيروت 1991.

16- دراسات في تاريخ الكورد - فرهاد يرال - كاوا - بيروت 1998.

17- الاكراد احفاد الميديين - ف. مينورسكي - مجلة المجمع العلمي بالكردي - بغداد 1973.

18- القومية الكردية وتراثها التاريخي - هادي الجاوشلي - بغداد 1967.

19- العراق الشمالي - شاكر خصباك - بغداد 1973.

20- مشكلة الموصل - فاضل حسين - بغداد 1967.

21- سنتان في كردستان - هي. دبليو. ار - بغداد 1973.

22- الاكراد - باسيل نيكتين - دار الوقائع - بيروت 1958.

23- غرب كردستان - صلاح بدر الدين - كاوا للنشر - بون 2000.

***

مصادر الموضوع التركماني:

1 - عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية، دار الشؤون الاجتماعية، الجزء الأول، بغداد، الطبعة السابعة، 1988

.

2 - ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، الجزء الثاني 1927 - 1941 ، دار الطليعة ، بيروت، 1968 .

3 - فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة 1920 ونتائجها، مؤسسة البلاغ - مطبعة النجاح - بغداد، الطبعة الثانية، 1995.

4 - حنا بطاطو، الكتاب الثالث، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية الأولى - بيروت، 1992 .

5- Encyclopedia Britanica - Vol 13 - U.S.A 1965.

6- S. BRWN - The politics of intervention in iraq-Tauris publishers - 1999.

7- Ibrahim DAKUKI - IRAK TURKMENLERI-Guven matbasi-Ankara 1997.

8- Suphi SAATCI-Irak ta turk varligi - Istanbul 1998.

9- Ersat HURMUZLU-Irak turklen - Ankara 1994.

10 - شاكر صابر ضابط، كركوكده اجتماعي حيات، (باللغة التركمانية) مطبعة الزمان، بغداد (سنة الطبع غير مذكورة).

11 - شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان في العراق، بغداد، 1962 .

12 – عبد اللطيف بندر أوغلو، عراق توركمن أدبياتى تاريخينه بير باقيش، الجزء الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1989 .

13 - عزيز قادر الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقي، الطبعة الأولى، 1999 .

14 - نصرت مردان، الهوية الثقافية لتركمان العراق، معد للطبع.

15 - قاسم صاري كهيه، شاعرلر ويازارلار - عراق توركمن أدبياتجيلاري، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1998 .

16 - المحامي عطا ترزي باشي، القوريات الكركوكي، الجزء الأول، مطبعة الأمة، بغداد، 1973.

17 - أوقات عطا ترزي باشي، كركوك مطبوعات تاريخي 1879 - 1985، جزأن، (طبع عن طريق الاستنساخ) كركوك، 2001 .

18 - فاروق فائق كوبرلو، شعراء تركمان العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998.

19 - تقرير الحزب الوطني التركماني العراقي عن انتهاكات النظام العراقي لحقوق الانسان في العراق، سبتمبر 1994 .

20 - مير بصري، اعلام التركمان، دار الوراق للنشر، لندن، 1997 .

21 - ارشد الهرمزي - التركمان في العراق - الحزب الوطني التركماني - انقرة 1994

22 - زياد كوبرولو - الكيان التركي في العراق - انقرة 1996.

23 - فايز سارة - اقليات في الشرق الاوسط - دار مشرق مغرب - دمشق 2000.

24 - صحف ومجلات عربية وتركية مختلفة

***

مصادر الموضوع السرياني:

1 - الخيانة البريطانية للآشوريين - يوسف مالك - دار سركون - السويد 1995.

2- التيه ومسالك الحكمة - حوار كردي آشوري - سعيد لحدو - بلا تاريخ أو مكان.

3- البحث عن نينوى - هنري لايارد - دار سركون - السويد 1994.

4- احداث ورجال (آزخ) - القس وهداية دار الرها - حلب 1991.

5- ثقافة السريان - نينا بيغو ليفسكايا - دار الحصار - دمشق 1990.

6- تاريخ نصارى العراق - روفائيل اسحق - الشرقية - ديترويت 1989.

7- السريانية - العربية - سمير عبده - دار علاء الدين - دمشق 2000.

8- الآشوريون والمسألة الآشورية - ق. ب. ماتييف - الاهالي - دمشق 1989.

9- نعوم فائق معلم الفكر - ابرم شابيرا - دار سركون - السويد 2000.

10- حقوق الآشوريين - ابرم شابيرا - دار عشتار - لندن 1996.
11- تاريخ القضية الآشورية - عبر المجيد القيسي - امريكا ... بلا ذكر.
12- تاريخ الكنيسية الشرقية - البير ابونا - دار المشرق - بيروت 1993.
13- تاريخ الادب السرياني - روبنس دوفال - بغداد - 1992.
14- في الاصل والفصل (عينكاوة). سعدي المالح - دار المرآة - مونتريال 1997.
15- الرئاسة في القوش - نبيل دمان - دار سورث - كاليفورنيا 2001.
16- مجلة دراسات اشتراكية - عدد خاص بالسريان - دمشق 1990.
17- DEBABYLONEA PARIS - JOSEPH VACOUB - uni catholique - LYON.
18- القصارى في نكبات النصارى - شاهد عيان - دار سركون - السويد 1998.
19- مائدة انطاكية - جورج صليبا - بيروت 1992.

***

مصادر الموضوع اليزيدي:

- اليزيدية - الامير انور معاوية - السويد 2001.
- اليزيدية في ما بين النهرين - آشور نصيبينويو - دار سركون - السويد 2002.
- اليزيديون - هاشم البنا - مطبعة الامة - بغداد 1964.
- اليزيديون في حاضرهم وماضيهم - عبدالرزاق الحسني - المطبعة العصرية - صيدا 1967.
- اليزيدية قديماً وحديثاً - اسماعيل جول - المطبعة الاميركانية - بيروت 1934.
- اليزيدية ومنشأ نحلتهم - احمد تيمور - المطبعة السلفية- القاهرة 1347ه-.

***

مصادر عامة تتعلق بمختلف مواضيع الكتاب:

1- إمامة الشهيد وامامة البطل - فؤاد الخوري. دار الجامعة - بيروت 1988.
2- اقليات شمال العراق - جميل شعيوكا - دار صحارى - بودابست 1999.
3 - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - فيليب حتي - دار الثقافة - بيروت 1972.
4- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق - علي الوردي - (جزئي واحد واثنين) كوفان للنشر - لندن 1991.
5- العراق نشأة الدولة - غسان العطية - دار اللام - لندن 1988.
6- تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق - عبدالغني الملاح - المؤسسة العربية - بيروت 1980.
7- بغداد ذلك الزمان - عزيز الحاج - المؤسسة العربية - بيروت 1999.
8- آل ربيعة الطائيون - فرحان سعيد - الدار العربية - بيروت 1983.
9- الغزو المغولي للبلاد الاسلامية - حسن الامين - دار النهر - بيروت 1976.
10- الشعوب الاسلامية - عبدالعزيز نوار - دار النهضة - بيروت 1973.
11- العراق - حنا بطاطو - الكتاب الاول والثالث - مؤسسة الابحاث - بيروت 1992.
12- LIRAK AU PRESENT - LIESL GRAZ - Trois Continents - Lau Sanne - 1979.
13- Mediteranee - LAROUSSE - Paris 1996.
14- LIRAK: 1970. 1990 - ALI BABAKHAN - Paris

-